جامعة الإسكندرية
كلية السياحة والفنادق
قسم الإرشاد السياحي

المعارك الحربية في مصر القديمة

حتى نهاية العصر اليوناني الروماني

دراسة تاريخية سياحية

بحث مقدم من الطالبة

إيمان عبد الفتاح حسن عثمان

لنيل درجة الدكتوراه

تحت إشراف

أ.د. عنايات محمد أحمد
أستاذ الآثار اليونانية الرومانية والقبطية
العميد السابق لكلية السياحة والفنادق
جامعة الإسكندرية
عميد المعهد العالي للسياحة والفنادق
بكينج مريوط

أ.د. جمال الدين عبد الرازق
أستاذ اللغة المصرية القديمة
وكيل كلية السياحة والفنادق
لخدمة المجتمع وتنمية البيئة
جامعة الإسكندرية

المعارك الحربية في مصر القديمة حتى نهاية العصر اليوناني الروماني

دراسة تاريخية سياحية

مقدمة من

إيمان عبد الفتاح حسن عثمان

للحصول على درجة

دكتوراه الفلسفة في السياحة والإرشاد السياحي والفندقة

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة	موافقون
أ.د. محمد عبد الحليم نور الدين	
أ.د. عنايات محمد أحمد	
أ.د. عزت زكي قادوس	
أ.د. جمال الدين عبد الرازق	

التاريخ ٢٠١٢/٩/٢٧

الاختصارات

- *AJSL*: The American Journal of Semitic languages and literatures.

- *ANET*: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament.

- *ARE*: Ancient Records of Egypt.

- *ASAE*: Annales du Service des Antiquites du l'Egypte.

- *BIFAO:* Bulletin de l'Institut français d'archéologie oriental.

- *CAH*: The Cambridge Ancient History.

- *DG*: Dictionnaire des nomes Geographiques contenus dans les texts Hierogliphiques.

- *IFAO:* Institut Français d'Archéologie Orientale.

- *JARCE*: Journal of the American Research Center in Egypt.

- *JEA*: Journal of egyptian archaeology.

- *JNES*: Journal of Near Eastern Studies.

- *KRI:* Kitchen Ramesside Inscriptions.

- *MÄS*: Münchner Ägyptologische Studien.

- *MDAIK*: Mitteilungen des Deutschen Archäologischen Instituts Abteilung Kairo.

- *RT*: Recueil de Travaux.

- *SDAIK*: Sonderschrift des deutschen archaologischen Institus Abteilung Kairo, 1976.

- *Urk*: Urkunden der 18 Dynastie.

- *Wb*: Wörterbuch der Aegyptische Sprache

المحتويات

مقدمة..... ١

الفصل الأول: المعارك في اللغة المصرية القديمة..... ٣

المفردات المستخدمة في نصوص المعارك..... ٤
مسميات الأسلحة..... ٥

الفصل الثاني: الجيش المصري القديم..... ١٣

فكرة الجيش في مصر القديمة..... ١٤
أنواع الأسلحة في الجيش المصري القديم..... ٢١
الدور الحضاري للجيش المصري داخل البلاد..... ٢٣
أسلحة الجيش..... ٢٥
الأجانب في الجيش المصري..... ٢٩
دور الجيش في السياسة..... ٣٢
الشعوب المجاورة لمصر..... ٣٤

الفصل الثالث: تصوير المعارك الحربية على الآثار المصرية..... ٣٧

تصوير المعارك في الدولة القديمة..... ٣٨
تصوير المعارك في الدولة الوسطى..... ٣٩
تصوير المعارك في الدولة الحديثة..... ٣٩
تصوير الحملات العسكرية في عصر الرعامسة..... ٤٠
تصوير المعارك في العصور المتأخرة..... ٤١
تصوير المعارك في العصرين اليوناني والروماني..... ٤١

الفصل الرابع: المعارك في الدولة القديمة وعصر الانتقال الأول..... ٤٢

الدولة القديمة..... ٤٣
الأسرة صفر..... ٤٣
الأسرة الأولى..... ٤٦
الأسرة الثانية..... ٤٨
الأسرة الثالثة..... ٤٩
الأسرة الرابعة..... ٥٠
الأسرة السادسة..... ٥٢
مرحلة الانهيار: الأسرات السابعة والثامنة..... ٥٦
عصر الانتقال الأول..... ٥٧

الفصل الخامس: المعارك في الدولة الوسطى وعصر الانتقال الثاني.....٥٩

الأسرة الحادية عشرة.....٦٠
الأسرة الثانية عشرة.....٦٤
الأسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة.....٦٩
عصر الانتقال الثاني.....٧٠

الفصل السادس: المعارك في الدولة الحديثة ٧١
الأسرة الثامنة عشرة.....٧٢
الأسرة التاسعة عشرة.....٩٢
الأسرة العشرون.....١١٦

الفصل السابع: المعارك في العصور المتأخرة.....١٢٢

الأسرة الحادية والعشرون.....١٢٣
الأسرة الثانية والعشرون.....١٢٣
الأسرة الثالثة والعشرون.....١٢٤
الأسرة الرابعة والعشرون.....١٢٩
الأسرة الخامسة والعشرون.....١٣٠
الأسرة السادسة والعشرون.....١٣٤
الأسرة السابعة والعشرون.....١٣٩
الأسرة الثامنة والعشرون.....١٣٩
الأسرة التاسعة والعشرون.....١٣٩
الأسرة الثلاثون.....١٤٠
العصر الفارسي الثاني.....١٤٠

الفصل الثامن: المعارك في العصر اليوناني.....١٤١

الملوك المقدونيون.....١٤٢
بطلميوس الأول.....١٤٣
بطلميوس الثاني.....١٤٧
بطلميوس الثالث.....١٥٠
بطلميوس الرابع.....١٥١
بطلميوس الخامس.....١٥٤
بطلميوس السادس.....١٥٥
بطلميوس الثاني عشر.....١٥٩
كليوباترا السابعة وبطلميوس الثالث عشر.....١٦٠

الفصل التاسع: المعارك في العصر الروماني..... ١٦٦

في عهد أغسطس.....١٦٧
في عهد "كلاوديوس القوطي" و"أوريليانوس".....١٦٨
في ولاية " كورنيليوس جاللوس".....١٦٩
في ولاية "بترونيوس".....١٧٠
في عهد "نيرون".....١٧٢
في عهد "تراجان".....١٧٢
في عهد "ماركوس أوريليوس".....١٧٢

التوظيف السياحي للبحث.....١٧٤
نتائج البحث.....١٧٧
خاتمة.....١٧٩
الملاحق.....١٨١
المصادر والمراجع.....٢٠٤
الأشكال.....٢١٦

ملخص للرسالة في عشرة سطور

تتكون الرسالة من مقدمة وسبعة فصول، تتحدث المقدمة عن موقع مصر الجغرافي وعلاقته بالغزو الخارجي. الفصل الأول يتحدث عن تاريخ العسكرية المصرية وفرق الجيش وأنواع الأسلحة ودور الجيش في السياسة. الفصل الثاني يتناول المصطلحات المرتبطة بالمعارك في اللغة المصرية القديمة مع عرض موجز لأسماء الأسلحة في مصر القديمة. الفصل الثالث يتحدث عن تصوير المعارك الحربية في المناظر والنصوص الموجودة على الآثار المصرية. الفصل الرابع يتناول المعارك الحربية التي جرت أحداثها في شرق مصر منذ عصر التأسيس حتى نهاية العصر الروماني. الفصل الخامس يتضمن المعارك التي دارت في غرب مصر ويتحدث عن علاقة المصريين بالليبيين. الفصل السادس يتضمن المعارك التي وقعت في جنوب مصر وأهمية الحدود الجنوبية وتزايد النفوذ المصري في النوبة. الفصل السابع يتحدث عن المعارك في شمال مصر بدء من حروب توحيد القطرين بنفس الترتيب التاريخي في الفصول السابقة حتى نهاية العصر الروماني. ويتضمن التوظيف السياحي للبحث إلقاء الضوء على المعارك الحربية وتضمينها في شرح المرشد في الأماكن التي وقعت فيها.

ملخص للرسالة في ٢٠٠ كلمة

تتكون الرسالة من مقدمة وسبعة فصول، تتحدث المقدمة عن موقع مصر الجغرافي وعلاقته بالغزو الخارجي.

الفصل الأول: يتحدث عن تاريخ العسكرية المصرية وفرق الجيش وأنواع الأسلحة في العصور المختلفة ودور الجيش في السياسة. كما يذكر دور الأجانب في الجيش.

الفصل الثاني: يتناول المصطلحات المرتبطة بالمعارك في اللغة المصرية القديمة والأسماء التي تطلق على المحارب والجيش والأسير مع عرض موجز لأسماء الأسلحة في مصر القديمة.

الفصل الثالث: يتحدث عن تصوير المعارك الحربية في المناظر والنصوص الموجودة على الآثار المصرية.

الفصل الرابع: يتناول سردا تاريخيا للمعارك الحربية التي جرت أحداثها في شرق مصر منذ عصر التأسيس حتى نهاية العصر الروماني.

الفصل الخامس: يتضمن المعارك التي دارت في غرب مصر ويتحدث عن علاقة المصريين بالليبيين. ووصف اللوحات التي تتحدث عن أخبارها مثل لوحة "تحنو" وصلاية الأسود، ومقبض سكين جبل العرجي.

الفصل السادس: يتضمن المعارك التي وقعت في جنوب مصر وأهمية الحدود الجنوبية وتزايد النفوذ المصري في النوبة، ويذكر حملات "حرخوف" و"ببي نخت"، والحرب بين طيبة وإهناسيا، ومعارك بيعنخي.

الفصل السابع: يتحدث عن المعارك في شمال مصر بدء من حروب توحيد القطرين وحتى نهاية العصر الروماني. وهناك بعض الاقتراحات لتوظيف المعلومات التاريخية سياحيا مثل الاهتمام بالمعارك التي لم تنل حظا وافرا من الشهرة التاريخية وذلك لإثراء المعلومة التاريخية التي ينقلها المرشد السياحي إلى السائح.

ملخص في ١٥٠٠ كلمة

تتكون الرسالة من مقدمة وسبعة فصول. المقدمة تتحدث عن موقع مصر الجغرافي الفريد وحدودها الطبيعية المتمثلة في الصحاري الواسعة والجبال والبحار ودور هذه الحدود في حماية أراضيها من الغزو الخارجي فيما عدا الحد الشمالي الشرقي الذي جاءت منه معظم الغزوات.

الفصل الأول يتحدث عن تاريخ العسكرية المصرية وفرق الجيش وأنواع الأسلحة في العصور المختلفة ودور الجيش في السياسة. كما يتحدث عن التحصينات والاستحكامات الحربية ويتطرق لوصف الدور الحضاري للجيش داخل البلاد ويصف فرق الجيش ومهامها. ويتحدث عن فكرة الجيش في مصر القديمة وتطورها عبر العصور المختلفة، كما يذكر دور الأجانب في الجيش. يتضمن هذا الفصل أيضا الحديث عن الأخلاقيات في الجيش المصري ومعاملة الأسرى ودوره كأداة لتحقيق السلام. وينتهي هذا الفصل بالحديث عن الشعوب التي دارت بينها وبين المصريين أشهر معارك التاريخ مثل الميتانيين والحيثيين.

الفصل الثاني يتناول المصطلحات المرتبطة بالمعارك في اللغة المصرية القديمة مثل الأفعال الدالة على الأسر والضرب والتدمير والأسماء التي تطلق على المحارب والجيش والأسير والحصون والقلاع، مع عرض موجز لأسماء الأسلحة في مصر القديمة.

الفصل الثالث يتحدث عن تصوير المعارك الحربية في المناظر والنصوص الموجودة على الآثار المصرية، ويذكر الدلائل الأولى على الصراعات في الآثار المصرية وتشمل أقدم تصوير لموقعة حربية بعد أول محاولة لتوحيد مصر من الدولة القديمة، من عصر بناة الأهرام في بقايا نقش وجد في المجموعة الجنائزية للملك خفرع من الأسرة الرابعة.

كما يتحدث عن مناظر الضرب وتصوير الحملات في مختلف العصور. مع تناول بعض هذه الآثار بالشرح مثل لوحة "بيعنخي" ولوحة "نعرمر". ويتناول هذا الفصل تفسير مناظر القتال وتصوير الحملات في عهد الرعامسة وفي العصور المتأخرة وفي العصر اليوناني الروماني.

الفصل الرابع يتناول سردا تاريخيا للمعارك الحربية التي جرت أحداثها في شرق مصر منذ عصر التأسيس حتى نهاية العصر الروماني. حيث يتحدث عن علاقة مصر بآسيا وتطورها في العصور المختلفة. وأشهر هذه المعارك حملات ملوك الدولة القديمة مع بدو سيناء، والتي سجلتها نقوش "وني" التي تركها على لوحة كانت قائمة في مقبرته في أبيدوس، نقوش مقبرة "انتي" في دشاشة وهو حاكم الإقليم ومدير الحصن في عهد الملك ربما "مري ان رع" أو "ببي الثاني" من ملوك الأسرة السادسة.

ويظهر من نقوش مقبرته تصوير لهجوم مصري على حصن آسيوي. وفي الدولة الوسطى كان هناك نشاط حربي في الجهة الشرقية في عهد كل من، "واج كا رع"، "منتوحتب الأول"، "منتوحتب الثاني"، "أمنمحات الأول" و"سنوسرت الثالث". في الدولة الحديثة هناك معارك "أحمس" مع الهكسوس والتي دارت في شمال شرق مصر مثل "شاروهين"، وحملته إلى "جاهي". وكذلك حملات "تحتمس الأول" و"تحتمس الثاني" في سورية وجنوب فلسطين، ثم حملات "تحوتمس الثالث" إلى سوريا والتي قدر عددها بسبع عشرة حملة أشهرها معركة "مجدو" بين الجيش المصري وجيش الميتانيين.

وقد دارت في عهد خلفه "أمنتحتب الثاني" معركة في "شمش إدوم". وفي عهد "تحتمس الرابع" كانت هناك حملة لإخماد ثورة شبت في آسيا. في عهد "حورمحب" قام في عام حكمه السادس عشر بحملة فيما بين "بيبلوس" و"قرقميش" التي كانت تحت سيطرة الحيثيين. ثم يأتي الحديث عن "سيتي الأول" ويصف معاركه مع الحيثيين وانتصاره عليهم وتخليد ذكرى الانتصارات على جدران معبد الكرنك. في عهد "رمسيس الثاني" بدأت المعارك في عام حكمه الرابع بحملة على سورية، ثم يصل السرد التاريخي إلى أشهر معارك التاريخ، معركة "قادش" مع شرح واف لأسباب المعركة وأحداثها ونتائجها والتي تلتها أول معاهدة سلام. بعد ذلك يتطرق الفصل إلى الحديث عن الغزو الآشوري لمصر ثم الحروب في العصور المتأخرة وحملة "نبوخذ نصر" على مصر والغزو الفارسي الأول والثاني.

بعد ذلك يأتي الحديث عن المعارك الحربية في العصر اليوناني وأشهرها الحروب السورية التي بدأت في عهد بطلميوس الأول واستمرت حتى عهد بطلميوس السادس. ومن أشهر معاركها معركة "رفح" التي ظهر فيها قوة وشجاعة المصريين وأعادت لهم الثقة. ومن أهم المعارك التي حدثت في العصر الروماني تلك التي واكبت غزو جيش "تدمر" لمصر تلك الحملة التي باءت بالفشل في النهاية.

الفصل الخامس يتضمن المعارك التي دارت في غرب مصر ويتحدث عن العلاقات التاريخية بين المصريين والليبيين بدء من أواخر عصر ما قبل الأسرات والتي عرفت أخبارها من نقوش ومناظر عامة أشهرها تلك المحفوظة على مقبض سكين جبل العرقي، ولوحة الصيد، صلاية العقبان، ولوحة "التحنو". في الدولة القديمة قام الملوك بحملات تأديبية لتأمين الصحراء الغربية مثل، "سنفرو"، "ساحورع"، "أوناس"، و"تي وسر رع".

في الدولة الوسطى قام ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة بتأمين الحدود الغربية. في عهد الأسرة الثامنة عشرة وفي عهد الملك "أمنحتب الأول" قامت القبائل البدوية القاطنة في الأقاليم الغربية باجتياح المراعي المثمرة في غرب الدلتا واستطاع "أمنحتب الأول" أن ينجح في طردها. قام "سيتي الأول" بحملة تأديبية ضد "أولئك الذين في أرض التحنو. وقد تطورت ملامح تلك العلاقات خلال عصر الرعامسة وتغليب الطابع الأمني عليها حماية لمصر ولحدودها، وقد وقع على "رمسيس الثاني"

عبء مواجهة تحركات "التحنو" و"التمحو" وما يليها غربا من مجموعات بشرية يظهر اسمها لأول مرة في النصوص المصرية في ارتباط مع ليبيا، "الليبو" و"المشوش" الذين تحت الحاجة والقحط تحركوا شرقا لغزو الدلتا بهدف الاستيطان بها. وقد بلغت ذروتها في محاولات المجموعات البشرية الليبية وحلفائها من شعوب البحر غزو دلتا مصر وما انتهت إليه تلك المحاولات من هزيمة مدوية لهم على يد "مرنبتاح" و"رمسيس الثالث". ولكن في مرحلة تالية تمكنوا من تأسيس سلطة سياسية لهم واستطاعوا اعتلاء عرش مصر مكونين بذلك الأسرة الحاكمة الثانية والعشرين. وفي العصر اليوناني يرد ذكر أخبار غزو "قورينى" في عهد بطليموس الأول.

الفصل السادس يتضمن المعارك التي وقعت في جنوب مصر وأهمية الحدود الجنوبية وخاصة مدينتي أسوان والفنتين اللتين كانتا تشكلان قاعدة كبيرة للعمليات الحربية المتعلقة بجمع الحملات على السودان والتي كان يقودها جنوبا الملوك الفراعنة الأقوياء حيث كانت جميع المستودعات والمؤن اللازمة لكل حملة تحمل مع الجنود التي تنقل من السفن التي كانت تحملهم حتى الشلال الأول ثم ينقلون للشلال الثاني بعد ذلك حيث يستقلون السفن المعدة لهم هناك.

يتضمن هذا الفصل أيضا الحديث عن تزايد النفوذ المصري في النوبة، ويذكر حملات "حرخوف" و"ببي نخت" في عصر الدولة القديمة، والحرب بين طيبة وإهناسيا في عصر الانتقال الأول، وحرب النوبة في عهد "منتوحتب الثاني". كما يستعرض المعارك التي جرت في هذا الجانب حسب التسلسل الزمني مرورا بالدولة الحديثة ووصولا إلى الأسرة الخامسة والعشرين ومعارك "بيعنخي" في جنوب مصر. ففي الدولة الحديثة قام "أحمس" بغزو بلاد النوبة التي انفصلت عن الإمبراطورية المصرية خلال الفترة التي سيطر فيها الآسيويون على البلاد. وقد قام الملك "أمنحتب الأول" بحملة إلى "كوش" سجلت أخبارها على مقبرة القائد "أحمس بن أبانا".

وكذلك حارب الملك "حور ام حب" النوبيين في معركة قوية انتصر فيها عليهم وقد سجلت أخبار هذه المعركة في نقش مصور على الجانب الجنوبي من الجدار الغربي للمقصورة الكبرى للملك في جبل السلسلة. أما في العصر اليوناني فقد اشتعلت الثورات ضد البطالمة في جنوب مصر وكان ملوك البطالمة يرسلون القوات لإخماد هذه الثورات مثال لذلك الثورة التي قامت في أبيدوس في عهد بطلميوس الخامس ولكن الهزيمة كانت من نصيب الجيش البطلمي. وكذلك كان الحال في العصر الروماني من إخماد ثورات المصريين بالقوة العسكرية بالإضافة إلى الغزو الإثيوبي الذي منيت به مصر في العصر الروماني ومعارك الرومان مع شعب البليمي.

الفصل السابع يتحدث عن المعارك في شمال مصر بدء من حروب توحيد القطرين بنفس الترتيب التاريخي في الفصول السابقة وحتى نهاية العصر الروماني وقد كانت الفترة التي سبقت توحيد القطرين فترة نزاع بين الشمال والجنوب. في إحدى مراحل هذا النزاع يبدو أن الجنوب تغلب على الشمال، وقد عثر في "هيراقونبوليس" التي كانت العاصمة السياسية لحكام الصعيد قبل اتحاد القطرين على بعض الآثار للملك العقرب تشير إلى أن الملك حارب أهل الدلتا وانتصر عليهم.

بعد ذلك يأتي الحديث عن حروب توحيد القطرين، والحروب الأهلية في عهد الأسرة الثانية. في عصر الدولة الوسطى اضطر الملك "منتوحتب الثاني" إلى خوض معارك مع أهل الشمال لإتمام الوحدة. في الدولة الحديثة جرت بعض معارك حرب التحرير في الشمال مثل معركة "تفروسي" ومعركة "أواريس". وفي عصر الرعامسة تظهر معاركهم مع قراصنة البحر مثل معركة "رمسيس الثاني" مع الشردانا، ومعركة "رمسيس الثالث" مع شعوب البحر.بعد ذلك يأتي الحديث عن معارك "بيعنخي" في الشمال مثل المعارك التي دارت في منف. في العصر اليوناني كانت هناك عدة معارك في الشمال مثل معركة قبرص وحرب الكرمونيد وحرب الإسكندرية، وانتهى هذا العصر بمعركة "أكتيوم" البحرية الشهيرة بين "كليوباترا السابعة" و"مارك أنتوني"

من جهة و"أوكتافيانوس" من جهة أخرى. وفي العصر الروماني شهد شمال مصر عدة معارك كتلك التي دارت بين اليهود والسكندريين في عهد كل من "نيرون" و"تراجان". وفي عهد "ماركوس أوريليوس" قمع ثورة "إيزيدور".

وقد ورد بالرسالة بعض الاقتراحات لتوظيف المعلومات التاريخية الواردة به توظيفا سياحيا مثل

١- الاهتمام بالمناطق التي توجد بها مقابر القواد العسكريين بحيث تكون جزء من البرنامج السياحي ويقوم المرشد بشرحها مع وصف المعارك التي ترتبط بها نقوش هذه المقابر.

٢- بالنسبة للمناطق البعيدة التي يصعب زيارتها يقترح عمل نسخ مصورة لهذه النقوش ووضعها في المتاحف بجانب عمل نماذج مجسمة لأحداث المعركة مثل تلك الموجودة في "متحف العلمين".

٣- بالنسبة للمعارك المنقوشة على جدران المعابد فيمكن إضافة السرد الروائي للمعركة في برامج الصوت والضوء الموجودة فعليا في المعبد وعدم الاكتفاء بالتركيز على النواحي الخاصة بالديانة وبناء المعبد فقط.

٤- عند عرض الاسلحة وأدوت القتال المنتمية لعصر من العصور في المتحف يكتب بجانبها وصف تاريخي للمعارك التي حدثت في هذا العصر والتي ربما تكون قد استخدمت فيها هذه الأسلحة.

٥- يكتب بجانب تمثال كل ملك المعارك التي خاضها والحملات التي قام بها كشرح تاريخي إضافي لحياة الملك وإنجازاته مما يساعد في إثراء المعلومة التاريخية لدى المرشد السياحي.

٦- إضافة المعارك الحربية الشهيرة مقسمة حسب عصورها التاريخية إلى "بانوراما أكتوبر" كجزء مجيد من التاريخ المصري لا ينفصل في وطنيته عن انتصارات العصر الحديث.

٧- بالنسبة للمعارك التي ذكرت أخبارها على آثار خارج مصر يمكن عمل صور بالأحجام الطبيعية لها مثل تلك الموجودة في المتحف المصري لحجر رشيد.

مقدمة

لقد قامت الحياة الإنسانية منذ بدء الخليقة على الصراع بين الخير والشر. وقد تطور هذا الصراع بتطور الحياة وتعدد الاحتياجات والمطالب، فعندما كان الإنسان يعيش على الصيد والتنقل كان يصارع للحصول على احتياجاته الأساسية وعلى الوصول إلى مناطق الماء والكلأ، لكن بعد معرفة الزراعة والاتجاه إلى الاستقرار تغيرت دوافعه فأصبح يصارع للحفاظ على أرضه وشيئا فشيئا أصبحت هذه الأرض دولة لها حدود ونظام حكم فأصبح يتطلع إلى مد هذه الحدود على حساب الأراضي المجاورة فنشأت الحروب بين الدول إما بسبب الأطماع أو للدفاع عن الحدود بسبب الأطماع المقابلة، ومن أجل ذلك كانت دراسة المعارك الحربية جزء لا يتجزأ من التاريخ ولا ينفصل عنه وقد وجدت كثيرا من الدراسات السابقة تهتم بالملوك المحاربين في مصر القديمة وتدرج المعارك التي خاضوها في سياق السرد التاريخي، فرأيت أن أقوم بعمل يجمع أهم هذه المعارك في تاريخ مصر القديمة حتى نهاية العصر اليوناني الروماني في تسلسل تاريخي عبر العصور المختلفة مع منهج وصفي تحليلي يذكر أسباب تلك المعارك وأحداثها ونتائجها ومدى تأثيرها في التحول التاريخي للأمم السابقة.

وقد بدأت البحث بالحديث عن المفردات والمصطلحات الدالة على المعارك في اللغة المصرية القديمة، ثم تحدثت في الفصل التالي عن الجيش المصري القديم وأسلحته ودوره في الحياة السياسية ثم قسمت البحث حسب العصور التاريخية منذ الدولة القديمة وحتى العصر الروماني. وسوف يلاحظ القارىء أن المعارك في الدولة القديمة والوسطى لا تحظى بشرح واف مقارنة بمعارك الدولة الحديثة والعصر اليوناني وذلك بسبب قلة المصادر المكتوبة في هذه الفترة.

كان شمال شرق مصر هو أخطر الجهات التي منيت مصر بالغزو الخارجي عن طريقها منذ أقدم العصور وحتى تاريخنا المعاصر، فقد كانت مصر مكشوفة وعرضة للهجوم وإن كان ذلك في بقعة محددة بالذات. كان الطريق من وإلى فلسطين يمر بشمال شبه جزيرة سيناء مسيرة ما يقرب من تسعين ميلا من القنطرة إلى العريش على أرض شاسعة رملية جافة ولكن هذه المسافة لم تكن كافية لتعوق الطامعين في خيرات مصر. وأما بعيدا إلى الجنوب فقد كانت مصر آمنة لأن خليج السويس ومن ورائه البحر الأحمر كانا يمثلان خط دفاع بل والأكثر من ذلك أنه كان يفصلهما عن طريق النيل جبال ترتفع أحيانا إلى أربعة آلاف قدم.

كان التهديد الغربي يتمثل في ليبيا، والرقعة الغربية من مصر تكاد تكون صحراء تماما ولكن يجب الوضع في الاعتبار أن الجفاف الذي حل بها كان خلال الخمسة آلاف عام الماضية فقد كان هناك إقليم مأهول بالسكان تشغله مراع وأرض صالحة للزراعة وعلى أية حال فإن مصر لم تتعرض لأخطار جسيمة من هذه الجهة إلا على أيام الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين بسبب هجمات شعوب البحر. غير أن الطريق في الشمال الغربي ممهد بسبب وجود السهل الساحلي للبحر المتوسط فكان الغزو دائما يأتي من الشمال الغربي أما الجنوب الغربي فقد كان مؤمنا بسبب الطبيعة الجغرافية لبحر الرمال العظيم.

أما عن الحدود الجنوبية فقد كانت مفتوحة على الدوام ولا لبس فيها لأنها الامتداد الطبيعي لمصر بكل مقوماتها الطبيعية المتمثلة في نهر النيل والأراضي المحيطة به وكان المصريون يعتبرونها كذلك. ولذن اتجه الباحث إلى خارج الحدود المصرية وبدأ من الجنوب لرأى أنه في وسط الطريق لجبل السلسلة يتغير شكل الأرض تماما فهناك يمر من إقليم الحجر الجيري الذي يشكل الكتلة الضخمة لمصر، إلى إقليم خشن من الحجر الرملي يمتد جنوبا إلى مسافة ألف ميل من ناحية السودان ولا يعوق هذه المرحلة سوى خط قصير قبل الجندل الأول. ويتكون الجندل من تيارات نهرية بسبب وجود كتل ضخمة من الجرانيت الأحمر أو الأسود تعترض الطريق وقد جعلت هذه لمصر حدودها الطبيعية.

أما من ناحية البحر المتوسط الذي يشكل الحد الشمالي لمصر فليس هناك ما يقال سوى أن البلاد قد أصبحت مكشوفة من هذه الناحية حين أصبح مغامرون من أبناء البحر أكثر جرأة، ولابد أن الاتصال بكريت كان قائما منذ زمن بعيد لأن الثقافة المينووية تقدم دلائل قوية على التأثير المصري، أما الاتصال البحري المباشر من هذه الناحية فلا توجد عليه دلائل مؤكدة، أما عن أول هجوم بحري تعرضت له مصر فكان في العام الثامن من حكم "رمسيس الثالث".

تنقسم المعارك الحربية إلى:

١- معارك تحرير وصد للعدوان مثل معارك حرب التحرير ضد الهكسوس.

٢- معارك لتأمين الحدود، وبسط نفوذ مصر في الأراضي المجاورة، مثل الحروب مع الحيثيين والميتانيين.

٣- معارك لإخماد الثورات وتأديب المتمردين، مثل الحملات المرسلة إلى سيناء وإلى النوبة. وقد ظهر هذا النوع من المعارك بوضوح في العصر الروماني حيث زادت ثورات المصريين وكان الرومان يقومون بقمع هذه الثورات بالقوة العسكرية.

٤- معارك بين شمال مصر وجنوبها بهدف توحيد القطرين مثل حروب عصر التأسيس وعصر الانتقال الأول.

الفصل الأول

المعارك في اللغة المصرية القديمة

المفردات المستخدمة في نصوص المعارك

ارتبط وصف المعركة بمصطلحات مرتبطة ارتباطا مباشرا بصفات ونعوت الملك ومهاراته مثل القوة phty[1]، الحرارة hh[2]، أما الكلمات التي تشير إلى المواجهة الحربية في المعركة فهي قليلة، وتشير معظم المصطلحات إلى التأثيرات المدمرة للأحداث الحربية في صيغة المبني للمجهول لتصف هزيمة الأعداء.[3]

w'w' :[4]

هذا المصطلح يعرف بأنه العدو في حلبة الصراع، ويعني أيضا، "يقتل، يذبح، يجزر"، أما الفعل w'w'، فيظهر مرتين في أشعار معركة قادش، ولكنه غير موجود في وثائق الحرب الخاصة بسيتي الأول أو مرنبتاح.[5]

Ptpt :

هذا الفعل يعبر عن التعامل مع العدو، ومعناه: "هم يسحقون، يهزمون"؛ وتكتب أيضا على أنها دوسة الثور "العدو الساجد تحت دوسة الثور" وقد وظف هذا المصطلح على نطاق واسع في النقوش الحربية للأسرتين التاسعة عشرة، والعشرين. خلال عصر سيتي الأول وجد سبع عشرة مرة في لوحة "بيسان" الأولى، وإحدى عشرة مرة في السجلات الشرقية والغربية لصالة الأعمدة بالكرنك، في حملته ضد "ينعم"، لبنان، وفي حملاته ضد الحيثيين والليبيين، كما يظهر أيضا في بيت الوالي في مناظر الحروب السورية والليبية غير المؤرخة، وفي مناظر الاحتفالات، وفي وادي السبوع، وأماكن أخرى كثيرة.[7] ويستخدم أيضا بمعنى "يبطط" (المستخدم في العامية المصرية حاليا)[8]

:hm[9]

معناه "يستولي على". ظهر في عصر رمسيس الثالث في مقارنة الملك بمونتو، وظهر أيضا في لوحة مرنبتاح في وصف الاستيلاء على مدينة "جازر"، وهذا لا يمنع تدمير المدينة. وقد استخدم هذا المصطلح كصفة نمطية للملك مثل الحيوانات الكاسرة أو مثل مونتو بمعنى "يقبض على فريسته".

hf :[10]

هذا المصطلح له معان كثيرة ولكن المعنى الغالب هو "الذي ينهب أو يسلب المدينة".[11]

---

[1] Erman, A.,& Grapow, H., Aegyptisches Handwörterbuch, Berlin, 1921, p.55
[2] Faulkner, R.O, "A Concise Dictionary of Middle Egyptian", Oxford, 1976, p. 160.
[3] Hasel, M.G., "Domination and Resistance: "Egyptian Military Activity in The Southern Levant", p. 28.
[4] Faulkner, R.O. Ibid, p. 56.
[5] Hasel, Ibid., p. 28; ***Wb***, I, p. 280.
[6] Erman, A.,& Grapow, H., Ibid., p.56.
[7] Hasel, Ibid, p. 31; ***Wb***, I, p. 563.
[8] عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص ٣٢٥.
[9] Erman, A ., Egyptian Grammar, Edinburgh, 1894, P. 57
[10] Erman, A.,& Grapow, H., Ibid., p.126.
[11] Hasel, Ibid, p.35.

sksk : [12]

يظهر هذا المصطلح غالبا كنعت للملك، هو الملك الذي يحطم كل بلد (t3 nb) يسحق القواد والأراضي الأجنبية h3swt [13] والأقواس التسعة psdt pḏt [14] ، والمهم أن هذا الفعل استخدم مرتين ليصف تدمير وتسوية القرى والمستوطنات. [15]

nwh: [16]

بمعنى "يربط"، ظهر في مناظر احتفال سيتي الأول في الكرنك، وفي القائمة الطبوغرافية لرمسيس الثالث، وفي الحالتين يظهر "أمون رع حر أختي" يربط الأعداء للملك وهم مجتمعون في قبضته. يظهر أمون أمام الملك يسلمه سيفا من الطراز المنجلي ليتولى التعامل مع الأسرى المقيدين.[17]

hwi: [18]

ومعناه يضرب أو يقهر. استخدم في سجلات الحرب في الدولة الحديثة فقد كتب عشر مرات في نقوش "سيتي الأول"، كما ظهر ثمان عشرة مرة في عهد رمسيس. [19]

hwtf: [20]

يشير إلى فعل غير مشروع من جيران مصر كالقيام بعمل عدواني ضدها.

hsk: [21]

يقطع ذراع، ساق، رأس، يقتلع قلب، وقد ظهر مرتين في عهد "سيتي الأول" في حملته من "سيلا" إلى "با-كنعان"، وقد ظهر في صالة الأعمدة بالكرنك ومعبد الكنايس في قائمة الاحتفالات. وظهر مرة في عهد رمسيس الثاني على الصرح الثاني في الكرنك.[22]

hdb: [23]

جاء بمعنى يقلب، يلقي، يقهر.[24]

sd: [25]

جاء هذا الفعل بمعنى "يسحق، يضرب، يهزم".[26]

---

[12] Erman, A.,& Grapow, H., op. cit, p.173.
[13] Erman, Aegyptisches Glossar, die Haufigeren Worte der Aegyptischen Sprache, Berlin, 1904, p. 91.
[14] Erman, op. cit., p.45.
[15] Hasel, op. cit., p.36
[16] Erman, Ibid., p.60.
[17] Hasel, Ibid, p.36.
[18] Erman, Ibid., p.82.
[19] Hasel, Ibid, p.32.
[20] Erman, A.,& Grapow, H., Ibid, p.١٠٦.
[21] Ibid, p.116.
[22] Hasel, Ibid, p.38
[23] Ibid, p.119.
[24] Hasel, Ibid, p.38, 39.
[25] Faulkner, op. cit., p. 256.
[26] Hasel, Ibid, p.59.

gbgb: [27]

ظهر فقط في الأسرة التاسعة عشرة في نقوش "رمسيس الثاني" الحربية واستخدم على نطاق واسع في سجلات معركة قادش، في نسخ متعددة من الشعر، وظهر مرة واحدة في معبد "سيتي الأول" في "أبيدوس"، كما ظهر مرتين في نقوش "رمسيس الثالث". يستخدم هذا المصطلح عندما يوصف الأعداء على أنهم أكوام من الجثث أمام خيول الملك، فهو يصف العنف والتدمير فعلا ضد البشر وليس ضد المدن.[28]

titi : [29]

معناه "يهزم، يسحق". ظهر هذا المصطلح على نطاق واسع في نقوش "سيتي الأول" في معبد الكرنك.[30]

dr: [31]

استخدم بمعنى "يقهر الأعداء، يطرد، يقمع، يحطم"، وقد ظهر في السجلات الحربية للأسرتين التاسعة عشرة والعشرين.[32]

imi: [33]

فعل بمعنى "يحضر، يجلب" يغتنم"، ظهر في سجلات الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، كما ظهرت اثنتا عشرة مرة في عهد "سيتي الأول".[34]

inw: [35]

جاء هذا المصطلح بمعنى جزية، غنيمة، ضريبة. [36]

h3k(w) , h3k(t): [37]

جاء هذا المصطلح أربع مرات في نقوش "سيتي الأول" وهو يعبر عن معنى "أسير، أسرى، منهوب، غنيمة".

---

[27] Erman, A.,& Grapow, H., op. cit., p.198.
[28] Hasel, op. cit., p.61
[29] Erman, A.,& Grapow, H., Ibid, p.202.
[30] Hasel, Ibid, p.61.
[31] Erman, A., & Grapow, H., Ibid., p.215.
[32] Hasel, Ibid., p.62.
[33] Erman, A., & Grapow, H., Ibid., p.215.
[34] Hasel, Ibid, p.65.
[35] Erman, A., & Grapow, H., Ibid., p.14.
[36] Hasel, Ibid, p.69.
[37] Erman, A., & Grapow, H., Ibid., p.104.

ʒbḫ 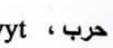 : يلتحم في المعركة [38]

iry pḏt رامي القوس [39]

ihw معسكر [40]

iṯḥ حصن، قلعة [41]

ʿḥʒ محارب، مقاتل

ʿḥʒw سلاح، سهم

ʿḥʒt أرض المعركة

ʿḥʒt سفينة حربية [42]

ʿḥʒwty محاربون [43]

pḏty رامي القوس [44]

mšʿ جيش، جنود

mšʿ حملة ، mšʿ يقوم بحملة

mšʿ زحف [45]

r-ḫt أسلحة [46]

pri أرض المعركة [47] ، pgʒ [48]

hd هجوم [49]

[38] Faulkner, R.O, op. cit, p. 2
[39] Ibid, p. 25
[40] Ibid, p. 28
[41] Ibid, p. 34
[42] Ibid, p. 46
[43] Erman, A., & Grapow, H., op. cit., p.28.
[44] Faulkner, R.O, op. cit, p. 97
[45] Ibid, p. 119
[46] Ibid, p. 146
[47] Ibid, p. 91
[48] Ibid, p. 96

ḫrwyw حرب ، ḫrwyt [50]

ḫdb يقتل [51]

snbw مزاغل [52]

snny جندي المركبة [53]

skw معركة [54]

ḳmʒw رتبة عسكرية [55]

kfʿw محارب [56]

tkk يهاجم [57] [58]

inḥ يحيط، يحاصر [59]

mnw حصن، قلعة

sḳr- ʿnḫ أسير

it يسلب [60] ski يدمر [61]

šdi يسلب [62]

[49] Erman, A., & Grapow, H., op. cit., p.101.
[50] Faulkner, R.O, op. cit., p. 196
[51] Erman, A., & Grapow, H., Ibid., p.140.
[52] Faulkner, Ibid, p. 231
[53] Ibid, p. 232
[54] Ibid, p. 251
[55] Ibid, p. 278
[56] Ibid, p. 285
[57] Ibid, p. 302
[58] عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ط ٧، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٨٠
[59] المرجع نفسه، ص ١٧٠
[60] المرجع نفسه، ص١٧١
[61] المرجع نفسه، ص١٨٠
[62] المرجع نفسه، ص١٨١

مسميات الأسلحة

القوس:

في الدولة القديمة كان يطلق عليه اسم "إيونت" iwnt ، ومن أشكال كتابتها في الدولة القديمة ، [٦٣] وأطلق عليه أيضا pḏt ومن أشكال كتابتها أيضا في الدولة القديمة ، [٦٤] أما في الدولة الوسطى فكانت تكتب بالأشكال التالية: ، ، ، ، و pḏty رامي القوس وفي عصر الأسرة التاسعة عشرة كتبت: ، [٦٥] وا لجدير بالذكر أن المقاطعة الأولى من مقاطعات مصر العليا كانت تسمى باسم أرض القوس أو "تا ستي" وقد ذكرت في دهليز معبد الشمس الذي شيده الملك "ني وسر رع"[٦٦]، ، [٦٧] t3 sty وقد كتبت بهذا الشكل في العصر المتأخر[٦٨] وهناك نقش من معبد الملك "أمنمحات الأول" في اللشت يصور رماة الأقواس، (شكل١٢)

الترس:

أطلق عليه في عصر الدولة الوسطى اسم "إقم" ikm واستمرت هذه الكلمة تعبر عن الترس حتى العصر الروماني. ومن أشكال كتابته في الدولة الحديثة: ، [٦٩] وكانت تعبر كذلك عن أسلحة الحماية من الجلد أو المعدن. وفي عصر الأسرة التاسعة عشرة ظهرت كلمة kr῾w بمعنى الترس وكانت تكتب أيضا [٧٠]

الخوذة:

كانت تسمى في عصر الأسرة الثامنة عشرة "دبن ان تب" وأحيانا تكتب [٧١]

الزرد (القميص الواقي):

ظهرت في الأسرة الثامنة عشرة كلمة "مسس ان عحا" mss n ῾ḥ3 [٧٢]

---

[63] *Wb*, I, 55, 2.
[64] *Wb*, 569
[65] مجدي عبد السلام محمد، "مناظر القتال وحصار المدن في فن النقش الآشوري في عصر الامبراطورية مع مقارنتها بما في فن النقش المصري القديم حتى نهاية عصر الدولة الحديثة"، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٠.ص ٣١١؛ Faulkner, op.cit, p. 97
[66] Helck, W.,: Die Altagyptishen Gaue, Wiesbaden,1974, 86.
[67] - ذكرت في المراسيم القبطية، Helck, op. cit, 86
[68] *Wb*, Vol. III, p. 488
[69] *Wb*, I, 139, 13.
[70] مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه،ص ٣١٢؛ *Wb*, V, 59, 11
[71] مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه، ص ٣١٢؛ *Wb*, V, 438, 1
[72] مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه، ص ٣١٢؛ *Wb*, II, 149, 7

البلطة:

سميت في الدولة القديمة "ميبت" mibt [٧٣] ، وفي الدولة الوسطى سميت "مينب" minb وكانت تعبر عن البلطة كسلاح وقد كتبت كذلك: ، ، وفي الدولة الحديثة كتبت ، [٧٤]، وفي عصر الأسرة الثامنة عشرة سميت "أقحو" 3ḳḥw وكانت تعبر عن بلطة الحرب[٧٥] وأحيانا كانت تكتب iḳḥw [٧٦] و فاس الحرب[77]وقد كتب كذلك مخصص نصل البلطة كما ظهر في الدولة الحديثة أيضا اسم "قردجن" ḳrḏn بمعنى البلطة وقد كتبت كذلك [٧٨]

الحربة (الرمح):

ذكر الرمح في نصوص الأهرام من عصر الدولة القديمة باسم "مع با" m῾b3 [٧٩] ، وسمي أيضا "عببت" ῾bbt [٨٠] ، وفي عصر الدولة الوسطى كتبت بالشكل التالي ، أما في الدولة الحديثة فقد سميت "حنيت" ḫnit وكتبت كذلك: ، [٨١] ، وفي عصر الأسرة التاسعة عشرة سميت الحربة "نيوي" niwi ومن أشكال كتابتها أيضا: ، [٨٢] وقد سميت المقاطعة السابعة من مقاطعات مصر السفلى بمقاطعة الرماح الغربية ḫwy- imnty ، [٨٣] ، كما سميت المقاطعة الثامنة بمقاطعة الرماح الشرقية ḫwy- i3bty [٨٤] ، [٨٥]

الخنجر:

سمي في الدولة الوسطى "باجسو" b3gsw ومن أشكالها ، ، كما كان يسمى أيضا "متفت" mtft [٨٦] وقد ظهر في متون التوابيت من نفس العصر كلمة "متبنت" mtbnt وكانت تعبر عن جراب الخنجر وكانت أحيانا تكتب

---

[73] *Wb*, II, 42, 14.
[74] *Wb*, II, 44, 8.
[75] *Wb*, I, 22,1.
[76] *Wb*,138, 18.
[77] Faulkner, op. cit., p. 32
[78] مجدي عبد السلام محمد، "مناظر القتال وحصار المدن"، ص ٣١٣؛ *Wb*, V, 66, 7.
[79] *Wb*, II, 47,1.
[80] *Wb*, I, 178,13
[81] *Wb*, III, 110,11.
[82] مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه، ص ٣١٤؛ Wb, II, 202,15.
[83] Gomaa, Die Besiedlung Ägyptens, während des Mittleren Reiches, Wiesbaden, 1987, Vol.II, p.116.
[84] - ضحى محمد سامي، الآلهة في شرق الدلتا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٦ ص١٥.
[85] Gomaa, Ibid , Vol.II, p.126.
[86] *Wb*, I,432, 5.

[87] ، أما في عصر الأسرة الثامنة عشرة فقد كان يطلق عليه أيضا اسم "مشو" mšw 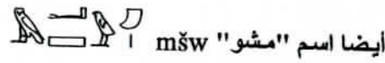

السيف:

في الدولة القديمة كان يسمى "شعت" š<t [89] وكانت هذه الكلمة تعبر عن السكين وكذلك عن السيف، وقد وردت في نصوص الأهرام؛ وفي الدولة الوسطى ظهرت كلمة "خبش" ḫpš [90] بمعنى "سيف" وأحيانا كانت تأخذ مخصص ، أطلق على السيف أيضا مسمى "دمت" dmt وكانت تعبر عن السيف كسلاح وأحيانا كانت تكتب بدون [91]. في الدولة الحديثة كانت كلمة "حرب" ḫrp ، تعني السيف ومن أشكال كتابتها [92] وفي عصر الأسرة الثامنة عشرة ظهرت كلمة "سفت" sft بمعنى سيف، ومن الأشكال التي كتبت بها ، وفي عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين زاد عليها مخصص نصل البلطة فكتبت ، وفي العصرين اليوناني والروماني كتبت بالشكل التالي [93]

العربة (العجلة الحربية):

بدات معرفة المصريين بالعجلات الحربية مع دخول الهكسوس لذا فقد ظهرت في اللغة المصرية القديمة في عصر الدولة الحديثة وكانت كلمة "عجرت" grt [94] وكانت تعبر عن العربة بصفة عامة [95]، وظهرت أيضا كلمة "مركبت" mrkbt وكانت تعني العربة الحربية ومن أشكال كتابتها ، وكذلك [96] وفي الأسرة الثامنة عشرة ظهرت كلمة "وريت" wrrit وكانت تعبر عن العربة وبصفة خاصة العربة الحربية ومن أشكال كتابتها ،

---

[87] *Wb*, II, 170, 6.
Wb, II, 157,2

[88] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص ٣١٥؛

[89] *Wb*, IV, 417,9

[90] *Wb*, 270, 8.

[91] *Wb*, V, 450,.

[92] *Wb*, III, 149, 6.
Wb, III, 442, 7

[93] مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه، ص ٣١٧؛

[94] *Wb*, I, 263, 7.

[95] *Wb*, II, 113,4.
Wb, II, 334, 1

[96] مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه، ص ٣١٩؛

ظهور تعبيرات جديدة:

أدى استخدام ألقاب الشرف ومنح الأنواط والميداليات سواء لرجال السلك العسكري العاملين بالخدمة أو الذين انيط بهم تولي المناصب الإدارية المدنية بعد ترك الخدمة أو لكبار الموظفين المدنيين العموميين إلى ظهور تعبيرات مجازية غيرت في طابع وأسلوب اللغة المصرية بشكل غير مسبوق من قبل.

وقد دخلت على اللغة تركيبات وأوصاف وتشبيهات جديدة لم تكن مستخدمة من قبل في وصف وتمجيد شجاعة الجيش وحسن أدائه، وقد ظلت هذه الأساليب مستخدمة حتى عصر رمسيس الثالث الذي كتب على جدران معبد مدينة هابو يصف شجاعة جنوده بأنهم "كانوا يزأرون مثل الأسود في الجبال"، كما وصفت إحدى الوحدات العسكرية في عهد "تحوتمس الثالث" بأن جنودها هم "شجعان الملك". كذلك فقد ظهرت تعبيرات عسكرية أخرى مثل "جيش صاحب الجلالة" وتعبير "جيشنا".[97]

---

[97] أحمد قدري، المؤسسة العسكرية المصرية في عهد الإمبراطورية،١٥٧٠ق. م.- ١٠٨٧ ق. م.، ترجمة: مختار السويفي، محمد العزب موسى، مراجعة: محمد جمال الدين مختار، مشروع المائة كتاب، ص١٩، ٢٠.

الفصل الثاني

الجيش المصري

فكرة الجيش في مصر القديمة

أولا: في الدولة القديمة:

لم تعرف مصر في البدايات الأولى من تاريخها تكوين جيش نظامي موحد للدولة بأكملها وإنما اكتفى حكام الأقاليم بتكوين فرق خاصة لهم مدربة ومجهزة بالأسلحة والعتاد ليدافعوا عن أقاليمهم وخصوصا تلك الواقعة على حدود مصر وكانت هذه الفرق تستخدم أيضا في فترات الصراع الداخلي بين حكام الأقاليم الذين كان يسعى كل منهم لكسب المزيد من الأرض لتضم لإقليمه،[98] كما كان لها أيضا "دار السلاح" الخاصة بها، وكان هناك أيضا فرق ضياع المعابد الكبيرة، وكان رئيس كهنة هليوبوليس يسمي نفسه "قائد الجند".

هناك أيضا جنود إدارة بيت المال والفرق المساعدة للرؤساء المخلصين لبلاد النوبة الشمالية.[99] وإلى جانب فرق حكام الأقاليم كانت هناك فرقة أو أكثر تدافع عن عاصمة البلاد ومنذ الأسرة الأولى ظهر لقب قائد الجيش إلا أن هذا اللقب لا يعني أن حامله كان قائدا لجيش موحد وإنما كان قائدا لفرقة عسكرية تقوم بدورها في فترات الصراع الداخلي والدفاع عن حدود مصر ضد هجمات المتسللين وكان يجري تسريح هذه الفرق في وقت السلم للمساهمة في الأعمال المدنية والتي من بينها حراسة البعثات التي يوفدها ملوك مصر لاستثمار المناجم والمحاجر وللتجارة.

كان الجيش مستقلا عن الشرطة التي كانت تتبع قطاعا آخر في الإدارة الفرعونية وكان يتكون من عدة فئات من العاملين، منهم من كان يلحق بشخص الملك أو كان يتولى الدفاع عن البلاد أو حفظ النظام في الأقاليم. وكان الجيش بمعناه الحقيقي يتكون من المشاة وحدهم وذلك حتى بداية عصر الدولة الحديثة عندما بدأت الاستعانة بالمركبات أيضا.

كان الملك منذ العصر الثيني هو المسئول المباشر عن الجيش، وفي كثير من الأحيان باشر الملك هذه المسئولية بنفسه لما كان لها من أهمية أساسية بالنسبة للنظام الملكي الفرعوني، وفي أحيان أخرى كان يعهد بهذه المأمورية إلى قواده وكان الملك يحيط نفسه لمباشرة هذه المسئولية برجال محل ثقة كانوا يساعدونه في تجنيد العدد اللازم وفي إعداد القيادات والإدارات العسكرية المناسبة. وكان "أوني" يشغل منصب مدير المستخدمين في البيت الكبير عندما كلفه الملك "ببي" الأول بتجنيد قوات استثنائية وبتولي قيادتها وبتنظيم الحملات ضد "العامو ساكني الرمال" إلى أن يتم تحقيق النصر النهائي.

وقد تأسس فيما بعد جيش محترف كان يتناسب مع الضرورات التي كانت تعرض في البلاد ويقوم على تدرج رئاسي متخصص ولكن يوجد فيه أيضا مسئولون من أعلى المراتب الوظيفية في الدولة لمساعدة الملك في الشئون المتعلقة بالجيش، فنجد أن الملك أرسل أثناء معركة قادش وزيره وعديدا من ندمائه إلى مختلف فرق الجيش التي لم يكن يقودها بنفسه، وكانت مهمة هؤلاء الرسل تعريف قادة الجيش بتطورات الموقف ودعوتهم إلى تقديم المساعدة.

لقد كان دور الملك بالنسبة للجيش هاما للغاية، وعندما جلس على العرش من كان لايستطيع قيادة الجيش أو من كان لا يريد التدخل شخصيا في شئون الجيش مثل الملكة "حتشبسوت" والملك "أمنحوتب الثالث" والملك "أمنحوتب الرابع" كان الوضع العالمي لمصر يتأثر بذلك كثيرا بالرغم من المجهودات الدبلوماسية التي كان يبذلها هؤلاء الملوك.

وبالإضافة إلى قوات الجيش الدفاعية منها والهجومية كانت توجد أيضا تشكيلات شبه عسكرية تتولى بصفة يومية حماية الأمن في أقاليم ومدن مصر، وقد خضعت هذه الميليشيات لحكام الأقاليم ورؤساء المدن إلا أن ألقاب هذه التشكيلات كانت تختلط مع ألقاب الجيش. والأرجح أن هذه الميليشيات كانت تمثل طاقة إضافية يلجأ إليها لتدعيم الجيش عند اللزوم بمناسبة وقوع حرب بحيث تباشر عندئذ نفس مهام القوات النظامية.

---

[98] عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، القاهرة ، ٢٠٠٧، ص٣٩٤، ٣٩٥.

[99] أدولف إرمان، وهرمان رانكي، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر، ومحرم كمال، القاهرة، ب. ت، ص٥٩٩

وعندما انقسمت البلاد على نفسها من الناحية السياسية كانت هذه الميليشيات هي القوات الرئيسة التي تستخدمها السلطات المتجابهة. لقد كان الفرق بين الجيش والميليشيا يتمثل إذن في السلطة الرئاسية التي يخضع لها كل منهما كما كان الفرق يتمثل أيضا في عدد الرجال المخصص لكل منهما.[١٠٠]

ومنذ عهد الأسرة الخامسة بدأت تظهر في مصر بواكير جيش نظامي وأصبح الأمر أكثر وضوحا منذ الأسرة السادسة وخصوصا في عهد أشهر ملوكها "ببي الأول" والذي في عهده قام البدو القاطنون على حدود مصر الشرقية بإحدى غاراتهم على الدلتا ولما كانوا أكثر من أن تستطيع فرق المقاطعات الواقعة على الحدود مواجهتهم فقد قام الملك باستدعاء جميع الفرق العسكرية لتعمل تحت إمرة أحد كبار رجال عهده وهو "وني".

هكذا خاض الجيش المصري أول معركة حقيقية في هذه الفترة المبكرة نسبيا من تاريخ مصر القديم وكتب له فيها النصر علي سكان فلسطين وبدا واضحا أن مصر أصبحت بحاجة إلى جيش قوي يحمي أرضها كلما فكر معتد في غزو هذه الأرض، ومرت مصر بعصر الانتقال الأول الذي شهد صداما بين جيوش الأقاليم طمعا في أن ينال هذا الإقليم أو ذاك شرف إعادة توحيد قطري مصر.[١٠١]

تقول موسوعة كمبردج في التاريخ القديم عن الجيش المصري القديم: "كان جيشا وطنيا هائل الحجم، يتألف معظمه من جنود محترفين سواء من الجنود العاملين في الخدمة العسكرية أو جنود الاحتياط، ويقوم على قيادته ضباط محترفون مدربون على أعلى مستوى، ويؤدون وظائفهم وواجباتهم الحربية في إدارة الفرق والأسلحة المنوطة بهم قيادتها بشكل منظم ومنسق ودقيق كما لو كانوا حلقات مترابطة في سلسلة القيادة العامة".

من هذا النص يظهر بوضوح أن المصريين هم أول من كون "هيئة الضباط" أو "هيئة أركان حرب" التي تؤدي وظيفة العقل الإداري والتنظيمي والحربي في الجيوش الحديثة حتى الآن. وفي الدولة الحديثة ظهرت كثير من التراتيل الدينية ذات الصيغة العسكرية كما نسبت أقوال إلهية نطق بها الآلهة المصريون لتمجيد وتعظيم الانتصارات التي كان يحققها الفراعنة المحاربون وقد أدت هذه الروح الحربية إلى ظهور نعرة التفاخر والزهو بشرف الانتماء إلى الخدمة العسكرية وإلى السلك العسكري بصفة عامة وقد منحت الأنواط والميدايات إلى الضباط والجنود على حد سواء وذلك تمجيدا لشجاعتهم وتفانيهم في أداء الخدمة وواجباتهم العسكرية فهناك لقب "شجعان الملك" و"النوط الذهبي للمجد" و"النوط الذهبي للشجاعة".[١٠٢]

في القرن الحادي والثلاثين ق. م. تم توحيد قطري مصر على يد الملك "نعرمر" وبدأت ملامح النظام الإداري تتضح، وأصبح هناك على رأس الدولة ملك تتبعه مجموعة من الأجهزة والإدارات وأدرك ملوك مصر منذ الوهلة الأولى أن من بين عوامل تحقيق الاستقرار الداخلي تأمين حدود البلاد حيث بدأ يظهر في الأفق بعض المتسللين على حدود مصر الشرقية والغربية والجنوبية. من هنا بدأت فكرة تكوين قوات حراسة وحاميات صغيرة لتأمين هذه الحدود ومواجهة أية محاولات للتسلل.

والدارس لشخصية الإنسان المصري القديم سوف يدرك أنه كان يجنح للسلم ولا يميل للحرب، كما أن نهر النيل كمصدر ثابت للمياه قد منحه قدرا كبيرا من الأمن والأمان والاستقرار وإن كان بعض المؤرخين القدامى والمحدثين قد أساءوا فهم شخصية المصري القديم وميله للسلم وفسروه على أنه ضعف وعدم قدرة على المواجهة وبناء الجيوش.[١٠٣]

إن المصريين وإن كانوا كثيري العدد إلا إنهم كانوا لا يميلون إلى الحروب ويرجع ذلك من جهة إلى اكتفاء البلاد الغنية بمواردها، ومن ناحية أخرى إلى عزلتها عن جيرانها الذين لم يتسموا هم كذلك بصفات حربية كبيرة.[104] ولكن أحداث التاريخ المصري القديم تبرز لنا بوضوح أن المصري القديم كان قويا في سلمه وحربه بل كان متحضرا في

---

[100] جونيفييف هوسون، دومينيك فالبيل، الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان، ترجمة: فؤاد الدهان، ط١، القاهرة، ١٩٩٥، ص١٤٤، ١٤٥.
[101] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٣٩٤- ٣٩٧.
[102] أحمد قدري، المرجع السابق، ص١٧، ١٨.
[103] عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص٣٩٣، ٣٩٤.
[104] أدولف إرمان، وهرمان رانكي، المرجع السابق، ص٥٩٨.

معاملة أسراه وظل لفترة طويلة يبني بلده من الداخل وما كان يلجأ إلى الحرب إلا دفاعا عن النفس لكنه أدرك أن هناك من يسعى لتهديد أمنه واستقراره فكان يخرج ليذود عن أرضه وعرضه.[١٠٥]

كان منصب القائد الأعلى للجيش المصري منصبا قاصرا على الملك وحده كما أن ولي العهد كان يتولى عادة منصب "القائد العام للقوات المصرية" وكان يقيم في مقر القيادة العامة للجيش بمدينة منف.[١٠٦] ومن الغريب أن لقب "كاتب الجيش" sš mšʿ كان نادرا جدا في عصر الدولة القديمة ولم نعرف من حاملي هذا اللقب إلا أربعة كان أشهرهم المدعو "كاعبر" الذي كانت ألقابه تتكون من سبعة وعشرين عنصرا من بينهم سبعة كانت تتعلق بمهام ذات طابع خاص وهي: كاتب الجيش الملكي في "أونت" و"سرر" و"تبا" و"إدا" وفي شرفة الفيروز وفي البلدان الأجنبية الغربية الشرقية. وقد لوحظ أن استخدام هذا اللقب كان معتدلا في عصر الدولة الوسطى وقد استخدم بصفة خاصة في السنة الخامسة والعشرين من حكم الملك "أمنمحات الثالث" بمناسبة تجنيد القوات في إقليم "أبيدوس".[١٠٧]

في الدولة القديمة كان اللقب imy-r mšʿ [١٠٨] يعبر في كثير من الأحيان عن رتبة مبهمة من رتب الضباط أكثر مما يعبر عن منصب محدد في الجيش، وأحيانا كان صاحب هذا اللقب يتولى الإشراف على بعض الوحدات المتواضعة. وكان اللقب مرتبطا أيضا بتنظيم البعثات إلى المناجم والمحاجر وإلى البلدان المجاورة وخاصة إلى بلاد النوبة وكانت كلمة mšʿ [١٠٩] تعني في هذه الحالة "بعثة" وكانت imy-r [١١٠] تشير إلى مسئولية "مدير" شبيهة بعشرات مثلها من المناصب التي كانت الإدارة تزخر بها في جميع العصور، إلا أن هذا الوضع لم يستمر خلال كل من الدولة الوسطى والدولة الحديثة.

ومع هذا فإنه منذ الدولة القديمة وفي بعض الحالات المشار إليها كان حاملو اللقب على رأس قوات لا تقوم فقط بمهمة استغلال المناجم المعدنية واستكشاف الأقاليم المجهولة، ولكنها كانت تقوم أيضا بمهام الإشراف على مناطق الحدود وعلى الصحارى والدفاع عنها. وتأكد هذا الاتجاه في عصر الدولة الوسطى إذ كان حكام الأقاليم في هذا العصر عندما يسجلون قصص مآثرهم يشيرون إلى هذه القوات بوضوح على أنها هي الوحدات المسلحة التي كانت تستخدمها الأقاليم في تنفيذ المهام ذات النفع العام وفي حماية المنشآت التي كانت تتزايد في الصحراء الشرقية مثل الآبار والخزانات.

لقد كان الجيش يسمى mšʿ في كل العصور وكان يطلق على قادته الفعليين imy-r mšʿ بالرغم من المرونة التي تميز بها استخدام هذين التعبيرين فلقد احتفظا على مدى ثلاثة آلاف سنة بمدلولهما الأصلي وبعد مرور ألف وخمسمائة عام على أول ظهور للقب في سيناء في عهد الملك "سخم خت" نجد أن "حورمحب" كان يتسمى به كثيرا قبل اعتلائه للعرش، وقد ترتب على الأهمية المتزايدة للجيش في الحياة السياسية للبلاد اعتبارا من عصر الدولة الحديثة أن عاد اللقب إلى كامل مدلوله.[١١١]

إن الصورة الوحيدة المعروفة حتى الآن لموقعة حربية من الدولة القديمة هي نقش وإن كانت للأسف تالفة إلى درجة كبيرة وهي تمثل حصنا آسيويا حوصر فيه النساء والكهول والأطفال يهاجمه الجنود المصريون بالسلالم وقضبان الهدم ويجري القتال على أشده خارج الأسوار، فبعد أن أوسع المصريون أعداءهم رشقا بالسهام التحموا معهم وأخذوا يصرعونهم بفؤوس القتال من النحاس، على حين يحمل هؤلاء الأعداء- بالإضافة إلى القسي والسهام- نوعا من الهراوات كما يبدو، وفي الصف الأسفل من الصورة ما يشير إلى نهاية القتال ونتيجته، إذ يقود المصريون الآسيويين مكبلين وبينهم النساء والأطفال. (شكل١)

---

[105] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ٣٩٤.
[106] أحمد قدري، المرجع السابق، ص١٩.
[107] جونيفييف هوسون، المرجع السابق، ص ١٤٩، ١٥٠.؛ Erman, A.,& Grapow, H., op. cit., p. 72
[108] Faulkner, op.cit, p. 18
[109] Ibid, p. 119
[110] Ibid, p. 18
[111] جونيفييف هوسون، المرجع نفسه ، ص١٤٧، ١٤٨.

وعلى ذلك يبدو أن الأسلحة الرئيسة في الدولة القديمة كانت القسي والسهام للقتال عن بعد وفأس القتال للقتال عن قرب. وبذلك بطل استعمال الهراوة ذات الرأس الحجري التي وصلت إلينا أمثلة كثيرة منها في مقابر فجر التاريخ والتي تبدو في يد الملك كسلاح مقدس قديم. وينتمي نموذجان من الخشب على حالة جيدة من الحفظ لسريتين من الجند إلى عهد متأخر بعض الشيء أي إلى عهد الاضطراب في الأسرتين التاسعة والعاشرة وجدت في مقبرة أحد أمراء أسيوط، تسير كل سرية في صفوف عشرة يتألف كل صف منها من أربعة من الرجال جنبا إلى جنب وتتسلح إحداهما بحراب بطول قامة الرجل وتروس كبيرة من الخشب المغشى بالجلد، في حين تتسلح الأخرى بالقسي والسهام.[112] (شكل٢)

إن المعلومات التي وردت عن الثكنات ومواقع الحاميات في عصر الدولة القديمة قليلة جدا خارج الألقاب التي كانت تحملها بعض الشخصيات ويمكن القول أن الكلمات mnnw, iṯw, rṯw التي تتم ترجمتها عادة إلى "قلعة" و"حصن صغير" إنما تشير من الناحية الفعلية إلى هذه المواقع، ويعزز هذا الرأي أن ما تشير إليه هذه الكلمات كان يقع على حدود البلاد وعلى حافة الصحراء وقرب المدن التي تقع عند مخارج الطرق الموصلة إلى البلدان الأجنبية.

في الدولة القديمة كان المسئولون عن ترسانات الأسلحة غالبا من المدنيين ولم يكن يتولى أمرها العسكريون إلا بصفة استثنائية "مدير الترسانة، مدير الترسانة المزدوجة، مدير التسليح" imy-r pr ꜥḥ3w, prwy ꜥḥ3w, ḥ3w وبعض من تولى هذه المسئولية كانوا من الوزراء أو من مديري الخزانة المزدوجة أو من مديري جميع أعمال الملك.[113]

ثانيا: في الدولة الوسطى:

في الدولة الوسطى كان أيضا لكل حاكم إقليم جيشه الصغير الذي يدافع به عن إقليمه ورغم أن الدولة الوسطى قد شهدت بعض الأحداث العسكرية إلا أن أهمها تلك المعركة التي خاضها الملك سنوسرت الثالث أحد أشهر العسكريين في تاريخ مصر القديمة، خاضها ضد بلاد النوبة وهي المعركة التي خلد ذكراها على لوحة عند قلعة "سمنة" الواقعة جنوب الجندل الثاني.

وقد توجه الملك بنفسه على رأس جيشه أكثر من مرة وذكر في لوحة "سمنه" وغيرها من النصوص التي تركها هناك أنه بريء من أي ابن يأتي بعده ولا يحافظ على حدود مصر عند الجندل الثاني وورد في اللوحة على لسان الملك: "لقد سبيت نساءهم وأسرت رجالهم وحرقت حقولهم وصرعت ماشيتهم" وتقديرا لهذا الإنجاز العسكري للملك نجد الملك "تحتمس الثالث" يمجد هذا الملك ويرفعه إلى مصاف الآلهة ويقدم له القرابين بعد وفاته بحوالي خمسمائة عام.

كان جنود الجيش المصري في الدولة الوسطى يستخدمون نفس الأسلحة التي استخدمها أجدادهم في الدولة القديمة وإن أضيف إليها الخنجر والسيف الذي يتخذ شكل المنجل والذي أصبح يحمله ملوك الدولة الحديثة.[114] وكانوا يحملون فوق رؤوسهم ريشة نعام أو ريشتين كشعار لهم في حين كانوا يلفون الجزء الأعلى من أجسادهم بشرائط عريضة، وكانت بعض فصائل الجيش كجنود أسيوط تتسلح بترس كبير ورمح (حربة)، أو بترس صغير وفأس القتال وكان بعضهم لا يحمل ترسا وإنما يتسلح بفأس كبيرة ورمح أو مجرد مقلاع.

أما الخنجر فلا يتمثل في صور الجنود إلا نادرا نسبيا، غير أن كثيرا من الصور الأخرى وكثيرا من الأمثلة الحقيقية التي حفظت لنا تدل على أن هذا السلاح كان أيضا يستخدم في مصر في سائر الأزمنة. ولا يوجد في الدولة الوسطى غير سلاح واحد جديد يلفت النظر وذلك في يد الملوك فقط وهو نوع اتحدت فيه الهراوة الحجرية القديمة (دبوس القتال) والفأس من النحاس ويبدو أنه كان أساس السيف ذي الشكل المنجلي الذي كان يحمله ملوك الدولة الحديثة.[115]

---

[112] إرمان، المرجع السابق، ص٦٠١، ٦٠٢.
[113] جونيفييف هوسون، المرجع السابق ، ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٦
[114] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق ، ص٣٩٧.
[115] إرمان، المرجع نفسه، ص٦٠٤.

في عصر الدولة الوسطى زاد إنشاء القلاع ومواقع الحاميات سواء في داخل البلاد أو على حدودها عند أقصى الناحية الشرقية للدلتا، وفي أقصى الجنوب بعد نقل الحدود من عند الجندل الأول إلى الجندل الثاني ثم إلى جنوب الجندل الثاني في النوبة وأهم الشهادات التي وصلت إلينا تركتها حاميات النوبة. وكانت هذه الحاميات تسمى mnnw[116] في النصوص وعلى أختام الإدارة المحلية، وكان يتولى إدارتها حاكم مدينة، أو ضابط مرافق للحاكم smsw n ḥḳ3 [117]، أو رئيس قلعة ṯpy mnnw وكانت هذه الحاميات تشتمل على خزانة ومخزن للغلال ومخازن wḏ3 وسجن أصبحت له شهرة كبيرة بفضل النصوص القضائية التي ترجع إلى عصر الدولة الحديثة.

أما بالنسبة للترسانات الحربية في هذا العصر فكانت تخضع لإشراف ضباط الجيش. ولم يكن تواجد الحاميات المصرية قاصرا على وادي النيل فقد استلزم الأمر وجود مقار لممثلي السلطة الفرعونية ووجود ثكنات للجنود نتيجة للفتوحات الكبيرة التي حققها الملوك الأول في الأسرة الثامنة عشرة. وأشارت النصوص المتعلقة بأقاليم آسيا إلى وجود عديد من المنشآت العسكرية.[118]

ثالثا: في عصر الانتقال الثاني:

وتمر مصر تاريخيا بعصر الانتقال الثاني وهو العصر الذي يلي سقوط الدولة الوسطى والذي غزيت فيه من قبل الهكسوس وذاق فيه المصريون مرارة الاحتلال فوحدوا صفوفهم وتسلحوا بأقوى العتاد.[119] وصمموا على دحر عدوهم اللدود، وقد تحمل عبء النضال ثلاثة من حكام طيبة هم "سقنن رع" وابناه "كامس" و"أحمس" ومات الأول في المعركة وحمل الراية من بعده "كامس" الذي ورد في أحد النصوص المصرية القديمة على لسانه مخاطبا شعبه : "انظروا فإنكم ستجدون الآسيويين قد حكموا مصر حتى الأشمونين إنني سأهاجم ملكهم وأبقر بطنه بيدي وكل أملي أن أخلص مصر من الآسيويين وأطردهم شر طردة..... سأقاتل الهكسوس حتى يقسم كل مصري باسمي، إنني أريد أن يتحدث كل منهم عني قائلا: هاهو كامس محرر مصر" وحقق كامس نصرا مؤزرا على جيش الهكسوس بالقرب من الأشمونين، ويبدو أنه قد سقط هو الآخر في إحدى المعارك ليحمل الراية من بعده شقيقه "أحمس" الذي استمر في مواجهة الهكسوس حيثما وجدوا، غير أن أعظم انتصاراته التي خلدها التاريخ تلك التي نجح فيها في غزو عاصمة الهكسوس "أواريس".

رابعا: في الدولة الحديثة:

وتبدأ مصر فترة تاريخية جديدة هي الدولة الحديثة أو عصر الإمبراطورية، وتصبح طيبة عاصمة مصر والإمبراطورية وتنطلق منها الجيوش وتقام الحاميات والمعسكرات للجند في شرق البلاد وغربها وجنوبها وتنظم الفرق والألوية والسرايا وتزدهر صناعة السلاح والمعدات الحربية ويزداد الجندي المصري خبرة ومهارة. وهكذا بدأت مصر أعظم فترة عسكرية في تاريخها وأصبح لها جيش موحد، فلقد كانت الدولة الحديثة على نقيض سائر العصور الأخرى ذات طابع حربي وأصبحت ملامح الجيش المصري واضحة، فالسرايا والفرق محددة العدد والعدة وتحمل أسماء الآلهة والملوك فهناك فرقة الرماة، فرقة المركبات، فرقة الأقواس التسع، سرية آمون، سرية فرعون، سرية بهاء قرص الشمس، وهناك حملة الأعلام.

وكان الجيش يتكون من مقدمة وقلب وميمنة وميسرة بالإضافة إلى العناصر المساعدة في المقدمة وفي المؤخرة. وقد اتبع الجيش المصري كثيرا من الخطط العسكرية التي كان من بينها الحرب المفاجئة والتي قصد منها مهاجمة العدو من حيث لا يدري، ثم هناك التراجع التكتيكي لإعادة تنظيم الصفوف والتمويه والخداع وفرق الاستطلاع الحربي...إلخ.[120]

---

[116] Erman & Grapow, op. cit., p.65.
[117] Ibid., p.117, 162.

[118] جونيفييف هوسون، المرجع السابق ، ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٦
[119] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٣٩٤- ٣٩٧.
[120] المرجع نفسه، ص ٣٩٨- ٤٠٠.

كذلك فقد بدأ المصريون في تطبيق الأفكار الحربية الاستراتيجية وقد لعبت المناورات الاستراتيجية التي كانت تجريها الفرق والجيوش المصرية دورا حاسما في كسب المعارك في ميادين الحرب والقتال وذلك بفضل التدريب المستمر والمناورات العملية التي كان يشترك فيها المشاة متعاونين مع راكبي الخيول من الفرسان وراكبي المركبات الحربية من الرماة، مع التدريب على جميع الحركات التكتيكية بين كل هذه الوحدات وبعضها بشكل يجعلها في النهاية قادرة على إحراز النصر بصفة مؤكدة في أية معركة تدخلها مع العدو مهما كان شكلها.

وبكل المعايير تعتبر الحملات الحربية التي قام بها "تحوتمس الثالث" والنصر الذي حققه في موقعة مجدو وعبور نهر الفرات ليفتح بلاد ميتاني قمة للاستراتيجية تحدث لأول مرة في تاريخ العالم القديم. أما قيام "تحوتمس الثالث" بوضع خطة التعاون والتنسيق بين تحركات سفن الأسطول المصري، والجيوش البرية المصرية المتجهة بقيادته نحو الشمال ونحو الشرق، فيعتبر من الأدلة القاطعة على العبقرية الحربية المتفردة لهذا الفرعون، وعلى مدى قدرته الفائقة على تنظيم وإدارة الجيوش المصرية بطريقة تحدث لأول مرة في تاريخ مصر. إن الخطط الحربية التي نفذها تحوتمس الثالث والمناورات التي كان يجريها لجيوشه تعتبر أمثلة رائعة لتطبيق مبادئ وأسس الاستراتيجية على أعلى مستوى.[121]

خامسا: في العصور المتأخرة:

مما لا شك فيه أن طبقة العسكريين قد تمتعت بمكانة كبيرة في البلاد خلال العصر المتأخر، وقد ذكر "هيرودوت" أن المصريين كانوا مقسمين إلى سبع طوائف ووضع العسكريين في المرتبة الثانية. وتشير بعض المصادر إلى أن الملك "نا اف عاو رود" الأول مؤسس الأسرة التاسعة والعشرين كان أحد جنرالات الجيش. وتشير بعض المصادر الكلاسيكية والتي تعد المصدر الوحيد عن أحوال الجيش خلال هذه المرحلة أن قوات الجيش كانت تنقسم إلى طائفتين رئيستين، الأولى تسمى "الهرموتيبي"، والأخرى تسمى "كالاسيري". وكان "الكالاسيري" ينتشرون في نواحي طيبة، بوباستة، صان الحجر، منديس، سمنود، وأتريب.

وكانوا بجانب عملهم في الحرب يمثلون عنصرا تجاريا قويا. وكلمة "كال" تعني "ابن" في اللهجة النوبية وكلمة "سيري" مشتقة من "شيري" المصرية التي قد تعني "صغير" وتترجم عند ذلك بمعنى "الغلام الصغير". وهي تقترب من نفس معنى اللقب القديم "حون نفر" والذي كان يطلق على الجند الجدد، بينما يمكن القول بأنهم كانوا يمثلون مجموعة من المتطوعين النوبيين، ويؤكد هذا ما تشير إليه المصادر من أنهم كانوا يستقرون في طيبة، ويمكن القول كذلك بأنهم كانوا من الجند المشاة مقارنة بمنظر الجند النوبيين منذ عصر الأسرة الحادية عشرة، وكانت هذه المجموعة مسئولة عن مصر العليا في الغالب، ويجدر الإشارة إلى أن هذه المجموعة كانت تخدم كذلك في معابد الأرباب.

أما عن "الهرموتيبي" فكانوا ينتشرون في أقاليم مثل، بوزير، صا الحجر، وبررعمسو، ولم يكن لهم أية علاقة بالتجارة مثل الكالاسيري. وكلمة "هرموتيبي" يقربها Spiegelberg من rmṯ ḥtrw وتترجم "رجال الخيول" أو "الفرسان". من كل ما سبق يمكن القول بأن الكالاسيري والهرموتيبي كانا يمثلان الفرعين الرئيسين في الجيش المصري في مرحلة ما بعد الاحتلال الآشوري، وأن الكالاسيري كانوا أقرب للنوبيين منهم للمصريين وكانوا يمثلون سلاح المشاة، أما الهرموتيبي فكانوا يمثلون سلاح الفرسان.[122]

سادسا: في العصر البطلمي:

من الطبيعي أن تكون القوة العسكرية هي الدعامة الأولى لحكام الممالك المتأغرقة بسبب التناحر الذي نشب بين قواد الإسكندر لتقسيم إمبراطوريته بعد موته وكان كل قائد منهم يريد أن يحصل على اعتراف خصومه بسيطرته على القسم الذي أصبح من نصيبه، لذا لم يكن غريبا أن يتجه البطالمة أول ما يتجهون إلى إقامة ملكهم على دعامة عسكرية راسخة وقد حرص بطليموس الأول على أن يتخذ من مصر قاعدة لملك يكون هو مؤسسه، كما كان على

---

121 أحمد قدري، المرجع السابق، ص١٤.
122 خالد غريب علي أحمد شاهين، "مصر في عصري الأسرتين الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين"، دراسة حضارية لمصر فيما بين ٤٠٤ ق.م. إلى ٣٨٠ ق.م.، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٩، ٢٠، ٢١.

استعداد دائم للدفاع عن هذه القاعدة ضد أية محاولة لتهديدها من قريب أو من بعيد. بل أكثر من ذلك، فإن بطليموس قد عمل منذ بداية حكمه لمصر، حتى قبل أن يعلن نفسه ملكا عليها، على أن يؤمن حدودها عن طريق احتلال المناطق التي تضمن له هذا الأمان. ولم تكن في هذا العصر حدود ثابتة مستقرة يقف عندها مؤسسو الدول وإنما كانت المسألة متروكة للقوة العسكرية بشكل أساسي لتكون الفيصل الذي يضع هذه الحدود. ومن هنا فقد كان أمرا طبيعيا أن يطور القوة العسكرية التي وجدها في مصر لتتناسب وهذه الأهداف.[123]

وتذكر الدكتورة فادية أبو بكر أن الفرق المرتزقة في جيوش الإسكندر وخلفائه كانت تنقسم إلى فئتين رئيستين. أما الفئة الأولى فتشمل تلك الفرق القومية التي كانت تحتفظ في الجيش الذي تنضم إليه بملابسها وأسلحتها القومية وتدمج في ذلك الجيش بسبب نوع السلاح الذي اشتهرت به وكانت هذه الفئة تكون فرقة مشاة خفيفة العدة وتعرف احيانا باسم سلاحها وأحيانا باسم جنسيتها وأحيانا بالاسمين معا، أما الفئة الثانية فإنها كانت تتكون من أولئك الجنود المرتزقة الذين كان يجندهم ضباط مرتزقة إما من بين مواطنيهم وإما من أسواق الجنود المعروفة في العالم الإغريقي. وكان يمكن استخدام جنود هذه الفئة مشاة أو فرسانا. وإذا كان الجنود المرتزقة لا يتعاقدون في الأصل إلا على القيام بحملة واحدة ضد عدو معين فإنه فيما يبدو أصبح بعض الجنود المرتزقة يكونون فرقا دائمة في خدمة البطالمة.

وحين وفد بطليموس على مصر واخذ يشيد فيها صرح مملكته كانت لا تزال توجد تلك الطبقة الوراثية من المحاربين المصريين. وقد اعتمد البطالمة الأوائل إلى أقصى حد في تكوين جيوشهم على المقدونيين والإغريق لثقتهم في كفاءتهم، ولخوفهم من ألا يخلص المصريون الطاعة لهم، ولرغبتهم في عدم استنهاض همة المصريين وإنعاش روحهم القومية، فالجيش في كل عصر هو قلب الأمة النابض، لكن لابد من أن أولئك البطالمة كانوا يخشون أيضا إغفال أمر الجنود المصريين كلية وذلك لكيلا ينشر أولئك الجنود روح الذمر في البلاد. فقاموا بإسناد أعمال ثانوية إليهم مثل النقل وما شابه، وتسليح بعضها الآخر بالأسلحة الخفيفة أو بأسلحتها المصرية العتيقة استعدادا للطوارئ في حالة الضرورة القصوى، إلى أن تهددت بطليموس الرابع أزمة خطيرة في وقت نضب فيه معين الرجال في بلاد الإغريق ونقص فيه عدد الجنود الأجانب الذين كان البطالمة قد أنزلوهم إلى مصر، فاضطر بطليموس الرابع إلى تدريب المصريين وتسليحهم مثل الإغريق والمقدونيين وتكوين قلب الجيش منهم لمواجهة هذه الأزمة. واستمر المصريون يؤلفون فرقا مستقلة بهم ويكونون جزء مستقلا من الجيش حتى نهاية أسرة البطالمة.[124]

سابعا: في العصر الروماني:

إذا أردنا أن نقارن بين الجيش في العصر البطلمي والجيش في العصر الروماني فسوف نرى مدى التناقض بينهما، ففي الدولة الرومانية نجد أنه عند اتساع حدودها بدأت تستخدم جنودا من غير المواطنين الرومان ولكنها عالجت هذا الوضع بأن منحت حق المواطنة الرومانية لسكان شبه جزيرة إيطاليا الذين كانت تعتمد عليهم في الحصول على ما يلزمها من الجنود، وقد امتد هذا التقليد ليشمل في فترة متأخرة سكان الولايات التي تكونت منها الإمبراطورية الرومانية.[125]

عندما أصبحت مصر ولاية رومانية حرص "أوكتافيوس" Octavuis على تأمين مصر فوضع فيها ثلاث فرق عسكرية: الأولى في ضاحية النصر بالقرب من الإسكندرية وهي فرقة Legio، والثانية في مكان حصن "بابليون" بالقرب من مدينة "منف"، والثالثة بالقرب من "طيبة". وبالإضافة إلى هذه الفرق الثلاثة وضع كتائب في المناطق الهامة مثل "أسوان" و"قفط" و"الفيوم". كما كانت هناك قوات لتأمين المراكز الحدودية مثل "بلوزيوم" في الشرق و"برايتونيوم" (مرسى مطروح) في الغرب.[126]

---

123 لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في العصر الهيلينستي، بيروت، ١٩٧٨، ص١٢٥- ١٢٧.
124 فادية محمد أبو بكر، التاريخ السياسي والحضاري لمصر في عهد البطالمة، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص١٣٨، ١٣٩.
125 لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع نفسه، ص١٤٧.
126 أيو اليسر فرح،تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٦٢، ١٦٣.

أنواع الأسلحة في الجيش المصري القديم

كانت الأسلحة التي يستخدمها الجيش المصري بمختلف أشكالها على مر العصور من أحسن الأمثلة التي تدل على القدرة الملحوظة لهذا الجيش على التكيف خلال كل هذه الآلاف من السنين في مواجهة الأعداء الذين كانوا يطاردون بعضهم بعضا وكانوا يستخدمون وسائل وأسلحة متعددة في هذه الحروب، وكانت هذه الوسائل تزداد تقدما وتطورا مع تقدم الزمن. من أمثلة ذلك سنون السهام والرماح التي كان المصريون يستخدمونها منذ فترات ما قبل التاريخ، كانت مصنوعة من حجر الصوان المدبب وقد ظلت على هذا الحال دون أن يحدث لها أي تطوير يذكر إلى أن استخدمت بجانبها أسلحة أخرى مصنوعة من البرونز أو من النحاس، وقد حدث ذلك في عصر الدولة الوسطى، ولكن مع استمرار استخدام الأسلحة السابقة بجانب الأسلحة القديمة لمدة طويلة من الزمن. وبالرغم من هذه الروح المحافظة على القديم، إلا أن تواجد الوحدات الأجنبية التي كانت تحتفظ بأسلحتها داخل الجيش المصري أدى إلى فتح الطريق أمام إمكانيات جديدة وأسلحة جديدة لم تكن موجودة من قبل في العصور السابقة.

لم يكن المصريون في حالة انتصارهم يكتفون بالاستيلاء على أسلحة خصومهم المهزومين بل كانوا يعمدون بدورهم إلى إنتاج أسلحة مثلها، ولقد ثبتت هذه الحقيقة من قالب لدرع حيثي تم اكتشافه في "بررعمسيس" وتعزز هذا أيضا بالمناظر التي صورت صناعة الأسلحة في مقابر "سقارة" الخاصة بالضباط الذين عاشوا في عصر الرعامسة، وكذلك المناظر التي توجد في معبد مدينة "هابو" والتي يظهر فيها رمسيس الثالث وهو يستعرض معدات وأسلحة قوات الجيش.

وكان استخدام الجواد والمركبة الذي بدأ في عصر الدولة الحديثة وما تلا ذلك من تطوير لسلاح المركبات خلال الأسرة الثامنة عشرة من الشواهد القوية التي تعزز سعي مصر دائما إلى أن تقاتل أعداءها بأسلحة لاتقل عن أسلحتهم. وقد نجح المصريون في استخدام هذه الأسلحة الجديدة ببراعة لم يسبق لها مثيل وظهر ذلك جليا في حروب "أحمس الأول"، سواء في معاركه مع الهكسوس إلى أن جاء بالنصر، أو في معاركه في سوريا وفي النوبة. كذلك ظهرت هذه البراعة في استخدام الأساليب والأسلحة الحديثة في الحروب، في معارك "تحتمس الثالث" مع الميتانيين، وكذلك معارك "رمسيس الثاني" مع الحيثيين والتي ظهر فيها دور بارز للمركبات والخيول والأساليب الجديدة في حصار المدن واستخدام السلالم الصاعدة.[١٢٧]

المركبات:

كانت المركبات من أهم أسلحة الجيش المصري القديم وكان يقودها اثنان من الجنود ويجرها اثنان من الخيول، وقد كانت تصنع من الخشب كما أنها كانت تعتبر منصة متحركة لإطلاق النار. ومن أجمل المناظر التي صورت المركبات، المنظر الذي نقش على جانب صندوق في مقبرة "توت عنخ أمون" يمثل الملك يركب بمفرده عربة يجرها حصانان يتبعها حاملو المراوح ويهاجم أعداء من النوبة وهم يتساقطون أمامه. (شكل ٣)

الفؤوس القديمة:

تعتبر الفؤوس من أسلحة القطع وهي تستهدف إحداث جروح كبيرة متوسطة العمق بالخصم، كانت الفؤوس تستخدم كأسلحة في جميع أنحاء الشرق الأوسط. وقد كانت هذه الفؤوس تصمم على أساس شرائح متحركة وكانت لها مقابض فضية ونصل طويل. كما كانت تصنع فأس الحرب القاطعة من مقبض خشبي طويل ينتهي بنصل نحاسي على شكل نصف دائرة في أحد جانبي المقبض. كان الفأس يستخدم بوجه عام في الطقوس ولكنه استخدم كسلاح خاصة الفأس المسطح. (شكل٤)[١٢٨]

---

[127] جونيفييف هوسون، المرجع السابق، ص١٤٨، ١٤٩، ١٥٦

[128] Hart, G., Eye Witness Guides Ancient Egypt, The British Museum, London. , p.36

السهام:

كان السهم هو سلاح القناص وكان يصنع من قصبة مجوفة وكان يتميز بأنه غير حاد. وكانت رؤوس السهام البدائية تصنع من الحجر الصوان أو الخشب الصلب مثل الأبنوس ثم استخدم البرونز بعد ذلك، وكانت تصمم على شكل حدوة الفرس لكي تحدث جرحا بينما كانت التي تصمم على شكل المثلث الحاد تصنع لتميت الضحية على الفور.(شكل ٥)[129]

الخناجر:

كانت الخناجر المصرية التقليدية تتميز بأن أطرافها متدرجة في الحدة ومدققة جيدا وكانت تتكون من نصل نحاسي مزين بخطوط له قمة عريضة مثبت باليد بطريقة البرشمة، أما الرمانة فكانت تصنع من العاج أو العظم لتطوى في راحة اليد. وكانت الخناجر تحمل في حزام مثبت في التنورة، وكانت تحمل إما عارية أو في غمد من الخشب أو من الذهب. (شكل ٦)

السيوف:

كانت السيوف أكثر استواء من الخناجر وقد تأثرت بالتصميمات الآتية من الشرق الأدنى القديم حيث كانت تتميز بأن لها نصل طويل مثبت فيه مقبض مستو بواسطة مسمار برشام. (شكل ٦)

التحصينات والاستحكامات الحربية:

عندما وصلت مصر إلى مرحلة من الاحتكاك العسكري بجيرانها كان لابد من إقامة الحصون والاستحكامات والأسوار على حدود مصر الشرقية والغربية وكانت هذه الحصون تعرف باسم أسوار الحاكم.[١٣٠] وقد عني المصريون في الدولة الوسطى بتحصين الفجوات الموجودة في استحكامات مصر الطبيعية، فتجاه بلاد النوبة في المكان الذي يقوم فيه الآن حصن أسوان كان يقع "الباب الجنوبي" الذي كان في بعض الأحيان تحت إشراف "قيم مصر العليا"، وفي أحيان أخرى كانت تحت إشراف أمير مقاطعة طيبة. وكانت هناك أيضا نقطة ضعف في شرقي الدلتا بصفة خاصة حيث توجد في سلسلة البحيرات المرة فجوة ينتهي إليها الوادي الطويل لجوشن القديمة وهو وادي الطميلات الحالي الذي يؤدي مباشرة إلى قلب الدلتا. وقد بني فيه في الدولة الوسطى، إن لم يكن قبل ذلك حصن كبير هو "جدار الحاكم" الذي شيد لرد الآسيويين وكان الجند يقيمون فيه ويراقب الحرس من على سطحه الأعداء.

وقد شيد "سنوسرت الثالث" حصنا عظيما سد به الشاطئ الأيمن للنهر عند "سمنه" في بلاد النوبة، ولا تزال أجزاء كبيرة منه قائمة بحيث استطاع العالم الفرنسي "شيبييه" Chipiez أن يترسمه من جديد في صورة يعتمد كل شيء فيها على أساس صحيح، فهذا البناء الضخم المشيد على الصخور شديدة الانحدار بأبراجه الخارجة كثيرا والتي استخدمت حداب الصخرة البارزة في الدفاع، يحيط به من الخارج جدار مرتفع، ومما يجدر ملاحظته ذلك الانكسار في ارتفاع الجدران الذي كان الغرض منه في الحقيقة أن يصعب على المهاجمين إقامة مراقي الهجوم، إذ أنه يلزم من أجل الوصول إلى متراس مثل ذلك الجدار المنكسر استخدام مراق أعلى كثيرا مما كان يقتضيه جدار مستقيم ذو ارتفاع مماثل. يتمثل مثل هذا الانكسار في الجدار أيضا في صورة حصن من الدولة الوسطى وجدت في إحدى مقابر بني حسن، ومن بين ما تمثله صورة هذا الحصن برجا في أحد الجدران يبلغ ارتفاعه حوالي خمسة أمتار فقط وهناك بابان مغلقان في أسفل الحصن، غير أنه من المهم أن هذه الصورة تمثل أيضا منظر حصار حصن، إذ يمشي المهاجمون تحت مظلة واقية ويدفعون في الجدار قضيبا طويلا للهدم ويرسلون على المدافعين سيلا من السهام. أما المحاصرون فيحميهم حتى نصف قامتهم متراس أو يكمنون في شرفات صغيرة تبرز بانحراف تسمح لهم بأن يضربوا المهاجمين بالسهام والأحجار.[131] (شكل ٧)

---

[129] Hart, G, op.cit., p. 36

[130] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٣٩٧.

[131] إرمان، المرجع السابق، ص٦٠٥، ٦٠٦.

الدور الحضاري للجيش المصري داخل البلاد

إن الدارس لدور الجيش المصري منذ نشأته وطوال التاريخ المصري القديم سوف يدرك أنه كان لهذا الجيش دور مزدوج، فدوره الرئيس والذي يتمثل في الدفاع عن حدود البلاد وتأمينها والردع عند الضرورة لمن تسول له نفسه الاعتداء على أرض مصر ثم توسيع الحدود عند استشعار الخطر من الشعوب المجاورة. أما الدور الثاني فهو دوره في الحياة المدنية والذي يتمثل في المساهمة مع المدنيين في إقامة المشروعات الضرورية لتنمية البلاد.

وتتحدث النصوص المصرية القديمة عن الدور الذي لعبه العسكريون المصريون عندما كانت ليست هناك ضرورة لتعبئة الجيش، فقد كان لهم دور في استصلاح الأراضي وشق الترع وإقامة السدود وتدعيم شواطئ نهر النيل وفروعه للحد من أخطار الفيضان ثم المشاركة في بناء المساكن في القرى والمدن وفي بناء المعابد للآلهة والملوك وغيرها من المنشآت الدينية، بالإضافة إلى دور المتعلمين منهم في المشاركة في تعليم التلاميذ في مراحل التعليم المختلفة.

ثم هناك دورهم في الزراعة والصناعات الحرفية وفي العمارة والفنون وفي التجارة في داخل البلاد وخارجها، فقبل أن تستقل فكرة الجيش المنظم كان العسكريون يتطوعون في وقت السلم ويعاملون كمدنيين يشاركون في كافة الأعمال وكان لهم دور آخر في داخل البلاد لا يقل أهمية عن دورهم في تحقيق التقدم والازدهار ألا وهو تأمين البلاد من الداخل إلى جانب الشرطة فهم حراس حدودها وهم الذين يؤمنون بعثات المناجم والمحاجر في سيناء والصحراء الشرقية والغربية والواحات وهم الذين يساهمون إلى جانب الشرطة في تأمين حياة الملك وأسرته وكبار رجال الدولة، بالإضافة إلى تأمين الاحتفالات والأعياد الدنيوية والدينية من حيث الإشراف والتنظيم والحماية وهم الذين يشاركون في تأمين الملاحة في نهر النيل وفي حماية مرافق الدولة ومنشآتها الدنيوية والدينية.

من الواضح أن الجيش المصري قد لعب دورا واضحا في تحقيق الاستقرار على أرض مصر وفي تنمية قدرات وطنه جنبا إلى جنب مع المدنيين في خارج البلاد فقد كان للجيش المصري دور متميز في دعم العلاقات بين مصر وجيرانها، فعلى مستوى العلاقات بين مصر وجيرانها فمنذ أقدم العصور والرحالة المصريون يخرجون خارج حدود مصر شرقا وغربا وجنوبا في محاولة للتعرف على أحوال الشعوب المجاورة وتوثيق عرى الصداقة معهم واستكشاف كل ما هو جديد لديهم، فمنذ الأسرة الرابعة وملوك مصر يبعثون حملات برية وبحرية لأغراض سلمية، فالملك "سنفرو"أول ملوك الأسرة الرابعة أرسل أسطولا من أربعين سفينة إلى فينيقيا (لبنان الحالية) لجلب خشب الأرز الذي تشتهر به جبال لبنان لصنع بوابات القصر الملكي، وكان أمر حماية هذه البعثات يعهد إلى العسكريين.

وفي الأسرة الخامسة، في عهد الملك "ساحورع" تخرج بعثة مصرية يحرسها الجنود إلى بلاد "بونت" وذلك لجلب البخور الذي يستخدم بكثرة في المعابد المصرية. وفي الأسرة السادسة يخرج بعض حكام أسوان متجهين إلى الجنوب نحو جيران مصر الجنوبيين الذين يعيشون جنوب وادي حلفا في محاولة للتعرف على بلادهم وكان ذلك دائما في حماية الجنود المصريين.

وفي الأسرة الثامنة عشرة أرسلت الملكة "حاتشبسوت" بعثتها الشهيرة إلى بلاد "بونت" وكانت تتكون من خمس سفن يقودها قائد الأسطول يصحبه ضابط وثمانية جنود، وهي البعثة المصورة على جدران معبد الدير البحري في البر الغربي لمدينة الأقصر، وعادت البعثة في حماية الجنود كما ذهبت في حمايتهم، يقول النص: "عاد جنود سيد القطرين (ملك مصر) بسلام إلى وطنهم وألقوا مراسيهم في طيبة. وكانت تجارة مصر الخارجية مع سوريا وفلسطين وجزر البحر المتوسط مثل كريت وقبرص وغيرها تجري في حماية الجنود المصريين وذلك تأمينا للتجارة ومن ثم ضمان سلامة الاقتصاد المصري.

إن التقييم الموضوعي للجيوش لا يتم فقط من خلال إنجازاتها العسكرية وتسليحها وخططها، ولكنه يتم كذلك من خلال منهجها الأخلاقي الذي تتعامل به مع أعدائها أثناء المعارك. والدارس للحضارة المصرية بوجه عام والجيش المصري بوجه خاص سوف يلحظ أن هناك تقاليد استقر عليها الجيش المصري وجعلها منهجا له، وقد جاء هذا المنهج معبرا عن أصالة الإنسان المصري وتمسكه بالمبادئ والأخلاقيات والمثل حتى وهو يتعامل مع الذين يسعون لتهديد أمنه. كان الجيش المصري يقاتل بضراوة دفاعا عن العرض لكنه كان عندما يتعلق الأمر بالمدنيين أو

بالمنشآت المدنية كان يتعامل بكل تحضر مدركا أن قوته ليست فقط في عسكريته ولكن في سلوكه خارج إطار الأعمال العسكرية.

ففي الأسرة السادسة على سبيل المثال عندما بعث الملك "ببي الأول" بحملة عسكرية ربما إلى فلسطين بقيادة "ونى" الذي سجل على جدران مقبرته في أبيدوس أخبار هذه الحملة، يقول: "حارب جلالته سكان الرمال الآسيويين....ويستمر النص معبرا عن السلوك المتحضر للجيش المصري قائلا: "لم يتشاجر أحد منهم مع غيره.. ولم ينهب أحد منهم عجينة الخبز من متجول، ولم يأخذ أحد منهم خبز أية مدينة، ولم يستول أحد منهم من أي شخص على عنزة واحدة"، أما عن تعامل الجنود المصريين مع العسكريين من الأعداء فتقول أنشودة النصر لهذه الحملة: "قتل عشرات الآلاف من الجند وعاد الجيش بكثير من الجنود والأسرى".[١٣٢]

أما في عهد الملك "تحتمس الثالث" فقد عبر الجيش عن حرصه على العلم والمعرفة وذلك بتسجيل غرائب الموجودات في البلاد التي غزاها من طيور حيوانات وأشجار ونباتات وخضروات وفواكه لم تكن معروفة في مصر، وهي المسجلة على جدران القاعة التي تعرف بقاعة النباتات والحيوانات في معبد الكرنك.

من بين دلالات تحضر الجيوش قديما وحديثا أسلوب تعاملها مع أسرى الحرب، فالجيش القوي في حربه يكون قويا في سلمه في جوانب عدة من بينها ضبط النفس عند التعامل مع الأسرى العزل من السلاح. هكذا كانت شيمة الجيش المصري التي هي امتداد للطبيعة السمحة للإنسان المصري بوجه عام، ونظرة فاحصة للنصوص العسكرية المسجلة على جدران المعابد وعلى غيرها من الآثار سوف يتضح أن من بين المبادئ الراسخة في تقاليد الجيش المصري مبدأ حسن معاملة الأسير وإن بدا الأسرى مقيدين بالأربطة في بعض المناظر فذلك بقصد التعبير عن كونهم أسرى.

وعلى امتداد فترة العسكرية المصرية في الدولة الحديثة (عصر الامبراطورية) لم نسمع إلا عن حادثين أسيء فيهما معاملة الأسرى في عهد كل من الملكين "تحتمس الأول" و"أمنحتب الثاني" من ملوك الأسرة الثامنة عشرة. إن ذكر هاتين الحادثتين لهو أبرز دليل على أن المصري القديم كان أمينا في تسجيل ما كان يجري في حياته المدنية والعسكرية من أحداث وكان بوسعه أن يتجاهل هاتين الحادثتين لكنه رأى ضرورة الإشارة إليهما ربما تعبيرا عن رفض هذا المنهج في التعامل مع الأسرى. وقد ورد في النقوش أيضا حادثة ذبح الأسرى وتقديمهم كقرابين في عهد سيتي الأول، فهل كان ذلك تصويرا لواقع حقيقي أم هو تسجيل رمزي للأحداث مثل مناظر الضرب، أيا كان ذلك فهو أمر لم يتكرر في التاريخ المصري.

لعل دلالة حرص المصري على السلام هو إدراكه الواضح أنه بقدر ما كان الجيش أداة لردع العدو وتحقيق الأمن في البلاد والمحافظة على الحدود، إلا إنه في نفس الوقت أداة لتحقيق السلام بين مصر وجيرانها وتشهد أحداث التاريخ المصري القديم على ذلك فعلى سبيل المثال، تلك المعارك الطاحنة التي دارت بين جيش مصر في عهد الملك "رمسيس الثاني" وجيش الحيثيين في عهد الملك "موتلي"، ومن بينها معركة "قادش" الشهيرة.

وبعد وفاة الملك "موتلي" وتولي الملك "خاتوسيلي" العرش من بعده أدرك الملكان المصري والحيثي أنه لابد من عقد معاهدة سلام بينهما. وتؤكد بنود هذه المعاهدة حرص مصر على السلام الذي تحقق لها بفضل جيشها .. فقد ورد في نص المعاهدة : "هذه المعاهدة الطيبة دونت لحفظ السلام والإخاء بين الطرفين إلى الأزل... تبطل الحروب بين الفريقين إلى الأبد ويتعهد ملك الحيثيين بأن لايغزو الأراضي المصرية ويتعهد الملك "رمسيس الثاني بأن لايغزو أرض الحيثيين... ومنذ ذلك اليوم أصبح ملك الحيثيين في إخاء وصفاء مع مملكة مصر". وقد تضمنت المعاهدة نصوصا تتعلق بمعاملة اللاجئين السياسيين من كلا البلدين، وأخرى تتعلق بالدفاع المشترك في حالة الاعتداء على أي من البلدين.[١٣٣]

---

132 عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٤١١- ٤١٥

133 المرجع نفسه، ص٤١٦- ٤١٨.

أسلحة الجيش

المشاة:

كانت كلمة mnfȝt تعني المشاة من جميع العصور ولكنها لم تكتسب معناها إلا عندما ظهر في الجيش المصري سلاح آخر بجانب المشاة، ومع هذا نجد أن هذه الكلمة أصبحت في عصر الدولة الحديثة مرادفة لكلمة mš التي كانت تشمل على الأرجح سلاح المركبات بالإضافة إلى المشاة والمعلومات التي لدينا عن الجيش في الدولة القديمة تتعلق بالتدرج القيادي العسكري وبالتجنيد وبشكل القوات.

كان القائد imy-r mšʿ على القمة وكان يأتمر بأوامره رؤساء الفرق ḥrp والملازمون sḫd ومساعدو الرؤساء imy-r mšʿ، وكثير من هذه الرتب كانت أيضا في إطار الوحدات الخاصة مثل الوحدات النوبية الإضافية ووحدات المجندين الشبان وغيرها. أما عن التشكيل العددي للجيش فقد أوضحت سيرة حياة "أوني" درجة الأهمية الاستثنائية التي اكتسبتها في عصر الأسرة السادسة أعمال التجنيد الضخمة التي كانت تتم إعدادا لعملية عسكرية واسعة النطاق، كما أوضحت هذه السيرة أيضا الضرورة التي كانت تستلزم دعوة عديد من الأجانب حتى يمكن تجنيد العدد اللازم.

جاءت المعلومات في عصر الدولة الوسطى من الأقاليم ومن النوبة فقد أشارت روايات حكام الأقاليم إلى الوحدات التي كانت تتكون منها البعثات وهي عمليات تجري عادة في نطاق الظروف السلمية. كان عدد أفرادها يتراوح بين عدة مئات وعشرات الآلاف من الأشخاص وفي إحدى مقابر أسيوط التي ترجع إلى عصر الانتقال الأول تم اكتشاف نموذجين من الخشب رسم على كل منهما رسم فصيلة مكونة من عشرين جنديا، في ناحية منها الجنود المصريون مسلحون بالرماح وبالدروع وفي الناحية الأخرى رماة السهام من النوبيين. وكان يطلق على الجنود من المشاة تعبير ʿnḫw nw niwt /ʿnḫw nw niwt وهو تعبير يعني حرفيا "الذين يعيشون/ الذين يعيشون في المدينة" ويرأسهم قائد ȝtw/ȝṯw n niwt وكان رماة السهام iryw-pḏt يشكلون كتائب متخصصة جنودها من أصل أجنبي.

في عصر الدولة الحديثة تكونت كل سرية من المشاة من مائتي رجل تحت إمرة "حامل علم" ȝy sryt وانقسم كل منها إلى أربع فصائل كل فصيلة تتكون من خمسين رجلا ومع أننا لانعلم عدد الجنود الذي كان يشترك في المعارك إلا أنه من الواضح أن المتاح من الرجال والمعدات لم يعد كما كان من قبل، فقد تحقق تقدم ضخم في الطاقة العسكرية المتوفرة مصحوبة بتغيير جذري في الفن العسكري كنتيجة مباشرة لاستخدام الجياد والمركبات.[١٣٤]

المركبات:

بدأت مصر في استخدام المركبات الحربية التي تجرها الخيول منذ عهد "كاموس" وعهد "أحمس" محرر مصر من الهكسوس، بل ويمكن القول بأن بداية استخدام هاتين الوسيلتين في الحرب ترجع إلى فترة احتلال الهكسوس لمصر حين أخذ المصريون يتدربون لمحاربة المحتلين وطردهم من البلاد ويرى أحمد قدري أن العبرة ليست في بداية استخدام المركبات أو العربات الحربية وإنما في الطريقة الجديدة الفذة التي ابتكرها المصريون في تطويع تلك الأداة لمقتضيات المعارك الحربية، وتعتبر هذه الطريقة المصرية الجديدة ثورة حقيقية في تاريخ الفكر والأداء العسكريين وتدل بشكل قاطع على أن المصريين هم أصحاب هذا التطوير الفذ في استخدام المركبات في المعارك الحربية.

هذا الاستخدام المصري الجديد للعجلات الحربية أعطى لجيش الأسرة الثامنة عشرة قدرة هائلة على الهجوم والسيطرة في جميع المعارك التي خاضها. وكان سلاح المركبات الحربية قادرا على العمل وحده في خوض المعركة بالإضافة إلى قدرته على التعاون الوثيق مع سلاح المشاة ليخوض معه المعارك جنبا إلى جنب. ولأول مرة في تاريخ العالم يستخدم سلاح المركبات الحربية بكثافة وبأعداد كبيرة بحيث يستطيع سحق مقاومة العدو بقوة ضاربة هائلة، وبذلك تمكن الجيش المصري من فتح بلاد شاسعة الأرجاء. وقد كانت وظيفة سلاح المركبات الحربية مماثلة تماما لوظيفة سلاح الفرسان أو سلاح الدبابات في الجيوش الحديثة.[١٣٥]

---

[134] جونيفييف هوسون، المرجع السابق،ص١٤٥، ١٤٦.

[135] أحمد قدري، المرجع السابق، ص١٣- ١٥.

كانت لهذه المعدات فائدة أخرى عند الملك إذ كان يجب أن يصور واقفا على مركبته وهو يقودها بأقصى سرعة وتصوير معاونيه وكبار ضباطه ممن كانوا يصحبونه في معاركه الحربية. لقد أصبح سلاح المركبات t-nt-ḫtri هو السلاح الذي يعبر عن النبل، ومن الواضح أن هذا السلاح كان يمثل قدرا أقل من الخطورة وكان يوفر قدرا أكبر من الراحة إذا ما قورن بالسير على الأقدام للمسافات الطويلة وإن كان من المسلم به أيضا أن ركوب هذه المركبات كان رياضة تستلزم قدرة كبيرة على حفظ التوازن وتتطلب عضلات قوية كالصلب لمنع السقوط على الأرض تحت وطأة رجات العجل. ولم تنتشر الألقاب المرتبطة بهذا السلاح الجديد إلا اعتبارا من عصر الملك "أمنحوتب الثالث"، من هذه الألقاب: "مدير الجياد" imy-r ssmw وأيضا "قائد المركبات" idnw n t-nt-ḫtr وكذلك "سائق مركبة" kḏn[١٣٦]

منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة أخذت مصر تسلح جيشها بأنماط جديدة من الأسلحة المتطورة والتي من أهمها الحصان الذي استخدم في جر العربات الحربية.[١٣٧] وقد استخدم الحصان في سلاح المركبات الحربية و كان السلاح الشائع والأقوى في القوات العسكرية أثناء الدولة الحديثة.[١٣٨] وكان لدخول الحصان أثره البالغ على الروح الحربية لدى المصريين في توسعاتهم وانتصاراتهم في غرب آسيا وكان يطلق عليه "نظام الخيل" أو "المقاتلون في العربات الحربية".[١٣٩] وقد أدخل الآريون الخيول في الشرق الأدنى ونشروا استخدامها لمدة قرن قبل أن يبدأ المصريون استخدامها عند نهاية عصر الانتقال الثاني وقد احتفظ الجواد في اللغة المصرية القديمة باسمه ذي الأصل السامي ssm وأحيانا كان المصريون يستخدمون له اسما آخر مشتقا من الصفة "جميل" nfrw ولم يكن مستخدما في الركوب إلا بصفة استثنائية بواسطة الكشافين أو حاملي الرسائل.

بدأ استخدام الجياد في الجيش المصري بربط كل زوجين منها لجر مركبة من المركبات الخفيفة ذات العجلتين وكانت المركبات مأخوذة عن الأعداء أو عن الحلفاء من الأجانب شأنها شأن أنواع أخرى من الأسلحة، وكانت تصنع في ورش منف كما دلت النقوش البارزة في سقارة، وفي ورش "برعمسيس" وكانت لهذه المعدات الأولوية في غنائم الحرب وفي الجزية.[١٤٠] وهناك من يرى أن الخيل قد دخلت مصر عن طريق الهكسوس بعد أن أخذوه بدورهم من جماعات من آسيا الصغرى وإن اختلف في كيفية ذلك، أما وجهة النظر الأخرى فتبرى أن دخول الهكسوس كان عن طريق غزو عسكري ويرجح هؤلاء أن الغزاة الآسيويين استطاعوا مداهمة مصر ودخولها بسهولة حيث أعطاهم الحصان والعربة قوة عسكرية هائلة ميزتهم على المصريين[١٤١]

كانت الخيول تقوم بدور المدرعات في الجيش حيث نشهد ذلك في موقعة "مجدو" حينما كان "تحتمس الثالث" في عربته المذهبة والمزينة بعتاد الحرب مثل "حور" ذي الذراع القوية و"مونتو" الذي في طيبة بينما قوى أبوه "آمون" ساعده وسرعان ما توسط جيشه ثم انحط به في الميدان ولم تطل المعركة وآثر خصومه الهروب وتركوا عرباتهم المذهبة والمفضضة. ويتضح أن "تحوتمس" أول من لجأ إلى الحرب الخاطفة ساعده في ذلك سرعة وجراة الخيول حيث كان يهجم بآلاف العربات يباغت بها العدو فينزل به الرعب والفزع ويضطره إلى أن يولي الأدبار.[١٤٢] وقد كان للخيل والعربات الحربية ما للمصفحات الحالية من الأثر في تمزيق صفوف المشاة.[١٤٣]

---

[136] جونيفييف هوسون، المرجع السابق، ص١٤٦، ١٤٧.

[137] أحمد محمود صابون، دراسة حول الخيل في مصر القديمة، الإسكندرية، ١٩٨٩/ ١٩٩٠، ص١٣، ١٤.

[138] Schulman, A.R., Egyptian Representation and Riding in The New Kingdom, ***JENS***, 16, 1957, pp.263 ff.

[139] ***Urk***, IV, 664, 2.

[140] جونيفييف هوسون، المرجع نفسه، ص١٤٦، ١٤٧.

[141] أحمد محمود صابون، المرجع نفسه، ص٤٩

Budge, E.A., Egypt under the Amenemhat and the Hyksos, London, 1902, pp.134 fj

[142] أحمد محمود صابون، المرجع نفسه، ص١٤

[143] Budge, Ibid., pp.134 fj

البحرية:

كان نهر النيل هو الوسيلة الرئيسة للنقل في مصر وكانت الملاحة وصناعة القوارب تعزو إلى سيقان البردي في عصر ما قبل الأسرات. كانت القوارب ترسم باللون الأحمر على الفخار الأصفر في حضارة نقادة الثانية ويرجع إلى هذه الحضارة الرسوم المحفورة على مقبض سكين جبل العرجي الموجود في متحف اللوفر وهو أقدم تصوير مصري لمعركة بحرية ويظهر فيه سفن لها مقدمات ومؤخرات عالية ومستقيمة، وهذا التصوير عادة ما يمثل سفنا أجنبية، ويبدو أن القوارب النيلية هي أول قوارب استخدمت في نقل الجنود عبر النيل صعودا وهبوطا (شكل ٨). ولكن النقوش الموجودة في معبد الملك "ساحورع" الجنائزي في أبو صير من عصر الأسرة الخامسة تصور أسطولا بحريا قيل إنه يحمل جيشه إلى سورية. وتظهر النقوش أيضا زوجين من جنود الأسطول في حالة قتال. (شكل ٩)

في عهد الأسرة السادسة يقول الضابط "ونـي" إنه أخذ الجيوش إلى فلسطين في سفن وصفت بكلمة nmiw ومعناها "السفن المسافرة"، وعلى أية حال فقد كانت معظم السفن المصرية غير مناسبة للإبحار في البحر المتوسط أو البحر الأحمر. ومن المؤكد أنه كانت توجد صلة قوية بين بيبلوس والنشاط البحري، فقد كانت التسمية الشائعة للسفينة التي تسير في البحر هي kbnt ومعناها "سفينة بيبلوس".

في معظم فترات عصر الأسرات كان الإبحار أساسا بغرض التجارة أكثر منه حربي ولكن في العصر المتأخر للدولة الحديثة بدأت عدد من السفن الناقلة للجنود تهدد سواحل الدلتا مما أوجد نوعا جديدا من التحدي للفراعنة ففي ذلك الوقت ظهرت عدة مصالب طبيعية وسياسية بطول الساحل الشمالي للبحر المتوسط شملت هجرات واسعة وغزوات ادخلت منطقة البحر المتوسط في عصر مظلم.[١٤٤]

منذ أبعد العصور كانت العلاقة بين الجيش والبحرية تبدو واضحة فهي تجمعهما في وحدة واحدة. لقد كانت المعركة التي نقشت صورتها على مقبض سكين جبل العرجي (شكل ٨) معركة بحرية، فقد كان النيل هو وسيلة الانتقال الرئيسة في البلاد وكانت الجيوش تنتقل في سفن كلما وجدت تحت تصرفها مجرى مائي يصلح للملاحة، وكان المتبع أن تنقل السفن مفككة على الطرق الصحراوية ثم يتم تركيبها بعد وصولها إلى شاطئ البحر، وبالرغم من أن مصر لم تكن لديها ميول بحرية إلا أنها عمدت إلى استخدام أسطول بحري مناسب استعانت في إنشائه بالأساليب والأشكال التي كانت تأخذها عن البلدان الأجنبية ويذكر على سبيل المثال أسطول بيبلوس الشهير الذي أشارت إليه النصوص خلال الدولة القديمة والدولة الوسطى. وقد ترتب على تكثيف المبادلات وعلى زيادة المنازعات الدولية زيادة الارتباط بين قطاعي الجيش والبحرية.

كان الجيش يتميز بتعدد المهام التي كان يتولاها ويقوم بتنفيذها، فمصر لم تكن دائما في حالة حرب. وكان الجيش يندمج في حياة البلاد خاصة وأن دواعي عدم الأمان كانت تتجدد من عصر إلى آخر، ومن ناحية أخرى كان الجيش يمثل طاقة عمل هامة ولم تكن السلطات تتردد في استخدامها في أداء مهام لا ترتبط كثيرا بالمجال العسكري ولقد ترتب على هذا الاستخدام وجود تداخل دلالي بين في مختلف الألقاب.[١٤٥]

لا توجد معلومات كافية عن كيفية تكوين الأسطول ولا عن قوته في العهود المختلفة ولكن من المعروف أنه كان هناك عنصران من رجال الأسطول وهما: عنصر المجدفين، وعنصر المحاربين.[١٤٦] وتعد المصادر التي تناولت الأسطول المصري في العصر المتأخر منعدمة فيما عدا محاولة استقراء ما بين السطور ومن بينها نعلم أن الأسطول المصري خلال هذه المرحلة كان يعيش في مرحلة ازدهار، فمن نصوص عهد الملك "نخاو الثاني" من الأسرة السادسة والعشرين نعلم أنه قد تمكن من إخضاع بعض المدن الساحلية مثل "أشدود"، و"غزة"، كما عثر على نص هيروغليفي في "صيدا" يشير إلى سيطرة الملك "نخاو الثاني" على الساحل الفينيقي.

كما صورت نصوص "أحمس الثاني" استعانته بالبحرية المصرية للاستيلاء على ميناء قبرص. كما تذكر نصوص الملك "واح ايب رع" أن الريح قد ساعدت المراكب المصرية في الاستيلاء على صيدا. ومن نصوص العصر

---

[144] Shaw, I, Egyptian Warfare and Weapons, p. 59, 60; Hawass, Z. & Verner, M., *MDAIK* 52, p. 180.

[145] جونيفييف هوسون، المرجع السابق، ص١٤٣.

[146] فادية محمد أبو بكر، المرجع السابق، ص١٤٠

الفارسي يذكر أن أعظم قوة حربية في العالم آنذاك وهم الفرس قد استعانوا بالبحرية المصرية، فمن نصوص الملك "أكسركسيس الأول" يذكر أنه حارب ومعه مائتا سفينة مقاتلة مصرية أثناء صراعه مع الإغريق. ومن نصوص الملك "نا اف عاو رود" الأول رأس ملوك الأسرة التاسعة والعشرين يذكر أنه أرسل مائة سفينة مقاتلة لإسبرطة أثناء الصراع ضد الفرس.[١٤٧] وحيث أن بحارة الأساطيل القديمة كانوا يتألفون من أدنى طبقات السكان وأن البطالمة وضعوا المصريين في أسفل الدرك فلابد من أن بحارة الأسطول البطلمي كانوا يتألفون من المصريين وهذا ما تؤكده الوثائق، وعندما أدمج البطالمة المصريين في صلب الجيش فعلوا ذلك أيضا مع الأسطول.[١٤٨]

---

[147] خالد غريب علي أحمد شاهين، المرجع السابق، ص٢٣.

[148] فادية محمد أبو بكر، المرجع السابق، ص ١٤٠.

الأجانب في الجيش المصري

إن الأجانب الذين نجدهم في الجيش المصري على طول تاريخه لم يكن لهم دائما نفس الوضع بل كانت الظروف التي تحدد أحوالهم تختلف من عصر إلى آخر، وكان هذا التغيير والتطور الذي يطرأ على أحوالهم من العوامل الأساسية في تطور الجيش الذي تغير تدريجيا بتأثير هذه العناصر الأجنبية بل ولقد كان هذا التطور أيضا من العوامل الأساسية في تطور البلاد نفسها التي كان اعتمادها على قدراتها العسكرية يزيد باضطراد على طول تاريخها.

القوات الأجنبية في الجيش المصري قبل الدولة الحديثة:

لقد كان الجيش المصري يفتخر بكثرة ما كان يقع بين أيديه من أسرى وذلك منذ أقدم المعارك التي خاضها ضد الأعداء الأجانب ومن الممكن أن يكون الجيش قد استخدم بعض هؤلاء الأسرى بجانب الجنود المصريين، ولكن لم يتأكد اشتراك الأجانب في البعثات إلا اعتبارا من الأسرة الخامسة حين كان كثير من الضباط وضباط الصف في هذا العصر على رأس وحدات مساعدة من النوبيين "مديرون وقواد وضباط ومساعدون في القوات المساعدة النوبية" imy-r ḫrp sḫḏ, imy-ḫt ḫrp i3ꜥw

وفي عصر الأسرة السادسة زاد عددهم زيادة كبيرة في الوقت الذي تزايدت فيه العمليات في بلاد النوبة وكثر استغلال الموارد المعدنية في الصحراء الشرقية وفي سيناء. وقد وفرت السيرة الذاتية لـ "أوني" معلومات عن مدى اتساع وتنوع القوات الأجنبية من الليبيين، ومن النوبيين، وربما أيضا من الآسيويين في الجيش المصري وعن أن هؤلاء الأجانب قد تم تجنيدهم في بلادهم بإرادتهم ولم يكونوا من الأسرى السابقين الذين نقلوا ولاءهم لمصر.[١٤٩]

وقد كان المواطن المصري جنديا شجاعا من النمط الروتيني حينما كان يقوده قائد ماهر ولكنه لم يكن يبدي أقل علامة من علامات الابتهاج في المعارك التي يتميز بها المحارب السوداني، ونتيجة لذلك فإنه حينما كان فرعون من الفراعنة يريد أن ينفذ أمرا خطيرا في مجال القتال كان يستدعي الكتائب السودانية العاملة في جيشه، وعندما صدرت الأوامر لـ "وني" لتنظيم قوة كبيرة للقيام بحملة ضد سكان الرمال الآسيويين توجه إلى الحدود لتشكيل جيشه، يقول "وني": "بنى جلالته جيشا كبيرا من عشرة آلاف مقاتل في الجنوب كله، جنوبا إلى "إلفنتين" وشمالا إلى "إفروديتوبوليس" وهي منطقة تمتد بين قلاع الزنوج من قبائل "المدجاي" و"يام" و"واوات" وبين زنوج "كاو" وفي بلاد "تيميه".

كانت القوة كلها التي كونها "وني" تتألف من الزنوج وإن لم يكن بعض الجنود زنجيا، كان تيميا ليبيا. لقد بلغ اعتماد الجيش المصري على المرتزقة النوبيين حدا كبيرا حتى أن الكلمة المصرية التي كانت تطلق على الجندي أصبحت مع مرور الأيام تدعى "ماتوي" وهي تحريف للاسم القبلي "ماجوي".[١٥٠]

الوضع خلال الدولة الحديثة:

ترتب على الفتوحات الظافرة المتتالية خلال الدولة الحديثة التزايد المستمر في أعداد الأسرى من الأجانب ولم يكن يتم إلحاقهم كلهم في صفوف الجيش ولقد وصف "رمسيس الثالث" بوضوح الأسلوب الذي كان يتبع مع من كان لا يلتحق منهم بالجيش وذلك في بردية "هاريس" التي أشارت إلى الليبيين منهم: "لقد وضعت قادتهم في السجن وأقمت عليهم باسمي رؤساء ومسئولين من أهالي هذه البلاد 3yw n mḥit بعد أن تم وشمهم واستبعادهم، ختم باسمي..إلخ".

ومن الثابت أنه خلال النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد كانت الوحدات الأجنبية في الجيش المصري تتكون أساسا من الأسرى السابقين.[١٥١] وكان يوجد أيضا وحدات مختلطة يحارب فيها الجنود من الأجانب جنبا إلى

---

[149] جونيفييف هوسون، المرجع السابق، ص ١٥٦

[150] جيمس بيكي، الآثار المصرية في وادي النيل، ترجمة لبيب حبشي وشفيق فريد، مراجعة محمد جمال الدين مختار، القاهرة ١٩٩٩، ج٤، ص١٧٩.

جنب مع الجنود المصريين، والأرجح أن هؤلاء الأجانب كانوا من الرجال الأحرار الذين كانوا قد أثبتوا من قبل ولاءهم لمصر، وكانوا كلهم يتبعون سلاح المشاة. وبالإضافة إلى النوبيين الذين استمروا في تزويد الجيش المصري بالعديد منهم ظهر جنود آخرون من بلدان أخرى: فلسطينيون من جنوب فلسطين وسوريون وشردن ومشواش وبلست وغيرهم وكانوا يحتفظون بملابسهم وبمعداتهم الأصلية وعندما كانوا لا يشاركون في الحروب كانوا يوضعون في معسكرات ويعيشون كجاليات خاصة بعد تسليم أسلحتهم التي كانت تودع مع الأسلحة المصرية لدواعي الأمن.

في العصور المتأخرة:

من مجموعات الأجانب التي استقرت في مصر والتي كانت امتدادا للمشوش طائفة تسمى "الماخيموي" التي كان مقر تمركزها الرئيس في الدلتا وربما تحديدا في "صا الحجر". وكان الماخيموي يمثلون عنصرا قويا في الجيش المصري خلال العصر الصاوي وإن كان "بسماتيك الأول" قد حاول إبعادهم، وذلك بعد أن استعان بالإغريق الذين كانوا يعرضون قوتهم ومهارتهم العسكرية في الشرق الأدنى الذي كان يذخر بالفرص التي لا تعوض، بل ويمكن القول أنهم كانوا ضمن بعض الجاليات الأجنبية التي استقرت في "إلفنتين" وكانت تضم الفينيقيين والسوريين، بل واليهود.

وفي العصر الفارسي الأول كانت مجموعة الماخيموي ضمن قوات الملك "دارا الأول" حيث ذكر في مرسوم ٤٥٩ ق.م. أن قوات الملك كانت تضم الماخيموي. وفي الأسرة الثلاثين استعان بهم الملك "جد حر" أثناء محاولته لتجميع القوات المصرية من أجل الخروج في حملته الكبرى، ويبدو أنهم كانوا يمثلون "جند الاحتياط" بمعنى أنهم يستقرون في أماكن إقامتهم وحين الحاجة إليهم ينضمون للقوات النظامية. وهم يختلفون عن المرتزقة؛ فالمرتزقة يحصل على المكافأة بعد اشتراكه في الحرب أما الجندي الاحتياطي فهو يحصل على كل مميزات العسكريين ويتم استدعاؤه في أي وقت للحرب. وكانوا في العصر الصاوي يمثلون جند المشاة وأيضا كبحارة، ويشير "ديودور" إلى أنهم كانوا يمثلون فرعا من فروع سلاح الفرسان وكانوا متفوقين في الملاحة، وبجانب كل ما سبق فقد كانوا يستخدمون كحرس خاص للفرعون خلال العصر الفارسي الأول.[١٥٢]

في العصر البطلمي:

كانت القوات المحاربة للبطالمة قريبة من الصفة الدولية في طابعها وتكوينها، فبين هذه القوات كان هناك المقدونيون والإغريق والمصريون وعدد من الجنسيات الآسيوية. ولم يلتزم البطالمة في هذا المجال بنسبة معينة بين عنصر وعنصر. وكانت القوات العسكرية للبطالمة تتألف في الأساس من فرقة نظامية من المقدونيين، وفرق من المرتزقة، ثم فرق المصريين. وكانت الفرقة النظامية من المقدونيين تشكل قلب الجيش، وهو القسم الأساسي منه، بينما كانت الفرق المصرية تؤدي أعمالا ثانوية مساعدة ولا يعتمد عليها إلا في حالة الضرورة القصوى، ولكن هذا الوضع تغير في موقعة "رفح" فقد تألف قلب الجيش في هذه الموقعة من المصريين. كذلك الفرق النظامية لم تعد قاصرة على المقدونيين. وكان البطالمة يمنحون أراض زراعية للمحاربين مقابل الاستعداد الدائم للخدمة في جيش الملك.[153]

كانت سياسة بطليموس الأول في مرحلة حكمه الأولى هي السعي إلى خلق مملكة خاصة به ووجد أنه لا يمكن أن يتحقق له ذلك إلا بالقضاء على الإمبراطورية المقدونية التي أصبحت من الصعب أن تستمر لأنها كانت مكونة من شعوب متباينة يتنازع فيها قادة الإسكندر على الحكم ولا يأبهون بخليفة الإسكندر "فيليب أرهيدايوس" Philip Arrhidaeus. وكان يتحتم على بطليموس في ظل هذه الظروف أن يجهز جيشا وافر العدد من اليونانيين والمقدونيين واستمالهم بأن دفع لهم مبالغ كبيرة من المال وأعطاهم أجزاء من الأراضي ونجح في عمل دعاية لذلك في بلاد اليونان ومقدونيا[١٥٤] كذلك اتخذ بطليموس من القوات التي كان الإسكندر قد تركها في مصر نواة لبناء قوات أكبر من ذلك وأعظم.

---

[151] جونيفييف هوسون، المرجع السابق، ص ١٥٤، ١٥٥.

[152] خالد غريب علي أحمد شاهين، المرجع السابق، ص٢٢، ٢٣.

[153] لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق ، ص١٢٧، ١٢٨، ١٣٠.

[154] عنايات محمد أحمد، تاريخ مصر في العصرين اليوناني والروماني، الإسكندرية، ص٢٣.

وكان الجيش في هذا العصر يتالف من ثلاث فئات رئيسة هي: الفرق النظامية، الفرق المصرية، والفرق المرتزقة. وتشير القرائن إلى أن أكثر أفراد الفرق النظامية كانوا يجندون من مختلف أنحاء شبه جزيرة البلقان وجزر بحر إيجه، ومع ذلك فإن هذه الفرق كانت تدعى مقدونية بسبب أنها كانت في الأصل كذلك، وبسبب اعتزاز البطالمة بأصلهم المقدوني، ولا سيما أن الجيش كان يعتبر قبل كل شيء جيش الملك بطليموس. وتدل الوثائق على أن الفرق النظامية كانت قسمين وهما: فرق الفرسان وفرق المشاة؛ على أن فرق الفرسان كانت مرتبتين، أولاهما أرفع مكانة من الثانية. وقد كانت فرق المرتبة الأولى تميز بالأرقام؛ أما فرق المرتبة الثانية فكانت تميز بحسب جنسية أفرادها. وكانت فرق المشاة النظامية تميز بالأرقام وتعتبر أقل مرتبة من فرق الفرسان النظامية وتكون قلب الجيش إلى ما قبل معركة رفح في عام ٢١٧ ق.م.[١٥٥]

في العصر الروماني:

في العصر الروماني أصبحت مصر ولاية تابعة ولم تعد مملكة مستقلة وكان الرومان يخافون من كثرة ثورات المصريين فلم يشركوهم لا في الجيش ولا في الحياة السياسية، لذلك لا يوجد في هذا العصر ما نتحدث عنه من وجود الأجانب في الجيش المصري فلم يعدهناك ما يسمى بالجيش المصري، بل هناك الجيش الروماني الذي كان يجند المواطنين الرومان ويستخدم جنودا من غير المواطنين الرومان عن طريق منح حق المواطنة الرومانية لسكان شبه جزيرة إيطاليا الذين كان يعتمد عليهم في الحصول على ما يلزمه من الجنود، وسكان الولايات التي تكونت منها الإمبراطورية الرومانية.[١٥٦]

155 فادية محمد أبو بكر، المرجع السابق، ص١٣٧

156 لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع نفسه، ص١٤٧.

دور الجيش في السياسة

أولا: في كل من الدولة القديمة والوسطى:

كانت مسائل الحرب والسلام من اختصاص الملوك في جميع العصور ولكن هذا الاختصاص كان يتم مباشرته بطريقة تختلف تبعا لمدى السلطات التي كان يتمتع بها الملوك، وتبعا للظروف العامة التي كانت سائدة في مختلف العصور. وكانت مثل هذه الأوضاع تؤدي إلى انتقال الحكم من أسرة حاكمة إلى أخرى إذا حدث أن أظهرت الأولى ضعفا. كانت التدخلات العسكرية في الحياة السياسية تتم بأشكال متعددة. ويبدو أن مصر لم تتعرض منذ بداية تاريخها حتى نهاية الدولة القديمة لتهديد الغزاة وذلك فيما عدا تهديد سكان الرمال الذين تحدث عنهم "أوني"، ولم تكن مصر ترى أنه من الضروري الاحتفاظ بطاقة عسكرية ثقيلة تقوم عليها قيادة متخصصة ومتطورة ولهذا كانت المبادرة التي قام بها الملك "ببي الأول" في جنوب فلسطين عملا غير مسبوق. ولقد ترتب على غزو الدلتا خلال عصر الانتقال الأول كما ترتب على الحروب الأهلية التي صاحبته في صعيد مصر، أثر مزدوج، فمن ناحية تأكدت ضرورة الاحتفاظ بصفة دائمة بجيش محترف في جميع أنحاء البلاد، ومن ناحية أخرى تأكدت ضرورة تدعيم دور الميليشيات المحلية.

ثانيا: الجيش والسياسة الخارجية خلال الدولة الحديثة:

لقد بدا خلال عصر الانتقال الثاني عدم كفاية الترتيبات التي كانت متخذة للدفاع عن حدود البلاد مما جعل الملوك الأول للأسرة الثامنة عشرة يشعرون بضرورة اتباع سياسة في الدفاع عن البلاد لا تستند على النطاق الداخلي في مصر فحسب ولكن تستند أيضا على النطاق الخارجي في الشرق الأدنى وفي شرق إفريقيا ولقد تغير الوضع نتيجة لهذه السياسة الجديدة وفي ظلها أصبح من الضرورات الملحة توفير جيش على مستوى أهداف البلاد مع الحفاظ على طاقته دائما بل والعمل دائما على إنمائها لتكون على مستوى مجابهة الأعداء الجدد الذين كانوا يظهرون من الاتجاهات الأربعة الرئيسة.

لقد أصبحت التدبيرات اللازمة للمحافظة على الأقاليم المفتوحة تمثل عبئا ثقيلا على مصر إلا أن الملوك من الدولة الحديثة تحملوا هذا العبء بطريقة غير متماثلة، فقد كان بعضهم يتولى هذه المسئولية شخصيا ويخصص سنوات عديدة من حياته من أجل تصحيح الأوضاع في مكان أو آخر. وكان بعضهم الآخر يعتمد في هذا الشأن على آخرين سواء كانوا من المصريين أو من أهالي البلدان المفتوحة وكثيرا ما كان هذا التصرف يترتب عليه ضياع أراض. إلا أن المشكلة لم تكن تتعلق دائما بمجرد الحفاظ على الامبراطورية. لقد كان الوضع يتحول أحيانا إلى مسألة حياة أو موت، فالأعداء كانوا من الليبيين ومن شعوب متزاحمة على حدود مصر عند نهاية كل من الأسرة التاسعة عشرة والعشرين، وكان هؤلاء أكثر تصميما من كافة الأعداء الذين سبق أن قابلتهم مصر على طول تاريخها مجتمعين.

الجيش والسياسة الداخلية في الدولة الحديثة:

إذا كان الهدف الأول الذي سعت الفتوحات إلى تحقيقه هو الأمن الخارجي للبلاد، فإن هدفها الثاني كانت له نفس الأهمية بالنسبة لمصر وهو تصحيح الاقتصاد من خلال تحقيق مورد حي للثروات وللأيدي العاملة، وكان هذا الهدف يتحقق مبدئيا أثناء الفتوحات من خلال ما تستولي عليه القوات من غنائم ثم كان يتحقق بصفة منتظمة مع نجاح الفتوحات بواسطة الضرائب والجزية وأعمال السخرة، ومنذ ذلك الوقت أصبح التوازن المالي المصري يعتمد على القدرة العسكرية لمصر.[١٥٧]

في العصر البطلمي:

كان الاتجاه الذي اتخذته دولة البطالمة في دور الجيش يتأرجح بين الصفة القومية والصفة الدولية، وقد أدى به ذلك إلى وضع لا يتناسب مع هذه الصفة أو تلك. فقد أراد البطالمة أن يقيموا في مصر دولة قومية ولكنهم أن يدعموها بقوة عسكرية ذات طابع دولي ولم يكن هذا الطابع من النوع الذي يوحد بين أفراد أو فرق الجيش الواحد

157 جونيفييف هوسون، المرجع السابق، ص١٥٧- ١٥٩

وكانت الرابطة التي تربط كل عنصر من العناصر المكونة للجيش البطلمي تختلف في توجيهها من حالة إلى حالة، فالمقدونيون كانت الرابطة التي تربطهم بالدولة هي الملك الذين كانوا من جنسه بحيث نستطيع أن نعتبرهم جميعا سواء من كان منهم في الحرس الملكي أو من كان في الفرق النظامية، جنود الملك الذين يرتبطون بشخصه قبل وفوق أي اعتبار آخر بما في ذلك الاعتبار القومي في مقابل امتيازات معينة تجسدت في صورة إقطاعات كبيرة أكبر من إقطاعات الجنود الذين كانوا ينتمون إلى عناصر أخرى. ومثل هذا الولاء الشخصي من الممكن أن يهتز إذا تعرضت العلاقة مع الملك لأي مؤثر خارجي أو إذا جد جديد فيما يخص شخص الملك كأن يحدث نزاع على العرش بين أفراد البيت الحاكم وهو أمر لابد وأن يؤدي إلى انقسام الولاء أو إضعافه.[١٥٨]

في العصر الروماني:

لقد كان تحول مصر من دولة مستقلة إلى ولاية من ولايات الإمبراطورية الرومانية نتيجة لنصر عسكري وكان الحفاظ على هذا الوضع يلزمه قوة عسكرية لتأمين البلاد وهذا ما حدث، فبعد "فتح مصر" **Aegypto Capta** منح السناتو "لأوكتافيوس" سلطة "الإمبريوم العسكري" **Imperium** وهي سلطة تتيح له حق قيادة القوات العسكرية. ونظرا لوجود عدد كبير من القوات العسكرية الرومانية في مصر فقد منح "أوكتافيوس" بدروه هذا اللقب لوالي مصر وهو إجراء استثنائي لأن هذا اللقب لم يكن يمنح إلا لأعضاء السناتو، وقد اختار هذا الوالي من طبقة الفرسان **Cquites**. وقد بلغ عدد القوات الرومانية في مصر في عهد "أوكتافيوس" ٢٢٨٠٠ وهذا يعكس مدى خوف الامبراطور على مصر ومدى إحساسه بأهمية هذه الولاية.[١٥٩]

[158] لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص ١٤٥، ١٤٦.
[159] أبو اليسر فرح، المرجع السابق، ص١٦٣- ١٦٦.

الشعوب المجاورة لمصر

قبل التحدث عن المعارك التي دارت في مصر القديمة أردت أن أورد نبذة مختصرة عن تاريخ الشعوب المجاورة لمصر والتي دارت بينها وبين المصريين أشهر معارك التاريخ والعلاقات التاريخية التي تربط بينهم.

أولا: الميتانيون:

الميتاني هي التسمية السياسية التي عرفت بها حضارة الحوريين المعاصرة للكاشيين في بابل وقامت امبراطوريتهم على أنقاض امبراطورية "حمورابي" فبلغت أوج ازدهارها في القرن الخامس عشر ق.م. ويقع قلب الامبراطورية في المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات جنوب جبال طوروس، وتمتد لتشمل سوريا وكردستان شمالا ثم تصل إلى أرض فلسطين وهي المنطقة التي شهدت الصراع بين الميتاني وبين المصريين منذ عهد "أحمس"، فكان هدف المصريين رد الآسيويين الذين يهددون حدودهم ومطاردتهم بعيدا قدر استطاعتهم. أما هدف الميتاني فكان توريط منافسيهم الخطرين في نزاعات محلية شريطة أن لا يتجاوزوا سوريا حتى لا يتحولوا إلى تهديد مباشر لامبراطوريتهم. وتحقيقا لأهدافهم أذكوا نار الصراعات التي مزقت هذه الإمارات الصغيرة منذ أمد بعيد، فتبنوا سياسة بعيدة النظر بنوها على أساس تغيير تحالفاتهم حسبما تقتضيه المصلحة.

ومرت المجابهة بين المصريين والميتانيين بمراحل خمس يمكن متابعتها من خلال الحوليات التي نقشها "تحوتمس الثالث" في معبد آمون رع على مقربة من مقصورة المركب المقدس. وكان لتدوين هذه النصوص هدفان، أحدهما تذكاري والآخر عملي، فهي سرد للأحداث وفقا لأسلوب درامي ارتيط بالروايات الملكية التقليدية يصاحبه بيان تفصيلي بالمغانم التي جلبتها الجيوش المصرية بعد كل حملة على حده والتي كرست لآمون رع.[١٦٠]

والمعروف أن تحتمس الثالث لم يتمكن من إعادة بسط نفوذه على آسيا إلا بعد أن عاقب ملك "ميتاني" عقابا صارما وأخضع بلاد النهرين للسيادة المصرية. ويلاحظ أن مملكة ميتاني كانت كثيرا ما تتشاحن مع "آشور" الفتية التي كانت تنافسها في التقدم والبطش، فلما رأت "ميتاني" أن القوات المصرية أخذت تهدد كيانها أيضا زيادة على "آشور" صممت على بذل كل ما في وسعها لدرء الخطر المصري وتأسيس مملكة قوية عاصمتها "قادش" تكون بمثابة حاجز منيع بينه وبين مصر. ولم يكن الجيش المصري في ذلك الوقت كبير العدد والمرجح أن فراعنة مصر لم تغز آسيا بأكثر من عشرين ألف جندي أو ثلاثين ألفا.[١٦١] لقد سجل لنا التاريخ في الدولة الحديثة كثيرا من المعارك التي خاضها الجيش المصري وحقق فيها انتصارات باهرة. ولعل من أشهر هذه المعارك معركة مجدو التي جرت أحداثها في عهد الملك "تحتمس الثالث" أشهر القادة العسكريين في مصر القديمة.[١٦٢]

ثانيا: الحيثيون:

في أواخر القرن التاسع عشر تقريباً قبل الميلاد ظهر الحيثيون في آسيا الصغرى وأسسوا دولة قوية سرعان ما دخلت في صراع خطير مع القوى المجاورة على السيطرة على الشرق الأدنى القديم، فأسقطوا دولة بابل الأولى في حوالي 1600 ق.م، وأسهموا في القضاء على الدولة الميتانية التي قامت في شمال العراق ودخلوا في حروب متتالية مع الجيوش المصرية في سورية انتهت بعقد صلح ومعاهدة صداقة في عصر رمسيس الثاني. وهم الذين أسهموا في القضاء على الدولة الميتانية التي قامت في شمال العراق في منتصف الألف الثانية ق.م. وبذل الحيثيون جهوداً جبارة وخاضوا حروبا متواصلة في سبيل الاستيلاء على سوريا وفلسطين. وكاد هذا أن يتم لهم لولا وقوف الجيوش المصرية في وجههم ونجاحها في منع تحقيق أهدافهم.

تتوقف قوة الإمبراطورية الحيثية على التقدم الكبير في سلاح جديد ظهر في كل غرب آسيا بعد عام ١٦٠٠ ق. م. بقليل وهي المركبة الخفيفة التي تجرها الخيول ومركبة القتال كما هي لم تكن جديدة فقد كان للسومريين نوعان من

[160] جريمال، تاريخ مصر القديمة، القاهرة، ١٩٨٨، ص٢٧١
[161] جيمس هنري بريستد، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، ترجمة: حسن كمال، محمد حسنين الغمراوي، القاهرة، ١٩٩٧، ط٢، ص٢٣٤، ٢٣٥
[162] عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص٤٠١

المركبات إحداهما بعجلتين والأخرى بأربع عجلات ولكن العجلات كانت صلدة ثقيلة ويبدو أنها كانت تجرها الحمر الوحشية وكان السومريون يعتمدون على فيلق المشاة بصورة رئيسة ومع أن الحصان كان معروفا إلا أنه لم يستعمل في الأغراض الحربية. وأغلب الظن أن تجار "كبادوكيا" استعملوا الخيول لجر الأثقال ولكن مركباتهم كانت من النوع السومري القديم ذي العجلات الأربع، أما المركبة الخفيفة التي تجرها الخيل والتي عجلاتها ذات برامق ترجع إلى ما بعد سقوط الأموريين وقد ظهرت في الوقت نفسه في بابل الكاشية وفي مصر في الأسرة الثانية عشرة وفي الدولة الحديثة التي أقامتها ميتاني في الشمال وقد صنعت ثورة في طبيعة الحرب فمنذ ذلك الوقت أصبحت السرعة هي العامل الحاسم في المعركة، وقد شاركت الإمبراطورية الحيثية في هذا التقدم.

وقد صور الجيش الحيثي بصورة حية في النقوش المصرية التي تصور معركة قادش ومن الواضح أن فرقة مركباته كانت لا تفوقها فرقة أخرى. وتختلف المركبة الحيثية في شكلها اختلافا بسيطا عن المركبة المصرية فلكل منها عجلات ذات ستة برامق ولكن بينما كانت المركبة المصرية تتسع لرجلين سائق ومحارب كانت عربات الحيثيين تبدو أكثر ثقلا ويركبها ثلاثة أفراد. وأسلحة الهجوم هي الرمح والقوس، والدرع إما مستطيل وإما مصنوع على شكل يشبه بلطة مزدوجة عريضة تحمل عموديا. ولكبر العدد في العربة الحيثية فائدة إضافية إذ أنه يضمن التفوق العددي في الالتحام الذي قد يلي الهجوم الأول.[١٦٣]

كان الوقت الذي تنشط فيه العمليات الحربية قاصرا على أشهر الربيع والصيف إذ أن الجليد الذي يسقط بكثرة على هضبة الأناضول كان يعوق العمليات في الشتاء. وكان الملوك الحيثيون أساتذة في فن قيادة الجيوش والتحركات، وكان هدف الحملة دائما هو مباغتة العدو في الخلاء حيث يمكن استغلال العربات الحربية أقصى استغلال، وكان خير ما يرجوه العدو أن يتجنب معركة حاسمة وأن يوزع قواته ويقوم بحرب عصابات. ونحن لا نعرف الا القليل نسبيا عن فن الحصار عند الحيثيين، ولكن مما لا شك فيه أنه كان فعالا. اذ استسلمت مدينة قوية مثل قرقميش للملك "شوبيلو ليوماش" بعد حصار دام ثمانية أيام فقط.

والإشارة الوحيدة الى هذا الفن هى قصة حصار "أورشو" التي ذكر فيها المنجنيق و(الجبل) وهو بدون شك (الروابي الرومانية) التي كانوا يقيمونها ليحملوا الى أعلاها معدات الحصار. وبراعة ملوك الحيثيين في التكتيك الحربي يمكن الحكم عليها من معركة قادش التي وصفت بإسهاب في النص المصري. فقد نجح الجيش الحيثي الذي اتخذ من قادش قاعدة له نجاحا تاما في إخفاء مواقعه عن الكشافة المصرية، فلما تقدم المصريون، الذين لم يرتابوا من الأمر، نحو المدينة منتظمين في طوابير، وبدؤا يضربون خيامهم، تحركت وحدة قوية من مركبات الحيثيين خلف المدينة دون أن يراها أحد، وعبرت نهر (العاصي) وانقضت على قلب الكتيبة المصرية انقضاضا شديدا كاد يفنى فيها الجيش المصري عن آخره، لو لم تصل في الوقت المناسب فرقة مصرية مستقلة من اتجاه آخر وهى التي باغتت الحيثيين وهم ينهبون المعسكر. وقد ساعدت هذه الفرصة السعيدة الملك المصري على إبقاء بقية قواته، وعلى إظهارالمعركة على أنها انتصار عظيم ، ولكن الباحث المحايد لن ينسب إليه فضلا كبيرا في هذه النتيجة.[١٦٤]

ثالثا: الليبيون:

إن المصادر النصية التي تتحدث عن العلاقات التاريخية بين المصريين والليبيين بدء من أواخر عصر ما قبل الأسرات عبارة عن مناظر عامة لعل أشهرها تلك المحفوظة على مقبض سكين جبل العرقي، ولوحة الصيد، صلاية العقبان، ولوحة "التحنو". [١٦٥] و"تحنو" اسم منطقة جغرافية وليس اسما لقوم، هذا وقد ذكرت بلاد تحنو كذلك على أثر من عهد الملك "منتحوتب" (نب حتب رع) من الأسرة الحادية عشرة، إلى جانب قومي النوبيين والآسيويين، كما جاء ذكرهم في قصة "سنوهى" بأنهم الذين يسكنون بلاد تحنو" وتقع أرض تحنوإلى الغرب من مصر، وقد ذكرت نقوش "ساحورع" أن بلاد تحنو غربي مصر وإن كان اسم "التحنو" يطلق على منطقة جغرافية فلا مانع من أن

---

163 جرني، ا. ر.، الحيثيون، ، ترجمة د. محمد عبد القادر محمد، مراجعة د. فيصل الوائلي، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٣٣- ١٣٥.

164 جرني، ا. ر.، المرجع نفسه، ص١٣٨-١٤٠.

165 علاء الدين عبد المحسن، العلاقات المصرية الليبية حتى بداية الأسرة الثانية والعشرين، بحث بكلية الآثار جامعة القاهرة، ص١.

يطلق على سكان هذه المنطقة. ويرى أحمد فخري أن كلمة "تحنو" قد استعملت منذ الأسرة الثانية عشرة للسكان كذلك، وذلك حين فقدت كلمة "تحنو" معناها الأصلي.[١٦٦]

ترجع أول إشارة إلى علاقات مصرية ليبية محتملة من الأسرة الحادية عشرة ضمن مناظر مقبرة "آنتف" رئيس الجنود في جبانة "العساسيف" التي تحوي مناظر التدريبات العسكرية، ومهاجمة أحد الحصون يبدو مرجحا من بين الجنود المشاركين بها ليبيون بريشة في شعرهم وحاملو أقواس، وإلى أسفل يبدو صاحب المقبرة في مواجهة مجموعة من الليبيين من الرجال والنساء ويظهر معهم جندي مصري يقبض على أول فرد من بينهم من شعر رأسه ويمسك بريشته، في حين يقود جندي آخر وزميل له أسيرا ليبيا بحبل قيدت به بالمثل يدا أسيرين ليبيين من الخلف.(شكل ١٠) [١٦٧]

وخلال العصور التاريخية تعكس بعض المناظر العامة مضمون السيطرة الرمزية المصرية على جيرانها الغربيين، وقد اصطبغت معظم الإشارات في المصادر المصرية إلى الليبيين بصبغة عدائية في ارتباط محاولاتهم المستمرة للوصول والاستقرار في مراعي الدلتا الخضراء خلال النصف الأول من الألف الثالث ومعظم الألف الثاني قبل الميلاد.

وقد تغيرت ملامح تلك العلاقات خلال عصر الرعامسة وغلب عليها الطابع الأمني حماية لمصر ولحدودها، وقد بلغت ذروتها في محاولات المجموعات البشرية الليبية وحلفائها من شعوب البحر غزو دلتا مصر وما انتهت إليه تلك المحاولات من هزيمة مدوية لهم على يد "مرنبتاح" و"رمسيس الثالث". وتمكنت تلك المجموعات البشرية، وعبر التسلل السلمي وعلى فترات طويلة من جهة، وما نجمت عنه سياسة بعض ملوك عصر الرعامسة من توطين واستخدام بعضهم في مرحلة تالية من جهة أخرى من تأسيس سلطة سياسية لهم واعتلائهم عرش مصر مكونين بذلك الأسرة الحاكمة الثانية والعشرين.[١٦٨]

---

166 محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم، (المغرب القديم) ج٩، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠، ص ٦٩، ٧٠؛
Fakhry, A. Bahria Oasis, I, Berlin,1942, P. 5

167 Deckert, B.J., Grabung im Assasif 1963-1970. BandV: Das Grab des Iny-it.f, ***Mainz***, 1984, Taf.3

168 علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص١.

الفصل الثالث

تصوير المعارك الحربية على الآثار المصرية

تصوير المعارك فى الدولة القديمة:

إن أقدم دليل على مناوشات أو صراعات بين فرق من الجماعات التي كانت تعيش على القنص والصيد في مصر (من الألف الثاني عشر حتى الألف العاشر قبل الميلاد)، يوجد عند جبل الصحابة إلى الشمال من وادي حلفا حيث وجدت مجموعة من رؤوس السهام المصنوعة من الظران (حجر الصوان) مطمورة مع بعض عظام الذكور التي وجدت في مقابر الأفراد[١٦٩] والتي استخدمت في الصراعات بين صيادي العصر الحجري. إن المصادر والأدلة الدالة على أحداث المعارك الحربية في مصر القديمة لا تقتصر على الأسلحة المكتشفة بل أيضا بقايا الأجساد المصابة بجروح ومقابر المحاربين والأدلة المصورة والتحصينات والمنشآت.

في دراسة قامت بها **Emma Hall** أثبتت أن مناظر الضرب كانت عبارة عن فكرة متكررة في الأيديولوجية المصرية مع وجود أمثلة من عصور بداية الأسرات ،حتى العصر الروماني بينما تورد خمسة أمثلة لمناظر الضرب في العصور المبكرة.[١٧٠] أما **Christina Köhler** فقد ضمنت أمثلة حديثة في بحثها "فكرة الإخضاع" متضمنة مناظر مرسومة بخشونة على آنية من الفخار ومناظر لنارمر يضرب أحد الأسرى، كذلك مناظر القتال لـ "خع سخم وي" تدمج التسجيلات النصية لضرب الملك لأحد الأسرى مع تمثيل مبسط للمشهد[١٧١] وهكذا نستطيع إثبات تسعة أمثلة لمناظر الضرب في العصور المبكرة في مصر القديمة الأول مؤرخ بالعصر المبكر للأسرات:

١- إناء (من الفخار) أبيض متقاطع الخطوط من أبيدوس. (شكل١١)
٢- نقوش مقبرة بهيراكونبوليس. (شكل ١٢)
٣- لوحة نعرمر. (شكل ١٣)
٤- قطعة من العاج لنعرمر من أبيدوس. (شكل ١٤)
٥- أسطوانة من العاج لنارمر من هيراكونبوليس. (شكل ١٥)
٦- قطعة من العاج للملك دن من أبيدوس. (شكل١٦)
٧- لوحة من الألباستر من المقبرة ٣٤٧١ في سقارة. (شكل١٧)
٨- كتابات على آنية حجرية، بقايا للملك "خع سخم وي" من هيراكونبوليس. (شكل ١٨)
٩- أسطوانة من العاج من هيراكونبوليس. (شكل ١٩)

لقد شرحت لوحة "نعرمر" مرارا كوثيقة تاريخية تصف النصر النهائي للملك "نعرمر" وتوحيد شطري مصر وهو يؤكد ذلك بلبسه للتاجين على كلا وجهي اللوحة، ولكنه ليس من الضروري إتباع ذلك بمناظر القتال.[١٧٢] فمناظر ضرب الأعداء عبارة عن طريقة للاحتفال بالنصر، فالملك لا يتصارع مع عدو بل يقهره ويخضعه وينتصر عليه، ويمكن تفسير هذه المناظر بأنها تصوير قصصي لانتصارات فعلية[١٧٣] ومن ناحية أخرى تقترح **Köhler** أن مثل هذه المناظر ليست تاريخية بل هي أيقونات فنية تلتف حول فكرة الإخضاع.[١٧٤]

أما **Millet** فيعتبر أن رؤوس الصولجانات المنتمية للعصر المتأخر من الأسرات الأولى تؤكد أن الهدف من هذه المناظر ليس احتفالا تاريخيا ولكنه لتسمية العام الذي قدم فيه القربان للمعبود. أما عن اعتبار مناظر الضرب تصويرا قصصيا فيجب ملاحظة أن هذه المناظر كانت تغلف بعديد من المعاني ومن المحتمل أنها تعكس أحداثا تاريخية محيطة بالانتصار لملك أو آخر.[١٧٥]

---

[169] Strouhal, E., Life of the Ancient Egyptian, Cairo, 1992, p.201
[170] Hall, E.S., The Pharaoh smites his enemies, a comparative study, München, 1986, p. 4-7.
[171] Köhler, E.C., "History or Ideology? New Reflections on the Narmer Palette and the Nature of Forign Realations in Pre- and Early Dynastic Egypt", London, 2002, p.198.
[172] Gilbert, Ph.G., Weapons, Warriors and Warfare in Early Egypt, p. 88
[173] Hendrickx, s., "Analitical Bibliography of the Pre- history and the Early Dinastic Period of Egypt and Northen Sudan, Leuven , 1995, p.299
[174] Köhler, E.C., op.cit., p.199 B.
[175] Millet, The Narmer Macehead and Related Object, *JARCE*, 1990, 27,53- 9.

هناك ملاحظات لـ Alan Schulman على الدولة الحديثة يمكن أن تنطبق على العصور المبكرة وهي أن "مناظر ضرب الأعداء تصور مناسبة رسمية جدا.....حيث كان زعماء العدو الأسرى يرسلون في طقوس دينية إلى حضرة الآلهة، ولم يحتفل بذلك بطريقة رمزية فحسب، بل إنها تعكس أحداثا تاريخية وتعبر عن رموز فكرية ومذهبية كما أنها تؤرخ لتلك الأعوام، وقد تغيرت المعاني والمفاهيم بمرور الوقت."[١٧٦]

المنظر الوحيد المعروف في نقش ملكي لمعركة من الدولة القديمة موجود في الطريق الصاعد بالمجموعة الجنائزية للملك أوناس بسقارة من الأسرة الخامسة، حيث تصور النقوش مواجهة بين جنود آسيويين وجنود مصريين مسلحين بالخناجر والأقواس والسهام، هذا المنظر للهجوم المصري على الآسيويين تكرر في نقوش مقبرتين، الأولى في دشاشة وهي مقبرة "أنتي" حيث يظهر بوضوح استخدام الحصار المتطور.

والثانية هي مقبرة "كاام حست" في سقارة، حيث يظهر سلم على عجلات لاستخدامه في الحصار. كلا المنظرين يشير إلى أن المصريين قاموا بحملات عسكرية في سورية وفلسطين في عهد الدولة القديمة. شكل (٢٠)، (١) وهناك بعض النقوش الجنائزية و النصوص من عصر الانتقال الأول (٢١٢٥- ٢٠٥٥ ق.م.) مثل تلك الموجودة في مقبرة "عنخ تيفي" بالمعلا، ومقبرة "ست كا" بأسوان، مما يوضح أن هذه الفترة تميزت بصراع كبير بين المقاطعات داخل مصر.

تصوير المعارك في الدولة الوسطى:

يظهر بوضوح في مقابر أربع من أهم ضباط الأسرة الثانية عشرة في بني حسن دور الحكام الإقليميين في القيام بالدور العسكري في الدولة الوسطى. تحتوي تلك المقابر على رسوم لمعارك ربما كانت عبارة عن مناوشات صغيرة ليست من الأهمية بمكان. إن أهم الوثائق الحربية التي وصلت إلينا من الدولة الوسطى هي تلك المسماة بـ "مراسلات سمنة"، وهي عبارة عن تقارير إدارية أتت من مقبرة أحد الكهنة في طيبة الغربية. هذه الوثائق تؤرخ لعصر "أمنمحات الثالث"، وهي تتألف غالبا من نسخ لتقارير أرسلت إلى القائد في طيبة من قبل الحامية المصرية في سمنة بالنوبة، وهي تنقل شيئا ما من الضجر من الحياة العسكرية ما بين الحملات أوالمعارك. منها على سبيل المثال ما يصف المهمة الروتينية في مراقبة الصحراء."[١٧٧]

ترجع أول إشارة إلى علاقات مصرية ليبية محتملة من الأسرة الحادية عشرة ضمن مناظر مقبرة "آنتف" رئيس الجنود في جبانة "العساسيف" التي تحوي مناظر التدريبات العسكرية، ومهاجمة أحد الحصون يبدو مرجحا من بين الجنود المشاركين بها ليبيون بريشة في شعرهم وحاملو أقواس، وإلى أسفل يبدو صاحب المقبرة في مواجهة مجموعة من الليبيين من الرجال والنساء ويظهر معهم جندي مصري يقبض على أول فرد من بينهم من شعر رأسه ويمسك بريشته، في حين يقود جندي آخر وزميل له أسيرا ليبيا بحبل قيدت به بالمثل يدا أسيرين ليبيين من الخلف.(شكل ١٠)[١٧٨]

تصوير المعارك في الدولة الحديثة:

في معبد "سيتي الأول" بأبيدوس منظر خاص بحروب "رمسيس الثاني" ضد الآسيويين مسجل على الوجهة الداخلية للجدارين الشمالي والجنوبي بالفناء الأول، وفي معبد الرمسيوم مناظر خاصة بحروب رمسيس الثاني ضد الحيثيين مسجل على الواجهة الداخلية للبرج الشمالي للصرح الأول وعلى الواجهة الداخلية للبرج الشمالي للصرح الثاني، كذلك على الواجهة الداخلية للحائط الشرقي من صالة الأعمدة جهة الجنوب. أما في معبد "هابو" فهناك منظر خاص بحروب "رمسيس الثاني" ضد الآسيويين مسجل على الواجهة الداخلية للحائط الشمالي من الفناء الأول بمعبد "رمسيس الثالث".

---

[176] Gilbert, Ph.G., op.cit., p. 89 ; Schluman, A. R., Cermonial Execution and Public Rewards, Some Historical Scenes on New Kingdom Private Stelae, Freiburg, 1988,p. 52, 53.

[177] Ph. De Souza, The Ancient World at War, London, 2008, p.29, 30

[178] Deckert, B.J., Grabung im Assasif 1963-1970. BandV: Das Grab des Iny-it.f, ***Mainz***, 1984, Taf.3

وفيما يختص بأوضاع المحاربين الآسيويين في المعارك فلم نجد واحدا قد شد قوسه ليضرب بل نجد قوسه ملقى على الأرض أو معلقا على كتفه أو ممسكا به في يده أو نجدهم فارين من الميدان، كما صورهم الفنان المصري وهم متساقطون قتلى تحت عجلات العربات الحربية وأقدام الخيول الملكية أو كأسرى مكبلين بالأغلال.

وفيما يختص بالعربات الحربية فقد ظهر للعربة الحربية الحيثية طرازان الأول عبارة عن هيكل مربع الشكل والثاني مثله ولكن تميل حافته العليا إلى الخلف بانحناءة خفيفة إلى أسفل، وهيكل كل منهما مغلف بالخشب ماعدا الجزء الخلفي، والإطار الدائري الخاص بعجلة العربة يتكون من ستة قوائم خشبية كما يعتلي العربة الحيثية ثلاثة أشخاص، المحارب وحامل الدرع والسائق أما العربة الحربية السورية فلها طراز واحد عبارة عن هيكل إطاره الخارجي العلوي يأخذ شكل مقوس كما لوحظ أن جوانب هيكل العربة غير مغلفة بالخشب فتظهر وكأنها مفتوحة الجوانب كما كان[١٧٩] يوضع عليها كنانة السهام بوضع مائل ليساعد المحارب على التقاط السهام، كذلك يظهر الإطار الدائري الخاص بعجلة العربة الذي يتكون من أربعة قوائم خشبية وذلك في عصر الأسرة الثامنة عشرة وتغير إلى ستة قوائم في عصر الأسرة التاسعة عشرة، كما يعتلي العربة السورية شخصان هما المحارب والسائق وهي تشبه العربات الحربية المصرية.

تشير الشواهد إلى أن كل من الجنود السوريين والحيثيين استخدموا السيوف المستقيمة قصيرة الحجم في معاركهم الحربية كما ظهرت السيوف المعقوفة بقلة ضمن المعدات العسكرية الخاصة بجنود بدو الشاسو. شاعت الدروع المستطيلة والدروع التي حافتها العليا والسفلى المقوسة والمتميزة باختناق في جزئها الأوسط بين المعدات الخاصة بالجنود الحيثيين، كذلك شاعت الدروع المستطيلة الطراز ضمن المعدات العسكرية الخاصة بالجنود السوريين كذلك انتشرت الدروع ذات الحواف العليا والسفلى المقوسة والمتميزة باختناق في جزئها الأوسط وكذلك الدروع المستديرة بين المعدات العسكرية الخاصة بجنود بدو الشاسو. كذلك وجد طراز فريد من الدروع ضمن أسلحة قبائل الشاسو من المرجح استخدام هذا الطراز لحماية الذراعين من حرارة النهار وبرد الليل وعدم استخدامها في الدفاع أثناء المعركة وهو نادر استخدامه بين الشعوب الآسيوية.[١٨٠]

وقد وثق "تحتمس الثالث" نشاطه الحربي في الحوليات أولا يوما بيوم في المعركة والتي تحولت إلى جدران معبد الكرنك التي تعتبر من أكثر الوثائق صحة طبقا لأصولها الواقعية. وكانت معركة مجدو هي الأهم في المعارك الستة عشر (السبعة عشر) والتي لم يكن من نتائجها فقط هزيمة معظم القادة الكنعانيين في مجدو، لكنها أسست أيضا حكما مصريا شمل المنطقة، تعود أهمية المعركة أيضا إلى أنها وصفت المشاكل التي واجهت تنظيم الجيش والسيطرة عليه في ميدان المعركة.[١٨١] يقول النص: "ثم قهرهم جلالته برأس جيشه .... وقد فروا رأسا إلى مجدو بوجوه خائفة متخلين عن خيولهم وعرباتهم الذهبية والفضية وأخذوا إلى البلدة مشدودين من ثيابهم."[١٨٢] .

كانت غنائم الحرب في معظم النصوص المصرية هي لب هذه النصوص سواء الملكية أو الخاصة وكان الملوك المصريون غالبا ما يكرسون كميات كبيرة من الغنائم للمعابد المصرية في حين كان الجنود مثل "أحمس بن نخبت" يصفون الثروة التي جمعوها وهم يحاربون من أجل ملوكهم .[١٨٣]

تصوير الحملات العسكرية في عصر الرعامسة:

يمكن تقسيم النقوش التي تناولت الحملات العسكرية في عصر الرعامسة إلى ثلاثة مجموعات:

- المجموعة الأولى من النقوش: تتناول ما قبل المعركة حيث تبدأ الحملة العسكرية بتكليف المعبود "آمون" للملك للقيام بهذه الحملة ويسلمه السيف وفأس الحرب وذلك لتأديب البلاد المتمردة ويتبع ذلك الرحيل إلى أرض المعركة ويغادر الملك المعبد ويتم توزيع الأسلحة على الجنود ثم الرحيل ومسير الجنود إلى ميدان المعركة.

---

[179] هشام أحمد فهيد، "دراسة تحليلية لمناظر الآسيويين على جدران المعابد المصرية في عصر الدولة الحديثة في مصر العليا"، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق، ١٩٩٤، ص١٤٦، ١٤٧.

[180] هشام أحمد فهيد، المرجع نفسه، ١٩٩٤، ص١٤٦، ١٤٧.

[181] Bootright, D., The Realities of Battle in New Kingdom, Oxford, 2009, p. 2.

[182] ***Urk***.IV 647-650

[183] Bootright, D.,Ibid, p. 3.

- المجموعة الثانية من النقوش: تتناول قتال الملك لأحد أعدائه والمذبحة التي يلتحم فيها الجيشان. وفي منظر فريد اقترن منظر القتال بمنظر صيد الأسود على الجدار الشمالي لصالة الفناء الثاني من الخارج في معبد مدينة هابو، والمرحلة الأخيرة من مراحل القتال تتمثل في استقبال الملك لجزية المدينة التي يقدمها أمراؤها ويسارع الجميع في قطع الأشجار اللازمة لبناء السفن وساريات الأعلام.

- المجموعة الثالثة من النقوش: تتناول موضوعات ما بعد القتال وأولى هذه المراحل هي مرحلة تقييد الأسرى من رقابهم وأيديهم ثم مرحلة الاحتفال بالنصر وتتمثل في عرض طابور الأسرى أمام الملك وحصر أعداد أيدي القتلى وأعضائهم الذكرية، وأعداد الماشية والثيران التي تم الاستيلاء عليها ويلي ذلك مرحلة الاستعداد للرحيل عن ميدان المعركة وتتمثل في صعود الملك إلى عجلته الحربية وهو ممسك بحبال قيدت بها رقاب طابورين من الأسرى تجرهم عجلته الحربية وهم مقيدون من أيديهم أيضا. وتتمثل المرحلة الأخيرة من هذه المجموعة في تقديم هؤلاء الأسرى والغنائم إلى المعبود "آمون".[١٨٤]

تصوير المعارك في العصور المتأخرة:

يوجد رسم كبير على جدران الكرنك ومدينة هابو تظهر فيه مناظر للضرب، فهناك على بوابة بوبسطة بالكرنك بقايا منظر تمثل "شاشانق" الأول من الأسرة الثانية والعشرين، يرتدي التاج الأبيض ويسدد ضربة إلى الأسرى الماثلين أمامه. ويظهر نفس المنظر في "كاوا" بالنوبة، ويتكرر في مدينة هابو للملك "نختانبو" من الأسرة الثلاثين.

تصوير المعارك في العصرين اليوناني والروماني:

في نهاية العصر اليوناني وفي العصر الروماني صور منظر في دندرة (شكل ٢١) وفي إسنا على يسار ويمين الجدران الخارجية في صالة الأعمدة الكبرى، يظهر في هذا المنظر الامبراطور "دوميتيان" يضرب أربعة أسرى مقيدين تماما مثل ما صور "أمنحتب الرابع" في منظر في معبد الكرنك. يظهر نفس المنظر مرة أخرى على الصرح الكبير على الجدران الخارجية في معبد إدفو.

أما في "كوم امبو" فيظهر بطليموس التاسع على كل من جانبي الممر الخارجي، الجزء الأعلى يظهر نموذج لأسد والجزء الأسفل من الملك وأقدام الأسير. أما في معبد "فيلة" فيظهر على الصرح الامبراطور "تيتوس" على الحائط الجنوبي (مثل إسنا) وعلى الحائط الشمالي يظهر "تراجان". وفي الكرنك يظهر بطليموس الثالث على بوابة "خونسو" يضرب أسيرا واحدا.[١٨٥]

---

[184] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص١٥٣.

[185] Hall, E.S., op. cit., p. 43, 44.

الفصل الرابع

المعارك في الدولة القديمة وعصر الانتقال الأول

الدولة القديمة

كان من الواجبات الملقاة على عاتق ملوك عصر التأسيس أن يكفلوا حماية القوافل، وبعثات المناجم والمحاجر والتي تجوس خلال صحراوات سيناء، وقد نجح الملك العقرب بعد إخضاعه لجزء من الدلتا في إخضاع بعض قبائل البدو في الصحراء الشرقية.[186] وقد كانت العلاقات الدربية بين مصر وآسيا في الدولة القديمة ضعيفة، ولكن بعد ذلك ظهر نشاط ملحوظ في هذا الجزء من أرض مصر وكان يحتاج ذلك إلى ترجمة لمغزى الأسرى الذين كانوا في السفن المصرية التي عادت من آسيا في عهد الملك "ساحورع" من الأسرة الخامسة. وقد وجد أيضا منظر في مقبرة من أواخر الأسرة الخامسة أو بداية الأسرة السادسة يوضح نجاح المصريين في مهاجمة حصن آسيوي، وفي النهاية يوجد نص يوضح الموقف المتشدد ضدهم وهي نصوص أو نقوش "وني" في قبره التذكاري بأبيدوس.[187]

أصبحت القبائل البدوية في الشمال جريئة جدا في الهجوم على شرق الدلتا لكي ينهبوا مناجم سيناء، وبدأت هذه الهجرات تتوافد على أرض فلسطين خلال عهد الملك "ببي الأول" أو ربما قبله، وهي هجرات بدوية متقطعة سماها المصريون باسم "عامو حر يو شع" بمعنى "بدو الرمال" أو "أولئك الذين على الرمال"، ويحتمل أنها كانت فرعا من الهجرات الأمورية التي انتشرت على حدود الهلال الخصيب وهددت سبل التجارة بين مصر وجيرانها وحاولت أن تثير الاضطرابات وأن تعبر حدود مصر الشمالية الشرقية وتهدد إقليم شرق الدلتا.[188] وكان بدو سيناء يقومون من حين لآخر بالتمرد وبأعمال السلب والنهب فكان ملوك مصر في الدولة القديمة يقومون بحملات تأديبية ضدهم.

وقد سجلت مقبرة "عنتي" المنحوتة في الصخر الواقع أسفل قمة الجبل المنعزل عند نهاية الجبانة من الجهة القبلية بدشاشة والمنتمية للدولة القديمة، سجلت على النصف الشمالي من الحائط الشرقي مناظر لحروب وقعت بين المصريين وبين شعب عاش في الجزء الشمالي من بلاد العرب أو في جنوب فلسطين، ويرى فيه رماة السهام المصريون وهم يهاجمون إحدى المدن بينما يحارب مشاة المصريين المسلحين بفؤوس الحرب ضد الآسيويين المجهزين بالهراوات. وفي نفس الوقت الذي يقوم فيه الجنود المصريون بثقب أساسات أسوار المدينة بواسطة عتلات مسننة، ينصت أحد الآسيويين بعناية داخل الأسوار ليكتشف مكان الهجوم. وهناك هجوم آخر من البدو مستخدمين سلما، وهناك رسم يمثل رئيس المدينة جالسا على عرشه وهو يشد شعر رأسه حزنا على سقوط مدينته الوشيك.[189] (شكل ١)

الأسرة صفر:

في عهد الملك "العقرب":

كانت الفترة التي سبقت توحيد القطرين فترة نزاع بين الشمال والجنوب. في إحدى مراحل هذا النزاع يبدو أن الجنوب تغلب على الشمال، وقد عثر في "هيراقونبوليس" التي كانت العاصمة السياسية لحكام الصعيد قبل اتحاد القطرين على بعض الآثار للملك العقرب منها إناء اسطواني الشكل، يوجد على سطحه الخارجي نقش بارز يمثل مجموعة من الصقور وضع كل منها على ما يشبه الحامل ونقش اسم الملك العقرب تحت هذه الطيور، وهناك زخارف تمثل قوسا مزدوجا وطائرا من فصيلة الهدهد وقد رأى بعضهم في هذا المنظر أن الملك حارب أهل الدلتا وانتصر عليهم.[190] (شكل ٢٢) وقد ينسب هذا الأثر لـ "نعرمر" في حال أن الملك العقرب هو "مينا".

الأثر الآخر عبارة عن رأس مقمعة قتال من العاج كمثرية الشكل يبدو أن الملك كان قد أهداها إلى معبد "نخن"، وقد قسمت إلى عدة مناظر، في الوسط نرى الملك العقرب يرتدي التاج الأبيض وهو يمسك فأسا يضرب بها الأرض

---

186 رمضان السيد، تاريخ مصر القديمة ،ج١، ط٢، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٧٠.

187 عز الدين حسنين أحمد عبد الحليم، "مصر منذ قيام الأسرة السادسة وحتى نهاية عصر ببي الثاني، دراسة تاريخية وأثرية"، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٩، ص٩٩.

188 عز الدين حسنين أحمد عبد الحليم، المرجع نفسه، ص٩٩.

189 جيمس بيكي، الآثار المصرية في وادي النيل، ج٢، ص٨٠.

190 رمضان السيد، المرجع السابق ، ج١، ط٢، ص١٦٩؛ Quibell, Hirakonpolis I, pl. 19

ويتصدر مراسيم احتفال ما. ويلاحظ أنه لا يرتدي التاج الأحمر دليل على أنه لم يخضع الدلتا كلها.[191] يظهر على إحدى القطع لرأس صولجان الملك العقرب نقش مكون من ثلاثة صفوف، يبين الصف الأول طيورا ميتة معلقة في أعلام قبائل الجنوب. وهذه الطيور تمثل ولايات الشمال المتحالفة، أما الصف الثاني فإنه يصور الملك لابسا تاج الوجه القبلي الأبيض ويقوم بحفر قناة وسط منظر يمثل أفراحا ويرمز هذا بوضوح إلى إعادة تنظيم الدولة.

ونرى في الصف الثالث رجالا قد انهمكوا في الأعمال السلمية الزراعية وعلى هذا فإن رأس الصولجان تسجل بذلك الانتصار والسلم وإعادة التنظيم (شكل ٢٣). أما رأس الصولجان (شكل٢٤) فتظهر الملك لابسا التاج الأحمر لدولة الشمال المهزومة وجالسا على عرشه تحميه المعبودة "نخبت" وأمامه حملة الألوية وكذلك شخص يجلس في محفة وأشخاص يمثلون أسرى وأرقام وعلامات تمثل ١٢٠٠٠٠ رجل، ٤٠٠٠٠٠ ثور، ١٤٢٢٠٠٠ ماعز، وهي غنائم الحرب ويفسر بعض المؤرخين صورة الشخص الجالس بأنها صورة رجل ولكن بمقارنتها بأشخاص مشابهين على بطاقة خشبية عثر عليها في سقارة يتضح أنها صورة سيدة بكل تأكيد، وقد اقترح أنها أميرة من الشمال وقعت في الأسر ربما اتخذها الملك المنتصر زوجة له.[192]

قام الملك العقرب أيضا بمحاربة الليبيين ولعل أقدم إشارة إلى الليبيين في الآثار المصرية هو ما جاء على لوحة الملك "العقرب" أو لوحة "تيحنو"، حيث ظهر في أحد وجهي اللوحة من أسفل أشجار يفترض "نيوبري" أنها أشجار الزيتون وعارضه في ذلك "كيمر"، وإلى جانب الأشجار توجد العلامة الهيروغليفية الدالة على بلاد "تحنو" وهي أرض الليبيين. وهناك لوحة أخرى يظهر فيها الملك في شكل ثور قوي يطعن حتى الموت رجلا مستلقيا من ذلك الطراز الذي يطلق عليه "الليبي"، له أنف بارز وشعر مجعد ولحية طويلة مربعة مقصوصة.

وهناك منظران يعبران عن مدن محاطة بسور على الوجه الخلفي للصورة وهناك أعلام على الوجه الآخر تنتهي بايد ممسكة بحبل مربوط به الأسرى يجعل من الواضح أن موضوع هذه المناظر هو الحرب التي يعبر فيها الثور رمزيا عن شخص أو قبيلة يعبر عنه رمزيا بالثور. وهناك لوحة محددة بنفس الفترة الزمنية تحمل على وجهها الزرافات المعروفة تحيط بنخلة، ويظهر على الوجه الآخر عديد من الأسرى قتلى وأحياء وهناك منظر رمزي لأسد يلتهم أحد الأسرى، بينما يسحب الآخر ويجر على الأرض.[193] (شكل ٢٥)

أما لوحة "التحنو" أو ما يعرف أحيانا باسم الصلاية الليبية أو "صلاية الأسلاب" من الشست والتي عثر عليها بمقبرة الملك "جت" بأبيدوس والموجودة حاليا في المتحف المصري رقم ١٤٢٣٨ J.E 27434 من أواخر عصر ما قبل الأسرات فتتضمن مناظرها على أحد وجهيها أربعة صفوف، تبدو أشكال ثيران وحمير وكباش في الصفوف الثلاثة الأولى، ويفصل كل صف منها ما يمثل خط الأرض في حين تبدو في الصف الأخير إحدى العلامات التصويرية التي ارتبطت في النصوص المصرية مع إحدى المجموعات البشرية الليبية التي عرفت بعد ذلك باسم التحنو ( )، كان موطنها الأصلي استنادا إلى "ادواردز" الحواف الشمالية الغربية للدلتا بين أشجار الزيتون.

ومن ثم في ارتباط مع الأرض وأهلها باعتبار "التحنو" أرض الزيتون وفي تضاد مع "كيمر" المنادي بدلالة تلك العلامة على أرض الدلتا باعتبارها "أرض الكتان"، وتعكس مناظر لوحة التحنو ضمنا ملامح عدائية للعلاقات المصرية الليبية المبكرة من أواخر عصور ما قبل الأسرات. الرسم يبين الغنيمة التي أحضرت من غزوة ناجحة في ليبيا، ويظهر في الخلف سبعة مدن محاطة بأسوار منها واحدة مدمرة بواسطة صقر، وأخرى بواسطة أسد، وثالثة بعقرب، ورابعة بصقرين جاثمين، أما مدمرو باقي المدن الباقية مفقودون ولكنها كلها رموز لملك مصر. (شكل ٢٦)

أما مقبض سكين جبل العراك فهي عبارة عن سكين لها يد عاجية منقوشة جاءت من جبل العراك بجنوب مصر على الضفة الشرقية في مقابل نجع حمادي، موجودة الآن في اللوفر، وهي مسننة بدقة، على أحد وجوه اليد منظر لمعركة في البر والماء في سلسلتين من النقوش، هذه المعركة بين مجموعتين بشريتين إحداهما مصرية الملامح

---

[191] رمضان السيد، المرجع السابق، ص ١٧٠؛ Quibell, op. cit.I, pl. 25,26 (c)

[192] والتر إمري، مصر في العصر العتيق، الأسرتان الأولى والثانية ، ترجمة: راشد محمد نوير ، محمد علي كمال الدين، مراجعة. عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ٢٠٠٠، دار نهضة مصر للنشر، ترجمة لكتاب Archaic Egypt ، ص٣٠، ٣١.

[193] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ج٢، ص ٩٤، ٩٥؛
J.B. Bury, S.A.Cook, F.E.Adcock, ***CAH***, Vol.1, p. 251

والأخرى تتشابه في ملامحها وتسريحة الشعر لأفرادها مع تلك المعروفة عن الليبيين، في الأعلى معركة ممثلة بين رجال مسلحين بالمقامع والسكاكين ورجال غير مسلحين ماعدا واحدا يحمل سكينا من حجر الصوان، كل من الفريقين حالقو اللحى وعراة تماما ماعدا ستر العورة، الرجال غير المسلحين لهم خصل شعر طويلة تتدلى على الكتف الأيسر، أما الرجال المسلحون فليس لديهم مثل هذه الخصل، تحت المنظر يوجد تسجيلان لصف من القوارب منفصلان بكومة من الرجال المذبوحين، القوارب العلوية مختلفة عن السفلية.[194] (شكل ٨)

وتتضمن لوحة الصيد (صلاية الأسود) (شكل ٢٧)، تصويرا لمجموعة ملتحية تضع الريش في شعرها ويرتدي أفرادها كيس العورة ولها ذيول ثيران تتدلى من قمصانها القصيرة ربط البعض بينها وبين الليبيين، وتحمل في أيديها ألوية من بينها ما يمثل علامتي الشرق Ibtt والغرب Imntt مما قد يدل على أهل شطري الدلتا المتقابلين آنذاك، كما تحمل بالمثل الحراب والأقواس والسهام ودبابيس القتال وعصي الرماية، وتبدو حيوانات في الوسط تولي الأدبار. وفي الطرف الأعلى شبل من أمامه أسد يهجم على أحد الصيادين. وضمن مناظر هذه الصلاية التي يوجد جزء منها بالمتحف البريطاني والآخر في متحف الأشموليان بأكسفورد، وجد على أحد وجهيها شكلا للملك بهيئة أسد ينهش جسد عدو ملقى على الأرض مرتديا كيس العورة رأى فيه البعض تصويرا رمزيا لأحد الليبيين واحتمالية غارة ليبية، وانتصارا مصريا عليهم.

وقد شهدت الفترة الانتقالية إلى العصر التاريخي وبدء الأسرات جهودا عسكرية مصرية بهدف توحيد شطري البلاد، وينسب إلى تلك الفترة من عهد "العقرب" أقدم تصوير لما أسمته النصوص المصرية "شعوب الأقواس التسع" كأعداء نمطيين لمصر وذلك على مقمعة حجرية له عثر عليها في "نخن" (الكوم الأحمر)، ويبدو على نصفها الأول تصوير لألوية مقاطعات متعددة الآلهة، وعلى النصف الآخر شكل لحملة الألوية على كل منها قوس من الأقواس مربوط فيها، جادل البعض في وجود الليبيين بين تلك المجموعات التسعة البشرية كأعداء لمصر. ورجح البعض الآخر احتمالية ارتباط تلك الأحداث بأهل الدلتا الذين حاربهم الملك العقرب وانتصر عليهم ضمن جهوده الحثيثة لتوحيد شطري مصر.(شكل ٢٤) [195]

في عهد الملك "نعرمر":

يزعم "آركل" أن "نعرمر" هو خليفة الملك العقرب وأنه بعد أن أكمل الانتصار على الدلتا استولى على ميناء آسيوي وصفه بالباب الكبير.[196] وقد استدل "آركل" على ذلك من اكتشاف ثلاث رؤوس لصولجانات من الحجر الجيري الأصفر (شكل ٢٨) والمزينة بنقوش تصور غزو شعب يتميز بأن له ضفائر وأنوف حادة ولحى قصيرة، يظهرون في القطعة رقم 14898A كما يقول Quibell متوجهين للأمام، مرتدين تنورات قصيرة لها أحزمة مزركشة. يظهر في النقش العلوي للقطعة أرجل لرجل يرتدي تنورة مشابهة ويحمل شينا طويلا يشبه فرع شجرة وتتبعه أرجل لرجلين يلبسون أردية طويلة، هذان الرجلان ربما كانا من ضباط الملك أو من رؤساء هذه القبائل.[197]

كانت رؤوس الصولجانات تؤرخ كلها لغزوات، فالرأس الأولى الموجودة في أوكسفورد رقم E3632 والتي يبلغ ارتفاعها ٣٢سم تقريبا تسجل هجوم شعب "الزقزاق والقوس" Plover and Bow بينما القطعتان UC 14898K ، 14898 A فكل منهما تسجل غزو مرتفعات الصحراء الشرقية (مرتفعات البحر الأحمر) وقد شرحها وحققها "بتري" الذي يشير إلى أن بقايا اللوحة الموجودة بالمتحف البريطاني والتي يظهر على أحد وجوهها الزرافات، يظهر على الوجه الآخر ميدان المعركة، وقد ظهر فيها جزء من صورة لرجل يرتدي رداء منقطا والذي يمكن أن يكون زعيم آخر للصحراء الشرقية. إذن ربما كانت هذه اللوحة بالإضافة إلى البقايا العاجية التي عثر عليها في أبيدوس في المقبرة رقم B 17 تنتمي إلى الملك العقرب. على أية حال ما يجب معرفته أن لوحة "نعرمر" تسجل إتمام ما قام به العقرب الذي عرف بعد ذلك بمينا من غزو للدلتا مع احتلال الميناء الآسيوي الرئيس الذي يوصف بالباب الكبير.[198]

---

[194] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص٢، ٣؛ ***CAH***, Vol.1, p. 252

[195] علاء الدين عبد المحسن، المرجع نفسه، نفس الصفحات؛ إمري، المرجع السابق، ص ٣٢.

[196] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ج٢، ص١٢.

[197] Arkell. A.J.: "Was King Scorpion Menes?", Antiquity, XXXVII, 1963, p. 31, 32.

[198] Arkell, Ibid., p. 35.

عندما تأسست حكومة مركزية على يد الملك "نعرمر" تواجدت على حواف الدلتا الغربية وفي الواحات بالصحراء الغربية مجموعات بشرية ليبية حاولت الإقامة بالمكان باعتباره صالحا للإعاشة لها ولقطعانها مما كان دافعا لجهود مصرية لدفع تلك التجمعات.[١٩٩]

وهناك لوحة من عصر ما قبل الأسرات تسجل نتيجة حملة على ليبيا وقد سجلت أيضا على أسطوانة من العاج من "هيراكونبوليس" صور عليها "نارمر" في حضور المعبود حورس والمعبودة "نخبت" يضرب أناسا ذوي لحى سجلوا على أنهم ليبيون، كما يوجد أيضا في لوحة نارمر الكبيرة التفاصيل الرئيسة والأشخاص واضحة جدا وتوافق الحدس أن هؤلاء الأعداء المهزومين هم الليبيون سكان إقليم الحربة Harpoon في شمال غرب الدلتا.

أما بقية المناظر فلا يتضح فيها ما إن كانت مجرد حرب أهلية بين قبيلة وقبيلة أو هو صراع بين شمال مصر وجنوبها أو حملات لملوك مصر العليا والسفلى أو الاثنين ضد العدو الأجنبي. وعلى الجانب الآخر من لوحة الزرافة يظهر المنهزمون كرجال لهم شعر مجعد ولحى صغيرة وسوالف طفيفة وأنوف غليظة وشفى رفيعة مقلوبة ويظهر نوع مميز من الختان يبين أنهم ليسوا زنوجا حقيقيين ومع ذلك ومع ذلك فقد حملوا الدماء الزنجية في أوردتهم ليكونوا مصريين أو ربما كانوا من الزنوج الحاميين.

أما في لوحة نعرمر فشعر المنهزمين ليس مجعدا وملامحهم ليست زنجية ولكن يظهر أن كلا من الشعبين المنهزمين ينتمي إلى الأصل الحامي، وربما كانوا من الفرع الجنوبي الذي تشرب كثيرا من الدماء الزنجية بالاتصال مع شرق أفريقيا.[٢٠٠] ويبدو أن "نعرمر" قد قام بحملة تأديبية ضد التحنو استنادا إلى خاتم اسطواني عثر عليه في نخن تضمن ذكرا لاسمه واسم أرض التحنو وأشكالا لأسرى تم القبض عليهم في معركة (حملة تجريدية).[٢٠١]

في أعلى الصلاية على الوجهين الأمامي والخلفي يظهر في الوسط اسم "نعرمر" مكتوبا داخل مستطيل يمثل واجهة القصر الملكي وعلى اليمين واليسار من الاسم نقش يمثل رأس المعبودة "حتحور" بوجه إنساني وأذني بقرة وعلى الوجه الخلفي يظهر الملك واقفا بحجم كبير وعلى رأسه تاج الوجه القبلي وهو يقوم بتأديب أسير راكع بمقمعة قتاله وإلى جوار رأس الأسير كتب اسمه "رع- ش" وأمام الملك يظهر المعبود "حورس" على شكل صقر يقبض بيده على حبل يجر به رأس عدوه يعلوه ستة أعواد من البردي يمثل كل منها عدد "١٠٠٠" ويسير خلف الملك أحد أتباعه وقد حمل في يده اليمنى إناء وفي اليسرى خفي الملك، وفي أسفل اللوحة يظهر اثنان من أعدائه وفوق كل منهما اسمه. (شكل ١٣)

وتعتبر نقوش الوجه الأمامي للصلاية مكملة لتسجيل انتصارات "نعرمر"، فعلى الثلث الأعلى نرى منظرا آخر لنعرمر متوجا بتاج الوجه البحري، وفي الجزء الأسفل يظهر ثور يرمز إلى الملك يحطم بقرنيه أسوار أحد الحصون وقد ارتمى شخص ربما يمثل أحد سكان هذا الحصن تحت قدمي الثور خارج سور الحصن، ويظهر الأعداء مقطوعي الرؤوس.[202]

الأسرة الأولى:

في عهد الملك "حور عحا":

وجه الملك "حور عحا" جهوده نحو الجنوب. وقد جاء على آثار "عحا" أنه قد ضرب أرض النوبيين وهزمهم[٢٠٣] وبسط حدوده وثبت دعائم حكمه في أعالي النهر حتى الشلال الأول.[204] وقد جاءت أخبار هذه المعارك في منظر على بطاقة خشبية وجدت في أبيدوس. (شكل٢٩)[٢٠٥]

---

[199] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص٢، ٣.

[200] *CAH*, Vol.1, p. 268

Petrie, , Vol. I, p.7.

[201] علاء الدين عبد المحسن، المرجع نفسه، ص٣،٢.
[202] رمضان السيد، المرجع السابق ،ج١، ط٢، ص١٧٠، ١٧؛
[203] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ج٢، ص٩٢، ٩٣.
[204] رمضان السيد، المرجع السابق،ج١، ط٢، ص١٧٦.
[205] والتر إمري، المرجع السابق، ص ٣٦.

شن "حور عحا" حملة تأديبية مرجحة بهدف تأمين حواف غرب الدلتا وللحد من تداخلات تلك المجموعات البشرية الليبية إلى المكان. كما عثر على لوحات من عصره أيضا تمثل الليبيين مع تقدماتهم دلالة على الولاء والخضوع.[٢٠٦] وقد عثر في مقبرته بسقارة على لوحة من المرمر نقش عليها منظر يقوم فيه بتأديب أحد الأسرى الليبيين.[207]

في عهد الملك "جر":

ذكرت قطعة القاهرة لحجر بالرمو إشارة إلى ما حدث في عهد الملك "جر" ثاني ملوك الأسرة الأولى من ضرب "ستيه" وهو اصطلاح جغرافي يقابل "آسيا".[٢٠٨]

تضمن منظر للملك "جر" على لوحة مرمرية عثر عليها في مقبرته الملكية في سقارة تصوير للملك هاويا بيده اليمنى بمقمعته وقابضا بالأخرى على أسير من شعر رأسه يبدو أنه ليبي استنادا إلى ملامح وجهه وخصلة الشعر المتدلية على جانب وجهه والريشة على الرأس.(شكل ٣٠)

قام الملك "جر" بحملة إلى بلاد النوبة وصل فيها إلى الشلال الثاني وقد وصلتنا أخبار هذه الحملة عن طريق نقش محفور في قمة جبل الشيخ سليمان عند مدخل الشلال الثاني.[209] فقد عثر في عام ١٩٤٩م على منظر لمعركة محفور على صخور جبل الشيخ سليمان قرب منطقة "بوهن" أمام وادي حلفا وفيها يسجل الملك "جر" ثاني ملوك الأسرة الأولى انتصاره على النوبيين.[٢١٠]

يظهر في النقش الاسم الحوري للملك ويقف أمامه شخص في مظهر الأسير ممسكا بالقوس وهو العلامة التي تمثل بلاد النوبة (تا ستي "أرض القوس")، وهناك أسير آخر مربوط في مركب حربي مصري بأسفله أجسام لأعداء مذبوحين (شكل ٣١). ولا يمكن البت فيما إذا كان هذا الأثر البداني يمثل مجرد حملة تأديبية قام بها "جر" أم أنه انتصار فعلي، ولكن عثر في بلاد النوبة السفلية على أشياء من هذا العصر لا يشك في صناعتها المصرية.[٢١١]

في عهد الملك "دن" (أوديمو):

في العام الثاني من حكمه قام الملك "دن" رابع ملوك الأسرة الأولى بتأديب بدو سيناء وهزيمتهم، فقد عثر له على لوحة عاجية في أبيدوس تمثله وهو يقف وقفته التقليدية كفرعون منتصر يقوم بتأديب آسيوي يحتمل أنه كان من سكان صحراء شبه جزيرة سيناء. مع عبارة "أول مرة لضرب الشرقيين" وقد كانت هذه الحرب ضرورية لتأمين طرق التجارة في وادي مغارة لجلب النحاس من مناجم سيناء وهي بالغة الأهمية.[212](شكل ١٦)

في عهد الملك "عدج ايب":

وفي عهد ملك متأخر ربما كان "عدج- ايب" توجد إشارات تتحدث عن ضرب "الأيونيتو" وهو اصطلاح قد يشير إلى الشعوب التي تسكن في شمال شرق الدلتا، وربما كان معناه "أصحاب العمد" وهم من بدو الصحراء الشرقية وسيناء وربما ما وراءها أيضا.[٢١٣] وقد أطلق عليهم "سترابو" "سكان الكهوف"، والذين كانوا يعيشون على السلب

---

[206] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص٢، ٣.

[207] Weill, *RT*, 29, 1907, p. 35

[208] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ج٢، ص٨٧؛
Weill, Ibid. 29, 1907, p. 35

[209] Weill, Ibid, 29, 1907, p. 35

[210] Arkell, A. J. Varia Sudanica. *JEA*,36, p. 27-30.

[211] والتر إمري، المرجع السابق ، ص ٤٤.

[212] Emery- Saad, The Excavations of Saqqara, The tomb of Hamaka, 1932, p. 1-9

[213] Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, p.414

والنهب أو التجارة في قوافل تقطع صحراء العرب.[٢١٤] وقد أشار حجر "بالرمو" إلى أن الملك "عدج ايب" قد حارب البدو في العام السابق لاحتفاله بعيده الثلاثيني.[٢١٥]

الأسرة الثانية:

في عهد الملك "خع سخم":

في عهد الملك "ني نثر" وفي السنة الثالثة عشرة من حكمه هاجم الليبيون أرض الدلتا واحتلوها عنوة وانفصلوا بها عن الصعيد فلما جاء بعده الملك "بر إيب سن" لم يحكم غير الصعيد وحده، ولكنه اعتزم الكفاح وتسمى باسم "سخم إيب" أي الجسور ولقب بـ "رن ماعت" أي الذي خرج للحق" واستمسك في أغلب أحواله برب الصعيد "ست" باعتباره من أرباب الحرب والقتال واحتفظ لنفسه بلقب "نسوبيتي" أي أنه ظل يحتفظ بانتسابه إلى شعار الدلتا وربتها بجانب شعار الصعيد وربته، ولكنه لم ينته في كفاحه إلى شيء.[٢١٦] تلى كفاح "بر ايب سن" محاولات لـ "خع سخم" خليفته لاسترداد الدلتا، وتمكن بالفعل من تحقيق النصر عليهم، ومن ثم تغير اسمه ليصبح "خع سخم وي" أي شروق القوتين، في إشارة إلى "حورس" و"ست".[٢١٧] وقد عثر في "نخن" على لوحة مكسورة لخع سخم اشتملت على تصوير لرأس ملتح تعلوه ريشة، من الأعداء الليبيين.[٢١٨]

اتخذ الملك "خع سخم" ثوب "حور" واستنصره وقام بمحاربة الأعداء الذين أشار إليهم بالشماليين وهناك إشارة إلى عددهم وهو ٤٧٢٠٩، وهناك كذلك ثلاثة أوان حجرية مثلت عليها الربة "نخبت" تقدم إلى "خع سخم" رمز توحيد الأرضين ويستقر مخلباها الخلفيان فوق خرطوش دائري بداخله علامة "بش" ويشغل الجانب الأيمن من الرسم التعبير بالهيروغليفية عن "سنة" مصحوبا بالكلمات (المحاربة وضرب الشماليين) والملك يلبس تاج الصعيد. (شكل ٣٢)

وقد اختلفت الآراء في معنى كلمة "بش" bš حيث يرجح بعض الباحثين أن الارتباط بين كلمة "بش" المدونة على إناء "خع سخم" باعتبارها دالة على مجموعة بشرية قاطنة بالقرب من الفيوم وبين ما ورد ضمن نصوص حجر بالرمو عن "عام محاربة (الأعداء) الشماليين" يؤكد على ارتباط الأحداث مع التداخل الليبي إلى مصر ويبدو ارتباط تلك الأحداث مع الشماليين قاطني الدلتا أكثر احتمالا من ارتباطها مع الليبيين.

وربما كان "بش" هو الاسم الشخصي للملك "خع سخم" أكثر منه اسم بلد أو رئيس منهزم[٢١٩]، وربما كان معناه "ثوار،"[٢٢٠] بينما يرى "ادواردز" أنها تشير إلى القبائل الليبية.[٢٢١] ويبدو أن هذا الرأي الأخير هو الأرجح لأنه قد عثر على نقش غير كامل مكتوب على جزء من آنية من الديوريت تحت المصطبة المدرجة بسقارة يستدل منه على قيام الملك بغزو البلاد الأجنبية والتي ربما كان المراد بها تلك الأرض التي يحتلها الأجانب أي الدلتا.[٢٢٢] ويتضح هنا أن المراد بالشمال هو الدلتا وليس حدود البلاد الشمالية.[٢٢٣]

كما سجلت تلك الأحداث على قاعدتي تمثالين للملك في "نخن" أحدهما من الشست والآخر من الحجر الجيري يمثلان "خع سخم" جالسا فوق عرشه وفوق رأسه تاج الوجه القبلي مرتديا الرداء الذي يلبس في احتفال عيد

---

[214] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص٣٦.

[215] Emery, W.B., Archaic Egypt, London, 1963 (a Pelican Book), 1963, p. 74.

[216] محمد بيومي مهران، المرجع نفسه، ج٢، ص٥٤، ٥٥.

[217] Velde, T., Sethe, God of Confusion, Leiden, 1974, p.114, p. 119

[218] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص٤

[219] محمد بيومي مهران، المرجع نفسه، ج٢، ص٥٠، ٥١، ٥٥.

[220] Emery, W.B., Ibid, , p. 99.

[221] Edwards, I.E.S., The Early Dynastic Period in Egypt, ***CAH***, I, Part 2, Cambridge, 1971, p. 32, 33.

[222] محمد بيومي مهران، المرجع نفسه، ج٢، ص٥١

[223] علاء الدين عبد المحسن، المرجع نفسه، ص٢.

"سد"، يظهر في النقوش صف من صور آدمية ملتوية تمثل أعداء مذبوحين وتقص علينا النقوش انتصاره هذا وقتله لأكثر من أربعين ألف رجل من أهل الشمال. وعلى مقدمة التمثال كتب "الأعداء الشماليون وعددهم ٤٧٢٠٩" (شكل ٣٣) [٢٢٤]

سجل الملك "خع سخم" في نقش له من "هيراقونبوليس" ما لا يترك شكا في أن النوبيين قد قاسوا منه نفس معاملة المتمردين في الدلتا ولعل السبب في ذلك أنه إنما أراد أن يتقي أي هجوم من الخلف يقوم به النوبيون ضده في وقت يكون فيه مشغولا بالحروب ضد مصر الوسطى والدلتا، ومن ثم فقد قام بحملته ضد النوبة قبل أن يبدأ الحرب ضد الشمال.[٢٢٥]

الأسرة الثالثة:

في عهد الملك "سا نخت":

قام الملك "سا نخت" أول ملوك الأسرة الثالثة بمحاربة البدو في سيناء لتأمين المناجم والمحاجر وقد صورت معاركه معهم على لوح حجري بوادي مغارة ومحفوظ الآن بالمتحف البريطاني يظهر فيه الملك وهو يضرب زعيم من زعماء البدو. ويظهر في أعلى النقش السرخ الذي يحتوي على الاسم الحوري للملك وإلى اليمين يظهر أقدم مثال للكلمة المصرية التي تدل على "الفيروز". (شكل٣٤، ٣٥)[٢٢٦]

في عهد الملك "جسر"(زوسر):

قام الملك "زوسر" ثاني ملوك الأسرة الثالثة بإرسال الحملات الحربية إلى بلاد النوبة لتأمين الحدود الجنوبية وقام بضم هذه المناطق إلى مصر للحفاظ على حدودها الطبيعية.[227]

تابع الملك "زوسر" نشاط أسلافه في تأمين مناجم الفيروز في سيناء فحارب البدو هناك وسجل انتصاره عليهم على صخور وادي مغارة. يظهر الملك في النقش يمسك العدو الراكع من شعر رأسه ويهوي عليه بمقمعة، وعلى يمين النقش يظهر الاسم الحوري للملك "نتري خت" داخل السرخ. (شكل ٣٦)[٢٢٨]

في عهد الملك "سخم خت":

حارب أيضا الملك "سخم خت" ثالث ملوك الأسرة الثالثة البدو، وقد سموه "الضارب" لانتصاره عليهم وقد سجل هذا الانتصار على لوحة صخرية كبيرة في وادي مغارة بسيناء.[٢٢٩] يظهر الملك في النقش في ثلاث مناظر متتالية، الأول وهو يضرب العدو الراكع بيده اليسرى بالحربة ويمسك في يده اليمنى مقمعة يهوي بها عليه لابسا التاج الأبيض، تاج الجنوب وأمامه يوجد الاسم الحوري داخل السرخ، المنظر الثاني يظهر فيه الملك لابسا تاج الوجه البحري ماسكا في إحدى يديه عصا وباليد الأخرى سيفا قصيرا بشكل أفقي، المنظر الثالث يظهر فيه بالتاج الأبيض

---

[224] إمري، المرجع السابق، ص ٨١؛

Weill, ***RT,*** 29, 1907, p. 29

؛Sethe, Beiträge zur Altesten Geschichte, p. 50; Petrie, Ibid, Vol. I, p.27

[225] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ج٢، ص٩٤.

[226] Rock inscription of Sanakht, The Trustees of the British Museum, http://www.bmimages.com/resultsframe.asp?cat=EA, Petrie, Researches in Sinai, fig. 49.

[227] رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط٢، ص١٩١.

[228] Hall, op. cit., fig. 11.

[229] محمد بيومي مهران، المرجع نفسه، ص٤٣.

مرة أخرى ممسكا بالعصا والسيف وأمامه السرخ بداخله الاسم الحوري وفوقه حورس يلبس تاج الشمال. (شكل ٣٧)، ويورد كل من "جيمس بيكي"، و"بتري" هذا النقش على أنه للملك "سمرخت" من ملوك الأسرة الأولى.[٢٣٠]

الأسرة الرابعة:

في عهد الملك سنفرو:

قام الملك "سنفرو" أول ملوك الأسرة الرابعة بحملة ضد البدو في شبه جزيرة سيناء، تدل على ذلك نقوش وادي مغارة التي يمثل فيها الملك يلبس تاج "الآتف" ويرفع سلاحه ليضرب أحد البدو الذي صور راكعا وله لحية خفيفة، والملك يجره من شعره، وهذا المنظر يرمز إلى انتصار "سنفرو" على بدو هذه المنطقة أثناء عمليات التعدين هناك ويحتوي النقش على أسماء وألقاب سنفرو.[231] (شكل ٣٨، ٣٩)

يظهر من نص الملك "سنفرو" على حجر بالرمو قيامه بشن حملة تأديبية ضد التحنو الليبيين عاد منها "بأحد عشر ألفا من الأسرى ومائة وواحد وثلاثين ألف رأس من الماشية الصغيرة والكبيرة".[٢٣٢] وبذلك أمن الحدود الغربية.[233]

كما قام أيضا بإرسال حملة تأديبية إلى النوبيين الذين يعيشون فيما وراء الشلال الأول وربما عمد "سنفرو" بسبب هذه الحملة إلى بناء عدد كبير من السفن الكبيرة التي يبلغ طولها أكثر من عشرين مترا وقد سجل حجر بالرمو أخبار هذه الحملة. أسر في هذه الحملة سبعة آلاف شخص وتم عمل أنظمة دفاعية من الأسوار والقلاع بنيت على الحدود الشرقية.[234]

في عهد الملك خوفو:

أمر "خوفو" ثاني ملوك الأسرة الرابعة – مثل سابقيه- بقيام حملة إلى سيناء لتأمين البعثات التي يرسلها لجلب النحاس والفيروز، ويظهر في النقش الملكي الوحيد لهذا الملك والموجود على حجر في سيناء، وهو مثل نقش سنفرو تماما، يظهر فيه خوفو وهو يضرب الأعداء من البدو.[235] وأمامه المعبود "جحوتي" ممسكا بعلامة "واس". (شكل ٤٠)[٢٣٦]

الأسرة الخامسة:

في عهد الملك "ساحورع":

توفر للملك "ساحورع" نشاط عسكري ضد فريق من عصاة القبائل في الصحراء الغربية وشجعت انتصارات جيوشهما على تصوير بعض أفراد هذه القبائل وزوجاتهم وأولادهم على جدران معبده على هيئة المستسلمين[٢٣٧] ويظهر من بقايا النقوش على الحائط الجنوبي من صالة أعمدة معبد "ساحورع" الجنائزي في أبوصير من الأسرة

---

[230] Hall, op. cit., fig. 12; Baikie, J., The story of the Pharaohs, p. 20; Petrie, Researches in Sinai, p.41

[231] Breasted, Ancient Records of Egypt, part 1, p.75, §§ 168,169; Petrie, A History of Egypt, I, p.33

[232] جان يويوت، مصر الفرعونية، ترجمة سعد زهران، مراجعة د. عبد المنعم أبو بكر، سلسلة الألف كتاب، ١٠٦، القاهرة، ١٩٦٦، ص٥١.

[233] رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط١، ص١٩٦.

[234] رمضان السيد، المرجع نفسه، ج١، ط٢، ص١٩٦، ٢١٨؛ Morkot, op. cit., xiii

[235] رمضان السيد، المرجع نفسه، ج١، ط١، ص٢٠٩؛ Petrie, op.cit, I, p.42.

[236] Hall, Ibid, fig. 15; Petrie, Ancient Egypt, vol.I, London, 1914-1917, fig. 6.

[237] عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، ج١، مصر والعراق، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٤١.

الخامسة كثير من نشاط ذلك الملك الحربي خاصة ما ارتبط بتأمين حدود مصر الغربية، وصده لمجموعة بشرية من "التحنو" قدموا بزعمائهم ونسائهم وأولادهم المدونة أسماؤهم أعلى الأشكال المصاحبة لهم ومصطحبين معهم حيواناتهم ربما كنوع من مبكر من أنماط الهجرة الاستيطانية بغرض الإقامة في الدلتا، وتبدو "سشات" إلهة الكتابة منهمكة في تدوين ذلك الحدث وما ارتبط به، وبالمثل بقايا شكل ضخم للملك يقمع بدويا جاثيا ويقبض عليه من شعر رأسه، مؤكدا إلحاقه بالليبيين هزيمة ساحقة.

وتضمنت النقوش المصاحبة للمنظر عبارة "ضرب التحنو". ولعل مصادرة "ساحورع" لتلك الآلاف المؤلفة من ماشيتهم تعكس ما كان متوافرا من عشب ومراع في أماكن إقامتهم السابقة قبل تقدمهم إلى حدود الدلتا الغربية وكان الدافع للتحرك هو احتمالية حدوث قحط بالمكان.[٢٣٨]

اتبع الملك "ساحورع" ثاني ملوك الأسرة الخامسة سياسة تأمين الحدود الجنوبية لمصر بوصفها الامتداد الطبيعي، لها فقام بإرسال حملة إلى بلاد النوبة السفلى. وقد تقدمت هذه الحملة إلى ما بين الشلال الأول والثاني وذلك لتأديب الزنوج الثائرين في هذه المنطقة وقد سجلت أخبار هذه الحملة على جدران معبد الشمس للملك "ساحورع" في "هليوبوليس".[239]

وقد وجدت أيضا نقوش وكتابات بدائية في منطقة "توماس"، تدل على أن هناك حملة عسكرية مصرية من عهد الملك "ساحورع" كانت قد توغلت جنوبا في هذه المنطقة، وكان الأمير "جد كا رع" (ايسيسي)، وهو ثامن ملك في هذه الأسرة، قد بعث حملة بقيادة مستشاره "بوردد" الذي توغل في هذه المنطقة مسافة أكبر جنوبا، وهذا بالاستناد إلى الإشارة التي وردت في رسالة الملك "ببي الثاني" من الأسرة السادسة والتي تقول أن "بوردد" قد جلب معه في عودته عددا كبيرا من إحدى قبائل الأقزام التي تقطن غابات إفريقيا الوسطى.

وقد قام أيضا الملك "ساحورع" بإرسال حملة إلى سيناء لتأديب البدو الذين يعملون على السلب والنهب وقد سجلت أخبار هذه الحملة على جدران معبد الشمس الذي أقامه في هليوبوليس.[240](شكل ٤١) وفي معبده الجنائزي في أبو صير يظهر "سوبد" كإله في هيئة آدمية وله لحية وبشرة صفراء لآسيوي شعره معقود من الخلف بشريط يلبس ريشتين طويلتين على رأسه يقود أسيرين آسيويين ويتسلم لقب "سيد البلاد الأجنبية" وقد كانت له جزية منتظمة في الدولة القديمة.[٢٤١] كما سجلت أيضا في نقوش وادي مغارة في شبه جزيرة سيناء حيث يظهر الملك مرتديا تاج الوجه القبلي يضرب البدوي الراكع.[242] وتظهر ألقابه ومنها، ضارب جميع البلاد، الإله العظيم، الذي يضرب الآسيويين من كل البلاد.(شكل ٤٢)

في عهد الملك "ني وسر رع":

قام الملك "ني وسر رع" سادس ملوك الأسرة الخامسة أيضا بضرب البدو في سيناء كما تدل عليه نقوش وادي مغارة حيث يظهر فيها الملك مرتديا تاج الصعيد يضرب البدو بنفس التقاليد التي ظهر بها أسلافه في هذه النقوش وتأتي أسماؤه وألقابه التي من ضمنها ضارب الآسيويين من كل بلد.[243](شكل ٤٣)

رجحت مناظر معبد الشمس للملك "ني وسر رع" في أبو غراب حملة تأديبية له ضد الليبيين. ويبدو بين بقايا النحت على جدران المعبد (حاليا في برلين Berlin/ GDR 16110; 17921; 1115; 17922) بقايا لأشكال بشرية ليبية توضح ارتداءهم لملابس مزخرفة بحزام حول الوسط ويقبض المرء منهم على خنجر وتعلو رؤسهم الريشة كتعبير عن الهوية.[٢٤٤]

---

[238] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص٤٥؛ رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط١، ص٢١٨

[239] رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط٢، ص١٩٦، ٢١٨.

[240] المرجع نفسه، ص٢١٨

[241] Brovarski, E., Two Writing Boards, ***ASAE***, LXXI, p. 30

[242] Breasted, Ancient Records of Egypt, vol.1, p.108, § 236; Petrie, op. cit, I, p.71

[243] Breasted, Ibid, vol.1, p.114.

[244] Borchardt, L., Das Grabdenkmal des königs Ne- User- Re, Leipzig, 1907, s.48.

في عهد الملك "جد كا رع":

اتبع الملك "جد كا رع اسسي" نفس السياسة التي اتبعها الملوك من قبله في القيام بالحملات التأديبية في شرق مصر ضد بدو سيناء لضمان تأمين القوافل وبعثات المناجم والمحاجر كما يتضح من نقش موجود بوادي مغارة ويبدو أن هذه النقوش تعبر عن رمزية الانتصار على البدو أو السيطرة على الموقف هناك أكثر مما تعبر عن تصوير معركة حقيقية لأنها تتشابه كلها في طريقة تصوير الملك وهو يضرب عدوه المستسلم له. (شكل ٤٤)

في عهد الملك "أوناس":

يبدو أن الملك أوناس قد قامت في عهده معارك مع البدو الآسيويين فقد عثر سليم حسن عام ١٩٣٨ على بعض الأحجار في الطريق الصاعد لهرم أوناس عليها مناظر لقتال بين جنود مصريين وبدو آسيويين. يظهر على اليمين جندي مصري يمسك سلاحا في يده اليمنى ويهوي به على عدو لا يظهر في النقش هذا السلاح ربما كان سيفا أو بلطة، يظهر بعد ذلك جندي آخر يطعن أحد البدو الذي يحمل في يده اليسرى خنجرا كبيرا، ثم جندي ثالث يشد قوسه ليضرب بدويا قد وقع على رأسه وهو يمسك بقوسه وسهمه طائر في الهواء.[٢٤٥] شكل (٤٥)

الأسرة السادسة:

في عهد الملك "تتي":

قام الملك "تتي"، وهو أول ملك من ملوك الأسرة السادسة بإرسال حملة عسكرية إلى منطقة "توماس" وتقع هذه المنطقة على بعد مائة وعشرين ميلا جنوبي الشلال الأول.[٢٤٦] وقد ورد ذلك في الكتابات الموجودة على صخور هذه المنطقة.

في عهد الملك "ببي الأول":

بدأ الملك "ببي الأول" ثالث ملوك الأسرة السادسة في إرسال حملاته ضد الساميين في شمال شرق مصر وجنوب فلسطين حيث دافع عن حدود وطنه بالقوة العسكرية للجيش المصري الذي دخل إلى قلب قطر العدو.[٢٤٧] وقد عثر على نقش في وادي مغارة للقائد "وني" وهو يقوم بضرب البدو في سيناء [248] بنفس الطريقة المتعارف عليها منذ عصور ما قبل الأسرات، وتحت هذا المنظر توجد كتابات لضباط الحملة كالتالي: "السنة الثامنة عشرة بعد الظهور، الشهر الرابع من الموسم الثالث (الشهر الثاني عشر)، اليوم السادس، قائد الجيش Ibdw ابن قائد الجنود "مري رع عنخ" قام بها" ويتبع ذلك قائمة لخمسة عشر جنديا وأعضاء الحملة[249] (شكل ٤٦)

حملات "وني" إلى فلسطين:

قام الملك "ببي" الأول بعدة حملات ضد الآسيويين وفي نقوش "وني" التي تركها على لوحة كانت قائمة في مقبرته في أبيدوس وهي موجودة الآن في المتحف المصري تبين أن العلاقات مع آسيا لم تكن سلمية فقد هاجم الآسيويون الحدود المصرية ونهبوا شرق الدلتا ومنعوا بعض الحملات إلى سيناء و قد أرسله "ببي" الأول خمس مرات على رأس جيش مكون من آلاف الرجال منها أربع حملات عن طريق البحر وفي الخامسة اضطر إلى مهاجمة العدو من الأمام، فقد ذهب على رأس جنوده وتركز في نقطة ما في فلسطين (ربما جبل الكرمل) وهاجم الآسيويين وانتصر عليهم.[250] وبناء على نقش وني يقول أن الملك أرسله خمس مرات على رأس جيش مكون من آلاف الرجال

---

[245] Hassan, S., Excavations at Saqqara, *ASAE* 38, 1958, p. 520.

[246] جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٤، ص١٧٨.

[247] عز الدين حسنين أحمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص٩٩.

[248] رمضان السيد، المرجع السابق، ص ٢٢٥ Montet, Byblos et l' Egypte,1929, p.69, (46)

[249] Breasted,op.cit., vol. 1, p. 139, § 302.

[250] Ibid., vol. 1, p. 144, § 315.

لمهاجمة العدو وقد كانت هناك أربع مرات عن طريق البر والخامسة عن طريق البحر والبر معا ليضع العدو بين فكي كماشة، وقد كللت كلها بالنجاح على حد قوله.[٢٥١]

يقول "وني": "حارب جلالته سكان الرمال الآسيويين وقد حشد جيشا مؤلفا من عشرات الآلاف من الجند من الوجهين القبلي والبحري وقد عينني جلالته قائدا لهذا الجيش وكان يعمل تحت إمرتي". وعلى جدران نفس المقبرة سجل لنا بعضا من السلوك الحضاري للجيش المصري فيقول: "لم يتشاجر أحد منهم مع غيره ولم ينهب أحدهم خبزا من أية مدينة ولم يستول أحد على عنزة واحدة" ويتضمن النص أنشودة النصر التي كانت ترددها الجيوش المصرية وهي عائدة إلى أرض الوطن منتصرة.[٢٥٢] (شكل ٤٧) وتعد هذه الحملة الأولى من نوعها في تاريخ مصر والعالم وتعتبر أول حملة يشارك فيها الجيش والأسطول دونها التاريخ وقد برهن المصريون في هذه الحملة على أنهم بحارة حقيقيون، لا كما يدعون أنهم غير أكفاء "في جوف اليم"، ولقد فطنوا إلى الميزة التي يجنيها الجيش من نقله بواسطة البحر إلى نقطة الهدف التي يريدها.[٢٥٣]

عمل الملك "ببي الأول" على مراقبة بلاد النوبة وقد عثر على اسمه في النوبة السفلى عند صخور "توماس".[254] وقد أرسل الملك "ببي الثاني" قائده "حرخوف" لضرب "ارثت" (النوبة العليا) وقام بجولة في المناطق الغربية خلال ثمانية أشهر وعاد بجزية كبيرة. وقد تبع المصريون سكان النوبة السفلى وشنوا عليهم غارة وتعاملوا معهم بمنتهى القوة، ثم هادنوا زعيمهم بعد ذلك.

بعد ذلك وصلوا إلى النوبة العليا وعادوا عن طريق واوات ومعهم ثلاثمائة حمار محملين بالبخور والأبنوس وجلد الفهود وأنياب الفيلة، وفي أثناء العودة رأت القبائل جنود النوبة السفلى مع المصريين فأعطوهم الجزية من الثيران والماعز ومختلف المنتجات، وهناك لوحة حجرية في أسوان تسجل زيارة الملك ليشهد خضوع ملك "ارثت" و"واوات" في العام الخامس. وتظهر أخبار هذه الحملات أيضا في سيرة ذاتية لحرخوف نقشت على واجهة قبر في منحدرات أسوان.[255]

بعد ذلك قام "حرخوف" بجولة في المناطق الغربية خلال ثمانية أشهر وعاد بجزية كبيرة، وأرسله مرة أخرى في حملة ضد "التمحو"، وقد بدأت هذه الحملة من أسيوط عبر الصحراء في الواحات الغربية.[256]

في عهد الملك "ببي الثاني":

نقوش مقبرة "أنتي":

كان "انتي" حاكم الإقليم ومدير الحصن في عهد الملك ربما "مري ان رع" أو "ببي الثاني" من ملوك الأسرة السادسة. وتقع مقبرته في دشاشة ويظهر من نقوش مقبرته، شكل (١)، تصوير لهجوم مصري على حصن آسيوي يتخذ شكلا بيضاويا وقد صور مصير سكان هذه المدينة في خمسة مستويات ثم صور مسير الجنود والقتال وقيادة الأسرى في أربعة مستويات، في المستوى العلوي لميدان القتال خارج سور المدينة نرى مسير الجنود المصريين نحو السور وخلفهم سقط آسيويان بعد إصابتهما بسهام مصرية ربما من الجندي المصري الذي تظهر ساقه اليسرى فقط في أقصى يسار النقش.

وفي المستوى الثاني يهاجم المصريون أعداءهم في مجموعتين من الجنود المسلحين بالفؤوس وقد سقط الأعداء على الأرض بعد إصابتهم ولكن الأعداء في المستوى الثالث لا يزال بعضهم يقف على قدميه وهم ثلاثة، الأول من اليسار أخذ الجندي المصري بناصيته وهوى على رأسه بالبلطة، والثاني أصيب بثلاثة سهام وهو في طريقه إلى

---

[251] عز الدين حسنين أحمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص١٠٠.

[252] عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص٣٩٥؛
Breasted, op. cit., vol. 1, p. 143, 144, § 313.

[253] عز الدين حسنين أحمد عبد الحليم، المرجع نفسه، ص ١٠٣

[254] رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط٢، ص٢٢٥

[255] Petrie, op. cit., Vol. I, p.99.

[256] Ibid., Vol.I, p.99.

السقوط وسبقه قوسه، والثالث يضع يده اليسرى على كتف أحد الجنود المصريين الذي يهوي بكلتا يديه الممسكة بالمقمعة على رأس هذا الآسيوي الذي لا يزال يحمل سلاحه في وسطه لمقاومة أسلحة أعدائه وهناك اثنان آخران من الآسيويين، الأول تلقى سهما في رأسه وفي طريقه للسقوط والثاني سقط بالفعل بعد أن أصيب بسهم في بطنه.

وفي المستوى السفلي والأخير تظهر مجموعتان من الأسرى، الأمامية من جهة اليسار صور فيها رجل وسيدة وطفل أمسكته بيدها اليسرى وفي يدها اليمنى تمسك بشيء ربما كان طفلا في لفائف على كتفها وخلف المرأة جندي مصري لحيته طويلة وغير مستقيمة ويحمل في يده اليسرى سلاحا وفي يده اليمنى الحبل الذي قيد به الأسرى، أما المجموعة الثانية من الأسرى فهم ثلاثة رجال يقودهم جندي مصري يحمل في يده اليسرى سكينا وفي يده اليمنى يمسك بطفلة صغيرة حملها على كتفه الأيمن. وأمام سور المدينة مباشرة نرى أحد سلالم الحصار التي يستخدمها المصريون في مهاجمة الحصون ويقوم جندي مصري بتأمين السلم وخلف السلم يقوم جنديان مصريان باستخدام قائمتين معدنيتين في مهاجمة سور المدينة لإحداث ثغرة ينفذ منها الجنود إلى داخل المدينة ويراقبهما ضابط يستند على عصاه، وفي داخل المدينة المحصنة وفي المستوى العلوي تقوم امرأة بنزع سهم من صدر أحد المحاربين بينما يقوم الثاني بكسر قوسه أمام زوجته وأولاده.

وفي المستوى الثاني يظهر أمير هذه المدينة على عرشه وأسفل عرشه امرأة وأمامه رجل وامرأة وطفلهما يبلغانه بالهجوم المصري وما يجب عمله من المقاومة أو الاستسلام. وتعتقد Schulz أن الجالس على العرش ربما كان تمثالا لأحد آلهة هذه المدينة، وقد دخل هؤلاء الناس يسألونه الخلاص والمرأة الجالسة على الأرض تقدم له أزهارا. وفي أقصى يسار نفس المستوى تقوم امرأة بمحاولة لنزع سهم من صدر أحد المحاربين، وفي المستوى الثالث تحاول امرأتان العناية بامرأة مصابة على الأرض بينما يلقي أحد المحاربين بقوسه في يأس في وسط ثلاثة نسوة يحاولن أن يجعلنه يواصل المقاومة، وفي المستوى الرابع امرأة تحاول نزع سهم من صدر أحد المحاربين في وجود نساء أخريات، وفي المستوى الخامس يحاول أحد الرجال على الأرض أن يرفع يده اليسرى مستسلما في حضور رجل آخر وسيدة ومحارب يسقط صريعا وهو يحمل في يده اليسرى قوسه.[٢٥٧]

معركة ضد بدو الصحراء الشرقية:

أمر الملك "ببي الثاني"، أحد ضباطه ببناء سفينة كبيرة على ساحل البحر الأحمر للإبحار بها إلى بلاد بونت وقد خصص لهذا الغرض قوة من الجنود والبحارة والعمال لبناء المراكب ولكن بدو الصحراء الشرقية هاجموه وقتلوه هو ومن كان معه من الجنود فأرسل حملة بقيادة "ببي نخت" ليثأر للضابط المقتول ويعود بأجساد الذين قتلوا خاصة جثة الضابط المقتول.[٢٥٨]

وقد حفظ لنا مخطوط "ببي نخت" بأسوان أخبار هذه الحملة التي قام بها ليثأر لقتل "انن نخت"، ويبدأ المخطوط بالمزاعم العادية عن كونه نموذجا للفضيلة والعدالة، ثم يصف "ببي نخت" كيف أوفده الملك لضرب قبيلتي "إرثت" و"واوات" اللتين كانتا تتمردان وقد تم ذلك ولكن في الوقت نفسه كان يوجد مسئول آخر متخصص في الحملات البحرية قد ألمت به مصيبة، فقد أوفد "إنن نخت" الذي كان الرفيق الوحيد وقائد البحارة وقائد القوافل، إلى ساحل البحر الأحمر لبناء سفينة هناك والإبحار إلى "بونت"، وفيما كان منهمكا في بناء السفينة هاجمه سكان الرمال (كما كان المصريون يصفون القبائل البدوية) وقتلوه مع حراسه، لذلك كان من الضروري للمصلحة الأبدية للنبيل القتيل استنقاذ الجسد وتحنيطه وإجراء مراسم الدفن المناسبة". وهكذا أوفد "ببي نخت" لاستنقاذ الجثة وتلقين سكان الرمال درسا قاسيا ولازما لإظهار قوة الفرعون وهيبته، ومن أقواله:

"الآن أوفدني جلالة الملك إلهي إلى بلاد الآسيويين العامو ʿ3mw لكي أحضر له جثة الرفيق الوحيد، قائد البحارة وقائد القوافل، "إنن نخت"(أو عنخت) ʿnḫ -n- ʿ ، الذي كان مشتغلا هناك ببناء سفينة للسفر بها إلى بلاد بونت، وقد

[257] مجدي عبد السلام محمد صالح، المرجع السابق، ص١٣٩، ١٤٠.

[258] عز الدين حسنين أحمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ١٧٢، ١٧٣؛ رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط٢، ص٢٢٩؛
Breasted, op. cit., vol.1, p.163, §360.

داهمه الآسيويون الذين ينتمون إلى أهل البدو فذبحوه وفصيلة الجنود التي كانت معه..... وقد قتلت أشخاصا كثيرين، أنا ورجال الجيش الكثيرون الذين كانوا معي.[٢٥٩]

وقد صور الملك "ببي الثاني" على جدران معبده الجنائزي في سقارة وهو يمسك الأعداء من شعر الرأس ويهوي عليهم بمقمعة قتال وهم يرفعون أيديهم في استسلام. (شكل ٤٨)

الحملة النوبية الأولى لـ "ببي نخت":

يذكر أن الملك "ببي" الثاني أرسل قائده "ببي نخت" لتأديب بلاد "إرثت" وتهدئة الحال هناك.[260] يقول "ببي نخت": أرسلني جلالة الملك لأضرب واوات و"إرثت" وفعلت ما يرضى به مولاي، ذبحت أعدادا كبيرة، منهم أبناء القائد والقواد المتميزين وأحضرت عددا كبيرا منهم للبلاط كأسرى أحياء، كان قلب مولاي فرحا وراضيا لأنني أنجزت ما كلفني به".[261]

الحملة النوبية الثانية لـ "ببي نخت":

أرسل الملك "ببي الثاني" قائده "ببي نخت" إلى بلاد النوبة مرة أخرى لتهدئة الأحوال وعاد ومعه قائد التمرد مقبوضا عليه وأحضر معه أيضا اثنين من القواد وكذلك أبناء الحاكم، وعاد ومعه كثير من الهدايا من الثيران والأبقار ولعل هذه الحملة كانت لتهدئة النفوس ولإزالة آثار الحملة الأولى التي صاحبها العنف في كثير من مراحلها.[262]

حملة "حرخوف" إلى "يام":

جاءت أخبار هذه الحملة في نص رسالة أمر الملك "ببي الثاني" بإرسالها إلى قائد جيشه "حرخوف"، وهي كالتالي: "الختم الملكي، السنة الثانية، الشهر الثالث من الموسم الأول، اليوم الخامس عشر، مرسوم ملكي إلى الرفيق الوحيد والكاهن الشعائري وقائد القافلة "حرخوف"، لقد أحطت علما بمسألة رسالتكم التي بعثت بها إلى الملك، ووصلت إلى القصر حتى يتسنى له أن يعرف أنك عدت بالسلامة من "يام" مع الجيش القوي الذي كان معك. لقد قلت في رسالتك هذه أنك أحضرت معك جميع الهدايا العظيمة والجميلة التي أعطتها "حتحور" سيدة "آمون" إلى "كا" التابع لملك مصر العليا والسفلى، "نفر كا رع"، "ببي الثاني" الذي سيعيش إلى أبد الآبدين. وقلت في رسالتك أنك أحضرت معك قزما راقصا للإله من بلاد الأشباح مثل القزم الذي أحضره "بوردد" كاتب خزانة الإله في عهد "إيسيسي".

لقد قلت لصاحب الجلالة مليكي: "لم يسبق لأحد زار "يام" أن جلب منها مثلما جلبت من خيراتها، وكل سنة تفعل ما يريده ربك وتشكره، إنك تقضي الليل والنهار في فعل كل ما يحبه ربك وتطيع كل ما يأمرك به. إن صاحب الجلالة سينعم عليك بالتكريم حتى يكون وساما وزينة لابن ابنك إلى الأبد، وحتى يقول جميع الناس، حينما يسمعون أن جلالة مليكي صنع لك هذا: "هل هناك شيء مثل هذا الذي صنع للرفيق الوحيد، حرخوف، حينما جاء من "يام" بسبب اليقظة التي أبداها وأن يفعل ما يريده ويمتدحه ويأمر به ربه؟ "..... "تقدم شمالا إلى البلاط فورا. إنك ستجلب معك القزم الذي أحضرته حيا يرزق، رافلا بالنعيم والصحة، من بلاد الأشباح، من أجل رقصات الإله لإشاعة السرور والحبور في قلب ملك مصر العليا والسفلى، "نفر كا رع" والذي سيعيش إلى الأبد".

[259] جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٤، ص٢٣٢- ٢٣٤؛ عز الدين حسنين أحمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص ١٧٢، ١٧٣؛ رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط٢، ص٢٢٩؛
Breasted, op.cit., vol.1, p.163, §360.

[260] رمضان السيد، المرجع السابق ، ج١، ط٢، ص٢٢٩.

[261] Breasted, ***ARE***, Vol. 1, p. 163, § 358.
Breasted, op. cit., vol. 1, p. 163, § 359.

[262] مهران، المرجع السابق، ج٢، ط٤، ص٢٤٨ ؛

"وحينما يذهب معك إلى السفينة عين أناسا ممتازين لكي يكونوا بالقرب منه على جانبي السفينة، واحذر لئلا يسقط في الماء، وحينما ينام في الليل عين أناسا ممتازين ينامون بجانبه في الخيمة وفتش عليه عشرات المرات في الليل. إن مليكي صاحب الجلالة شديد الرغبة في رؤية هذا القزم، ومشاهدة الهدايا القيمة الواردة من سيناء وبونت. وإذا وصلت إلى البلاط أحضر معك هذا القزم حيا يرزق، رافلا بالنعيم والصحة. وإن مليكي صاحب الجلالة سيفعل من أجلك أكثر مما فعل من أجل "بوردد" في زمن "إيسيسي" وفقا لرغبة قلب مليكي في رؤية هذا القزم. لقد صدرت الأوامر إلى رئيس المدن الجديدة والرفيق والمعبود الأعلى لكي يأمر بأن تؤخذ الأقوات منه في كل مدينة فيها مخازن، ومن كل معبد بدون أي تضييق منه".[٢٦٣]

مرحلة الانهيار:

الأسرات السابعة والثامنة:

كان عصر الأسرتين السابعة والثامنة عصر انهيار وقد أصاب تاريخ هذه الفترة الخلط والتشويش لذا يصعب على الباحث أن يجد مصادر لمعارك قد تكون حدثت في هذه الفترة.

[263] جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٤، ص٢٢٩- ٢٣١.

عصر الانتقال الأول

الأسرتان التاسعة والعاشرة:

في عهد الملك "نفر- كا رع":

تذكر وثائق هذه الفترة بعض ما دار من صراع بين الحكام الموالين لإهناسيا وحكام طيبة فهناك شخص يدعى "عنخ تيفي"، كان حاكما للأقاليم الجنوبية الثلاثة: "إلفنتين"، "إدفو"، "أرمنت"، في عهد الملك "نفر- كا رع" ثاني ملوك الأسرة التاسعة، كان هذا الشخص يفتخر بقوة نفوذه وبشجاعة جنوده، مما يجعل الباحث يتصور أنه دخل في صراع مع إقليم "طيبة" في ذلك الوقت.

في عهد الملك "واج- كا رع":

حكم بعد الملك "نفر- كا رع" ملك يدعى "واج- كا رع" (إختوي الرابع)، بعد أن عمل هذا الملك على تطهير الدلتا من المتسللين الذين عاثوا فيها فسادا، وبعد أن تحقق له ما أراد ركز جهوده على بيت طيبة وأنصارهم فدارت بينهما حرب في منطقة "ثني" (بالقرب من أبيدوس) تحقق النصر فيها للإهناسيين، ولكن الطيبيين عادوا فاسترجعوا ما فق دوه وتقدموا شمالا حيث تمكنوا من ضم أجزاء عديدة لحدود إقليمهم.

وتصور نصائح "أختوي الرابع" لابنه "مري كا رع"، والتي وصلت إلينا مكتوبة على ورقة بردي مؤرخة بعصر الأسرة الثامنة عشرة، مشاهد من هذا الصراع حيث تصف لنا حالة الذعر التي كانت تعم البلاد، يقول له: "إن القدماء قد تنبأوا بأن جيلا سيظلم جيلا آخر وأن مصر ستحارب حتى في الجبانة وتهدم القبور، لقد فعلت ذلك وأصابني ما يصيب من يعصي أمر الإله".[٢٦٤]

في عهد هذا الملك "واج كا رع" بدأت أخطار الجماعات الآسيوية الذين كانوا يقومون بالاعتداء على قوافل المسافرين فبدأ بالقيام بالحملات العسكرية في منطقة الدلتا وامتد نشاطه العسكري إلى منطقة البحيرات المرة حيث نصح ابنه بتحصينها لمواجهة هجمات قطاع الطرق من البدو.[٢٦٥]

في عهد الملك "مرى- كا رع":

استمر النزاع القائم بين الفريقين (ملوك "طيبة"، وملوك "إهناسيا") في عهد الملك "مري- كا رع"، وكان قد تولى حكم "طيبة" في هذه الفترة حاكم قوي هو " نب- حتب رع" الذي نجح في الحد من سلطان حكام أسيوط بالاستيلاء على كثير من المناطق التابعة لهم.[266]

في عهد نفس الملك "مري- كا رع" عاش الأمير "خيتي الثاني" الذي بنى معبدا وأعد لنفسه قبرا، وقد قام بمصاحبة الملك في حملة لتأديب الجنوبيين، بعد هذه الحملة جاء أهل العاصمة "هيراكونبوليس" ليقابلوا الملك في احتفال، وفي هذه الفترة كان أهل طيبة مستقلين تقريبا، وقد جرت بينهم وبين الأسرتين التاسعة والعاشرة حرب مستمرة.[267]

[264] عبد الحليم نور الدين، الثورة في مصر القديمة، الموسم الثقافي الأثري الثالث بمكتبة الإسكندرية، ص١٢. –
http://www.nureldin.com/

[265] عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص١٣.

[266] عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص ٩٨، ٩٩.

[267] Petrie, op. cit., Vol.I, p.116.

وقد حفظت لنا مقبرة "خيتي" بأسيوط مناظر لجنود مدججين بالسلاح وهم يحملون الدروع والحراب الثقيلة، وقد سميت مقبرة الجنود (شكل ٤٩). لقد أعد "خيتي" جيشا وأسطولا نهريا كبيرا وصاحب مليكه في حملة انتهت بإعادة النظام وكما يقول: "لقد ارتجفت الأرض وحل بمصر الوسطى الخوف وأصبح كل الناس في جزع والقرى في رعب وغدت البلاد كتلة من النار".[٢٦٨]

في عهد الملك"إختوى الخامس":

جاء من بعد "مري- كا رع" الملك "إختوي الخامس" الذي لم يكن ملكا قويا مما فتح الباب أمام حكام طيبة للقضاء على عائلة إهناسيا، فكان لهم ما أرادوا وبهذا عادت للبلاد وحدتها لتبدأ مصر مرحلة تاريخية جديدة هي الدولة الوسطى.[269] وقد تحدثت عن أحداث هذه الفترة إحدى المقابر بأسيوط وهي مقبرة "تف إيب"، تحدثت المقبرة عن انتصارين ضد ثوار المقاطعات الجنوبية وهم أمراء طيبة المعروفين باسم "آنتف"، ولكن لم يذكر شيء عن انتصار ثوار هذه المقاطعات في النهاية. ومن الواضح أن الصراع كان هدفه الاستيلاء على "طيبة" و"أبيدوس" اللتان يسميهما "تف ايب"، "مرفأ الجنوب". ويقول أمير أسيوط إنه استولى على كل مقاطعة "طينة" وجعلها "باب الشمال". وبهذا تكون لدينا الخطوط الرئيسة لصراع طويل بين أسيوط وطيبة انتهى بفوز طيبة.[٢٧٠]

الحرب بين الملكين "واح عنخ- انتف" و"واح كا رع- خيتي":

حكم الملك "واح عنخ- انتف" في طيبة حوالي خمسين عاما وفي أثناء حكم ثالث أو رابع ملوك "إهناسيا" "واح كا رع- خيتي" ثار ملك الجنوب وأعلن الحرب على "إهناسيا" واستمرت بضع سنين وكان سببها بعض الاعتداءات التي قام بها الملك الإهناسي وانتهت باتفاق بين الجانبين يشير إلى أن كلا الملكين سئم الحرب. وقد وردت بعض الإشارات إلى هذه الحرب في مقبرة "عنخ- تيفي" بالمعلا بين الأقصر وإسنا، وقد كان "عنخ- تيفي" حاكما للأقاليم الجنوبية الثلاث: "إلفنتين"، "إدفو"، و"أرمنت"، وكان مواليا لحكام الأسرة العاشرة في إهناسيا. يحكي "تف- ايب" خليفة "عنخ- تيفي" في نقوش مقبرته عن حروبه ضد الطيبيين إذ يذكر أنه في معركة مع زعيمهم أن الأخير وقع في الماء وتفرقت مراكبه واستطاع "تف- إيب" أن يملي عليه ما يريد.[271]

---

[268] جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٢، ص٢٠٤.
[269] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ٩٨، ٩٩.
[270] جيمس بيكي، المرجع نفسه ، ج٢، ص٢٠٣.
[271] رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط٢، ص٢٤١- ٢٤٣.

الفصل الخامس

المعارك في الدولة الوسطى

وعصر الانتقال الثاني

الأسرة الحادية عشرة:

الجزء المبكر من الأسرة الحادية عشرة يحتمل أنه كان معاصرا للأسرة العاشرة التي يبدو أن الملك "مري- كا رع" ينتمي إليها وهذا يتفق مع رأي "مانيتون" ويفيد أن ثلاثة وأربعين سنة للأسرة الحادية عشرة خارجة عن المائة وستين سنة ويوجد مائة وعشرون سنة متداخلة مع الأسرة العاشرة.[272]

الصراع بين طيبة وإهناسيا:

بعد سقوط الأسرة العاشرة في الشمال أصبح ملوك الأسرة الحادية عشرة يحكمون في الجنوب كملوك لمصر كلها وأسسوا فيما بعد الدولة الوسطى وقد حاول البيت الإهناسي التدخل في شئون "طيبة" وكان كل واحد منهم يحاول أن يثبت أقدامه في ممتلكات الآخر وأدى ذلك إلى صراع طويل من الانتصارات والهزائم.

في عهد الملك "منتوحتب الأول":

في عهد الأسرة الحادية عشرة بدأ "منتوحتب الأول" (نب حبت رع) بعد أن حقق وحدة البلاد في استعادة نشاط مصر في الصحراء الشرقية فأرسل حملة إلى وادي حمامات، وقد سجل أحد جنوده وهو "توحمانو" في نقش على صخور "أبيسكو" قرب الشلال الأول أن سيده الفرعون قد استولى على الأرض كلها وأقدم على ذبح آسيوي "جاتي"، أي من أهل جنوب الشام. وقد قام حامل الختم الإلهي الذي يدعى "أختوي" برحلة إلى الخارج وعاد بكثير من المعادن والأشجار الثمينة مما يشير إلى أن القوات المصرية قد دخلت آسيا.[273]

أرسل "منتوحتب" الأول قوات إلى ليبيا كان هدفها إظهار القوة وقد تمكنت من قتل قائد الليبيين في إحدى غاراتها، وقد وصلت قوات "منتوحتب" إلى واحات الصحراء الغربية، كما اتخذ كثيرا من الخطوات للسيطرة على الصحراء الجنوبية الغربية.[274] واستأنف منتوحتب الثاني نفس السياسة وقاد حملة ضد الليبيين (التمحو)[275]

في عهد الملك "منتوحتب الثاني":

خلف "منتوحتب الثاني" أباه على العرش وكان حديث السن ولذا فقد ظل في الحكم واحدا وخمسين عاما، ويظهر أن أملاكه لم تكن واسعة في مستهل حكمه لأن والده كان قد فقد "طينه" و"العرابة" وقد كانتا من أملاك أمراء "طيبة" منذ أيام جده الأكبر "واح عنخ". ولم يهنأ هذا الأمير الفتى بهدوء البال طويلا فإن كثيرا من المناوشات بدأت على إثر تسلمه زمام الملك، ولم تعمر الحرب التي اندلع لهيبها بعد أمد طويل لأن "تف إيب" أمير أسيوط الذي كان أكبر عضد للفرعون في "إهناسيا" المدينة غاله الموت وتولى ابنه "خيتي" مكانه. وكل ما نعلمه بعد ذلك أنه لم يمض زمن يسير حتى رأينا حدود مملكة طيبة قد انتقلت إلى "شاس حتب"[276] š3-ḥtp, š3s ḥtp[277] وتقع الآن مكان "شطب" الحالية القريبة من "دير ريفة" على نفس حدود أسيوط.

ويظهر أن "خيتي" أخذ يتسلى ويغطي موقفه بالكلمات الحماسية والجمل الطنانة يرددها عسى أن تخفي الحقيقة المرة التي كانت تواجهه وتنذره بأن حربا شعواء على الأبواب تندلع في عهد مليكه "مري كا رع" فتراه يقول مفاخرا: "إنك قد نشرت الرعب في البلاد، وإنك بمفردك أخضعت مصر العليا للملك وجعلته يذهب نحو الجنوب في حين أنك جعلت السماء خالية من السحاب". وكانت الأرض كلها مع الملك، أمراء الوجه القبلي وأشراف "هيراكليوبوليس". على أنه لم يحدث قط أن كانت أول سفينة من الأسطول تصل إلى "شاسحتب" في حين أن آخر

---

272 Petrie, op. cit., Vol.I, p.116.

273 محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص٣٨١.

274 J. Vercoutter, The Near East, The Early Civilizations, London, 1967, p. 350.

275 جريمال، المرجع السابق، ص٢٠٢

276 سليم حسن، مصر القديمة، ج٣، ص٣٣، ٣٤.

277 عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ط١، ص٢٣٧.

سفينة منه كانت (في قرية ما على مسافة عدة أميال في أسفل النهر). أما الجيش فقد عاد بالنهر ورسا عند "هيراكليوبوليس" وفرحت المدينة بسيدها وابن سيدها وكذلك النساء والرجال والشيوخ والأطفال. وقد وصل ابن السيد المدينة ودخل بلاط والده وعاد ثانية من كانوا قد هجروا وطنهم.[٢٧٨]

نهاية الصراع بين "هيراكليوبوليس" و"طيبة":

تدل قرائن الأحوال على أن ختام الحروب بين طيبة وهيراكليوبوليس كانت السنة التاسعة من حكم "نب حبت رع" أي سنة ٢٠٦١ ق.م وكانت قد حلت. وقد دامت هذه الحرب مدة طويلة بين جنود من طراز أولئك الذين نشاهد تماثيلهم النادرة في مقبرة "مسحيتي" في فرق كل واحدة منها أربعون. وكان معظم الجنود في ذلك الوقت يحملون قوسا بسيطا طويلا. أما القوس المركب فقد جلبه الهكسوس معهم، ومع هذا القوس كان الجندي يسلح بقبضة من السهام لأن الكنانة كانت غير عادية بشكل مدهش. وكان بعض الجنود يتسلح لحماية نفسه بدروع ضخمة من جلد الثور وينتخب الجلد ذا شعر كثيف بقدر ما تجود به الطبيعة.

وقد عثر على جثث نحو ستين جنديا ممن حاربوا مع جيش "هيراكليوبوليس" في مقبرة من أوائل المقابر التي تشرف على مقبرة "نب حبت رع" نفسه وتدل أجسامهم على أنهم قتلوا عندما كانوا يهاجمون حصنا وبعضهم قتل في ساحة الوغى فعلا. أما بعضهم الآخر فقد جرحه المدافعون فوق الأسوار. ولما هرب المهاجمون نزل رجال الحامية من معقلهم وجمعوا من تبقى من المهاجمين على قيد الحياة؛ وضربوهم بالعصي حتى قضوا نحبهم، والظاهر أنهم بقوا في ساحة القتال مدة طويلة قبل أن يدفنوا بدليل أن أجسامهم قد نهشتها طيور السماء، ولكن لم يمض وقت طويل حتى كان النصر حليف "نب حبت رع" فجمع موتاه وحملهم إلى قبر على مقربة من المدفن الذي كان يجهزه لنفسه وهناك واراهم التراب إلى أن كشف عن جثثهم معول الحفار الحديث.

وليس لدينا معلومات صريحة مباشرة عن سير القتال منذ أن استطاع أمراء طيبة ضم مقاطعة "طينة" إلى ملكهم ولذلك لا نعلم شيئا على وجه التحقيق قبل الهجوم العام الذي قام به "منتوحتب الثاني" وهو الهجوم الذي أدى إلى توحيد البلاد كلها وجعلها تحت سلطانه، اللهم إلا حادثا واحدا وهو الثورة التي قام بها أهل طيبة في السنة الرابعة عشرة من حكم "منتوحتب الأول". ولكن من جهة أخرى لدينا شواهد غير مباشرة تشير إلى الحالة التعسة التي سادت البلاد خلال تلك الفترة مما يؤكد لنا ما جاء في الوثائق التاريخية النادرة الخاصة بهذا العهد، ومن بين هذه أسعفنا الحظ ببعض مصادر أثرية لم تفهم قيمتها الحقيقية من حيث إنها تلقي ضوء على حالة البلاد الجنوبية (الصعيد) في هذه الآونة من الناحية الحربية.

وهذه المصادر تنحصر في بعض لوحات كانت تهدى للجنود بعد وفاتهم فتنصب على قبورهم لتكون تذكارا لما قاموا به في سبيل الدفاع عن مملكتهم الجنوبية وهو ذلك الدفاع الذي أدى إلى تغلب أمراء طيبة على ملوك "هيراكليوبوليس" واعتلائهم عرش البلاد كلها. وهذه اللوحات قد وجدت مبعثرة في المتاحف الأوروبية وقد جمعها الأستاذ "فانديبه" وأظهر ما لها من قيمة تاريخية حربية هامة في هذه الفترة من تاريخ البلاد الغامض.

وعدد هذه اللوحات اثنتا عشرة لوحة يرجع تاريخ معظمها إلى ما قبل حكم الفرعون "منتوحتب الثاني" ولابد من أن كثير منها يرجع إلى عهد "آنتف واح عنخ" ومعظم هذه اللوحات مصدرها مدينة "نقادة" أو مدينة "الجبلين" وهما مدينتان تقعان في شمالي وجنوبي طيبة على التوالي وهي عاصمة مملكة الجنوب التي كان يحارب في صفوف جيشها هؤلاء الجنود، على أن ذلك لا يحتم أن الملوك الأوائل للأسرة الحادية عشرة قد حصروا انتخاب أحسن جنودهم في هاتين البلدتين بل قد يعزى ذلك لمجرد الصدفة.[٢٧٩]

---

[278] سليم حسن، المرجع السابق، ج٣، ص٣٣، ٣٤.

[279] سليم حسن، المرجع نفسه، ج٣، ص٤٨- ٥٠.

سقوط إهناسيا: ḥwt-nn-nsw , ḥnn-nsw [٢٨٠]

في عهد "منتوحتب" الثاني أراد ملوك "إهناسيا"* أن يستعيدوا ما فقدوه فحدثت بينه وبين ملوك إهناسيا حرب حاولوا فيها استرداد "ثيني" وكان ذلك في عهد "خيتي" الثالث أو الرابع، ونتيجة هذه الحرب غير معروفة، هل نجحوا في استردادها أم لا، وقد قام الملك "منتوحتب" الثاني بهجوم نحو الشمال وسقطت إهناسيا نفسها في العام التاسع من حكمه وأعلن نفسه ملكا على مصر كلها وأصبحت طيبة عاصمة البلاد لأول مرة.[281]

حروب النوبة:

أسباب هذه الحروب:

بعد موت "ببي الثاني" لم تستمر سيادة مصر على النوبة السفلى وضاعت ممتلكاتها في الجنوب في الفترة ما بين نهاية الأسرة السادسة وبداية الأسرة الحادية عشرة. وما أن بدأت مصر تقضي على فوضى عصر الانتقال الأول وتعيد وحدة القطرين حتى وجهت اهتمامها صوب النوبة وهناك ما يشير إلى نشاط عسكري مصري في النوبة إبان الجزء الثاني من عصر الأسرة الحادية عشرة وفي ذلك عدة نقوش صخرية في "بوهن"، ولكنها كانت حملات تأديبية للرد على اعتداءات النوبيين على القوافل التجارية المصرية. أما في النوبة العليا فقد كانت الأمور مختلفة، فيبدو أنه أثناء الفوضى التي سادت مصر قد تكونت قوة عسكرية في الجنوب أطلق عليها المصريون اسم "كوش" أصبحت فيما بعد قوة عسكرية تهدد مصر حتى أن ملوك الأسرة الثانية عشرة اضطروا إلى بناء مواقع حماية كبيرة هناك.[٢٨٢]

حملتان لاستعادة لنفوذ المصري في النوبة:

حاول الملك "منتوحتب الثاني" استعادة ما كان لمصر من نفوذ في النوبة عند نهاية الأسرة السادسة ولو في حدود استغلال المناجم وصيانة الدروب وظلت النوبة مستقلة رغم إقدام مصر على إعادة فتح بعض المناطق مثل "أبو بلاص"، هذا إلى جانب الحملات التي قادها حامل الأختام "خيتي" الذي عهد إليه منتوحتب بمهمة الإشراف على سائر البلدان الجنوبية وقد وصلتنا أخبار حملتين من هذه الحملات، فنظمت الأولى في العام التاسع والعشرين من حكم "منتوحتب الثاني"، في حين نظمت الأخرى في العام الحادي والثلاثين فمكنتا المصريين من الوصول إلى بلاد "واوات" وكانت المحصلة النهائية لهاتين الحملتين الإشراف على جانب من النوبة حتى مشارف الشلال الثاني أكثر من كونها احتلالا حقيقيا.

يبدو أنه كانت هناك بعض القلاقل في اتمام الوحدة بين الشمال والجنوب اضطرت الملك "منتوحتب الثاني" إلى خوض معارك مع أهل الشمال، يتضح ذلك من نقش جداري من الحجر الجيري عثر عليه في "دندرة"، يصور هذا النقش الملك وهو يقمع عدوا لا نراه ولكن نرى رمز الشمال وهو نبات البردي، ويرتدي الملك التاج المزدوج واللحية التقليدية وعقدا في رقبته يتكون من سبع طبقات وأسورة في رسغه الأيسر وفي المستوى السفلي من النقش يظهر أحد الآلهة برأس صقر ومعبودة أخرى وبينهما العلامة الدالة على الوحدة بين الشمال والجنوب ويتدلى منها حبل يشده كل إله إلى جانبه في تعبير عن الوحدة مجددا بين الشمال والجنوب. (شكل ٥٠)[٢٨٣]

تضمنت أيضا مقصورة دندرة الموجودة حاليا بالمتحف المصري رقم ٤٦٠٦٨ نصا ورد به إشارة إليه باعتباره "ضارب (قامع) الأراضي الشرقية (الآسيوية)، وصارع الأقاليم، وواطئ الصحراء، ومستعبد النوبيين، و"المجاي" و"الواوات" و"التمحو" (الليبيين) و(الآسيويين). كما يوضح نقش "البلاص" وهي قرية بمركز قنا (pr soth

---

[280] - عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ط١، ص٢٣٢.

* تقع بمحافظة بني سويف مركز "بني سويف".

[281] رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط١، ص٢٥٢.

[282] محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ج٢، ص٣٨٤، ٣٨٥.

[283] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص ١٤١؛ Hall, E.S., *MÄS*, 44, 1986, p. 14, fig. 25

nbty [284] لنفس الملك قيامه بضم (sḏmi) أرض الواحات والواحات إلى صعيد مصر لأول مرة ربما لفرض السيطرة المصرية على صحرائها الغربية.

ويظهر أحد مناظر الملك من الجبلين في نقش جداري من الحجر الجيري شكلا له مرتديا التاج الأبيض وقامعا ليبيا من التحنو جاثيا على ركبتيه وهو ممسك بريشته (حاليا بالمتحف المصري) وتتدلى إلى جانب نقبة الليبي سمكة، ويتضمن النص المصاحب للمنظر اللقب الإداري لهذا الليبي باعتباره ḫ3ty- ʿ tḥnw "حاكم أو شيخ التحنو" والاسم العلم له ḥḏ- wʒš . (شكل ٥١) ويتضمن شكل آخر من مقصورة الجبلين تصويرا للملك ضمن منظر السيطرة الرمزية على الأقواس التسعة (حاليا بالمتحف المصري) مرتديا التاج الأبيض وهو يقتل عدوه بمقمعة في يده اليسرى ويقبض على ناصية أسير من شعر رأسه بيده اليمنى، وتبدو بقايا ريشة على شعر رأسه. ويرتدي عقدا في رقبته كما يرتدي نقبة صغيرة مزخرفة بخطوط رأسية ويظهر ثلاثة أسرى ينتظرون دورهم في القمع أحدهم آسيوي. (شكل ٥١، ٥٢)

ويبدو أن نشاطات "نب حبت رع" وما ارتبط بعصره من محاولات السيطرة على الواحات وتأمينها لم يكن أكثر من حملة تأديبية أو تجريدة عسكرية لتأمين حدود مصر. [285]

الهجوم على أحد الحصون:

عثر على قطعتين من الحجارة في معبد الملك "منتوحتب الثاني" بالدير البحري وهما الآن من مقتنيات المتحف البريطاني. يصور النقش الموجود على قطعتي الحجر بقية من منظر لهجوم القوات المصرية على أحد الحصون ونرى السلم المستخدم في الاقتحام ويظهر الرأس والكتف الأيمن لجندي مصري يصعد السلم وهو مسلح بالبلطة التي استخدمت من قبل في دشاشة ومقبرة "كا ام حست" (شكل ٢٠) في تكسير السور ويبدو أن زميلا له قد سبقه ولا يرى منه سوى جزء من ردائه القصير وقدمه اليسرى بينما نرى بين السلم وحائط الحصن ثلاثة آسيويين أصيبوا بسهام مصرية وهم في طريقهم إلى الأرض اثنان منهم تسبقهم رؤوسهم وهما مفقودتان والثالث يسقط بقدمه ونرى أسهما في صدره، ولحيته قصيرة.

كما عثر على منظر للقتال ومسير الجنود وهروب للأسرى من مقبرة "انتف" في جبانة العساسيف (TT386) (شكل ٢١) ترجع إلى عصر الملك "منتوحتب الثاني" وقد بنيت إلى الغرب من معبد الملك بالدير البحري وصور منظر على وجه أحد الأعمدة التي تزين الصالة التي تلي المدخل وهو العمود الثاني من جهة الشمال ويقع المنظر في خمسة مستويات ويحتل الحصن الجزء الأيمن من المستويين الأول والثاني بينما يقع القتال بالأيدي والسهام في المستوى الثالث؛ وأخيرا اقتياد الأسرى من الرجال والنساء والأطفال في المستويين الرابع والخامس اللذين يحتل الجزء الأيسر منهما "انتف" نفسه.

المستويان الأول والثاني يصوران حصار القوات المصرية للمدينة ويشترك مع الجنود المصريين فرق من رماة السهام النوبيين ويلاحظ وجود رامي سهام نوبي يضع على رأسه ريشة وهو الثاني في ترتيب الوقوف من الجنود في المستوى الثاني وهو من هيئته يبدو صغير السن وهو ومعه أربعة رماة آخرين يسددون السهام نحو أربعة من الآسيويين فوق أبراج السور وقد أصابتهم السهام المصرية بينما الجنود الآخرون مسلحون بالدروع والبلط والرماح.

وفي المستوى الثالث نرى قتالا مباشرا بين جنود مشاة مصريين وأعدائهم الآسيويين ويقسم إلى قسمين حيث يظهر على يمين المنظر جندي مصري يأخذ بناصية أحد الآسيويين ويهوي بالبلطة فوق رأسه وجندي آخر يمسك عدوا من رباط رأسه ولا يرى سلاحه الذي في يده اليمنى وهناك أربعة من الأعداء التفت ثلاث منهم نحو اليمين هاربين بدروعهم ورماحهم ويحاول الرابع حمل طفل أصابته السهام المصرية في الظهر والساق.

وفي منتصف المستوى يظهر أحد رماة السهام من النوبيين برباط الرأس والريش وهو يقوم بتأمين ما يحدث في يسار المستوى وهو الجزء الثاني من موضوع نقوش هذا المستوى حيث اثنين من الأعداء على الأرض وقد تناثرت

---

[284] Gauthier, op. cit., Vol.II, p.125

[285] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق ص ١٤١؛ علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص٩؛
Hall, E.S., ***MÄS***, 44, 1986, p. 14, fig. 24

رماحهم ودروعهم وقد سقط أحدهم على الأرض ممددا بينما جلس الآخر منتصبا وهو يتلقى الضربة الأخيرة من الجندي المصري الذي يقف على رأسه وفي أقصى يسار المنظر أنهى أحد الجنود المصريين عملياته القتالية وهو من حملة الفؤوس ويقود ثلاثة من الأسرى الذين قيدت أيديهم خلف ظهورهم.

في المستويين الرابع والخامس تم تصوير هروب بعض الآسيويين يطاردهم جنود مصريون وقد أوقع المصريون بعض الأسرى منهم ويحتل "انتف" الجزء الأيسر من المستويين الرابع والخامس؛ في المستوى الرابع العلوي يقدم أحد الجنود إلى "آنتف" طفلا والجندي الثاني يجرجر امرأة من شعرها ومعها طفلها وفي أقصى يمين المنظر وفي الاتجاه المعاكس يحاول الآسيويون الهروب وبعضهم يحمل رجلا طاعنا في السن لم تسعفه قدماه أن يجري فحملوه في سلة بينما دعت الضرورة إلى حمل الأطفال الصغار وفي أقصى يمين المستوى الرابع حمل رجل أربعة أطفال على كتفيه.

وفي المستوى الخامس يقدم اثنان من الرماة إلى "آنتف" اثنين من الأسرى مكبلين في حبل واحد ومن خلفهما امرأتان وطفلان ويقبض الرامي الأمامي على ناصية الأسير الأول بينما يقبض الرامي الثاني على الحبل المقيد به الأسيرين ويراقب جندي ثالث مجموعة النساء والأطفال من الخلف ويضع يده على المرأة التي أمامه وهي ترفع يدها اليمنى نحو رأسها في تعبير عن تعاستها لوقوعها في الأسر.

وفي الاتجاه المعاكس يطارد اثنان من الجنود المصريين ثلاثة من الآسيويين الفارين ويحاولون القبض عليهم ويقبض الجندي الذي في المؤخرة على ذراع أحدهما ويهدده بسلاح رفعه في يده اليمنى بينما الجندي الذي في المقدمة قد طرح آسيويا على الأرض وشرع في ضربه بالفأس الذي يرفعه بيده اليمنى وفي أقصى يمين المستوى آخر الفارين ينظر إلى الوراء ويرفع يده اليمنى وبالرغم من أنه لا يزال يحمل سلاحه في يده اليسرى ولكنه يبدو أنه يرفع يده اليمنى مستسلما. [286]

في عهد الملك "منتوحتب الثالث":

استطاع الملك "منتوحتب الثالث" أن يستعيد السيطرة على النوبة السفلى فجهز في العام الرابع من حكمه حملة تتكون من ثلاثة آلاف رجل وضعوا تحت قيادة ضابط يسمى "حننو" وقد كان هذا الضابط يفتخر بجنوده الذين يصرف لكل واحد منهم عشرين رغيفا وقدرتين من الماء كمنونة يومية. [287]

خرجت هذه الحملة من "كوبتوس" التابعة لمركز قنا gbtiw [288] متجهة إلى وادي "جاسوس" وأثناء سيرها قامت بحفر اثني عشر بئرا لتأمين إمدادات المياه اللازمة للحملات التي كان من المزمع تسييرها في المستقبل إلى البحر الأحمر انطلاقا من وادي النيل، وأبحرت الحملة إلى "بونت" وعادت محملة بالخيرات. [289] وتوجد في "كونوسو" لوحة تذكر أن الملك غزا ما يزيد على ثلاث عشرة قبيلة. [290]

الأسرة الثانية عشرة:

شدد حكام الأسرة الثانية عشرة الأقوياء إحكام قبضتهم على الولايات الجنوبية وقد وصف الملك "أمنمحات الأول" زحفا في توجيهاته لابنه بقوله: "لقد قمت بترويض الأسود، واصطياد التماسيح، وهزمت قبيلة الواوات وغزوت قبيلة الماجوي".

---

[286] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص ١٤٢، ١٤٣.

[287] Petrie, op. cit., Vol.I, p.131.

[288] - عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ط١، ص٢٤٠

[289] جريمال، المرجع السابق، ص٢٠٢، ٢٠٣؛ رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط١، ص٢٥٥.

[290] Petrie, Ibid, Vol.I, p.131.

ومع أنه كان يبدو أن هناك حركة تقهقر أثناء حكم الملك "سنوسرت الثاني" الذي ترك لنا سجلا عن عملية تفقد القلاع الحدودية قام بها أحد المسئولين في عهده، إلا أن التوازن ما لبث أن أعيد إلى ما كان عليه في عهد "سنوسرت الثالث".[٢٩١]

في عهد الملك "أمنمحات الأول":

حملات نحو الجنوب:

جهز "أمنمحات الأول" حملة إلى "إلفنتين" بعد وقت قصير من اعتلائه العرش وكانت الحملة بقيادة "خنوم حوتب" الأول حاكم إقليم "الوعل" وهو الإقليم السادس عشر من أقاليم مصر العليا ويقع بمحافظة المنيا M3-ḥd[٢٩٢]

وقد أوردت قائمة سنوسرت اسما غامضا للمقاطعة الذي أبحر صوب الجنوب على رأس أسطول مكون من عشرين سفينة، وربما واصل التقدم نحو النوبة السفلى حيث تجمع أنصار "سجر سني".[293]

قام الملك "أمنمحات الأول" برحلة على سفينة المحارب القديم "أحمس الكابي" واتجه نحو الجنوب، إلى "كوش" ليمد حدود مصر ويضرب النوبي وسط جيشه، وبعد أن مزق قوات الأعداء قام بجولة في البلاد المعادية لمعرفة أحوالها وأخذ الغنائم من البشر والماشية وتقدمت الحملة حتى البنر الأعلى، وهو مكان ماني في الصحراء، وبعد ذلك أعاد "أحمس" مليكه إلى مصر في يومين وكانت الرحلة سريعة حتى أنه لم يكافأ بالنوط المعتاد وإنما رقي إلى رتبة محارب الحاكم.[294]

وقد أعاد الملك "أمنمحات الأول" العمل بنظام التجنيد العسكري. وولى ابنه "سنوسرت" الإشراف على الجيش في العام العشرين من حكمه وفي العام الثالث والعشرين خرجت حملة وصلت إلى "جرف حسين" وإلى محاجر الديوريت القديمة الواقعة عند "توشكى".

في العام التاسع والثلاثين من حكم الملك "أمنمحات الأول" قامت حملة ثانية سمحت للمصريين بالتغلغل إلى أعماق النوبة فوصلت إلى "كورسكو" بل وتجاوزتها ودمرت "واوات"، وتم تشييد حصن الحدود عند سمنة الواقعة عند الشلال الثاني. وسجل انتصاراته على صخرة في "كورسكو". وكانت هذه الحملة بقيادة ابنه "سنوسرت الأول".[٢٩٥] وقد جاء في مخطوطه في "كورسكو": "السنة التاسعة والثلاثين، ملك مصر العليا والسفلى، "سحتب إيب رع"، الحي إلى الأبد. لقد جئنا للإطاحة بقبيلة الواوات".[٢٩٦]

الجبهة الشرقية:

بدأ "امنمحات الأول" مؤسس الأسرة في تنفيذ سياسة السلام المسلح، فاهتم بحدوده الشرقية ويتضح من نبوءة "نفرتي" أنه قضى النصف الأول من حكمه في طرد البدو الآسيويين الذين نزحوا إلى الدلتا واستقروا فيها خلال فترة الاضطرابات التي عاشتها البلاد في أواخر أيام الأسرة الحادية عشرة ورغبة من الفرعون في عدم عودة الآسيويين مرة أخرى إلى الدلتا فقد شيد أمنمحات سلسلة من الحصون على حدود الدلتا عرفت باسم "أسوار الحاكم" أو "حائط الأمير".[٢٩٧]

---

291 جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٤، ص١٨٢.

292 Montet, Géographie de l'Égypte Ancienne, Paris, 1961, Vol.II, p.157.

293 ستيندروف، عندما حكمت مصر الشرق، ص٥١.

294 ستيندروف، المرجع نفسه، ص٥١.

Petrie, op. cit., Vol.I, p. 152.

295 جريمال، المرجع السابق، ص٢٠٥، ٢٠٧؛

296 جيمس بيكي، المرجع نفسه، ج٤، ص١٨٢.

297 محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص٣٨٧.

في العام الرابع والعشرين من حكمه الملك أحرز القائد "نيسو مونتو" انتصارا على البدو في شبه جزيرة سيناء فأمن بذلك استقلال مناجم الفيروز في سرابيط الخادم وهو الهدف الذي طالما حارب من أجله الملوك الأوائل في الدولة القديمة. وفي نفس الوقت عادت العلاقات الدبلوماسية إلى سابق عهدها مع بيبلوس وعالم بحر "إيجه".[٢٩٨]

الجبهة الغربية:

اهتم "أمنمحات الأول" بتأمين حدود البلاد الغربية فقام ببناء سلسلة حصون على حدود الدلتا الغربية، كما في وادي النطرون، وربما أيضا في واحة الخارجة، وما تزال بقايا حصون وادي النطرون موجودة حتى الآن وبها معبد له بوابة من الجرانيت نقش عليها اسمه. وفي قصة "سنوهي" ما يشير إلى أن "أمنمحات" قد أرسل حملة في أخريات عهده تحت قيادة ولي عهده الأمير "سنوسرت" لتأديب الثائرين في الصحراء الغربية حيث يقول: "أرسل جلالته جيشا إلى "التحنو" بقيادة ولده البكر، الإله الطيب، "ستوسرت"، ليضرب البلاد الأجنبية وليأسر سكان أرض "تحنو" وكان في طريق العودة ومعه أسرى أحياء من التحنو وكل أنواع الماشية التي لا تحصى.[٢٩٩]

وقد حفظت لنا المناظر المصورة في مقبرة الأمير الوراثي "خنم حتب الأول" الصخرية في جبانة "بني حسن" رقم ١٤ من عهد "أمنمحات الأول"، مناظر تضمنت صورا للمصارعين والجنود المهاجمين لإحدى القلاع، وبالمثل آسيويين وجماعة من الليبيين "التمحو" يرتدون زيا مزخرفا: أرواب طويلة تغطي الذراع الأيسر بينما تترك الذراع الأيمن مكشوفا، ويضعون أربع أو خمس ريشات في رؤسهم، وبلحى قصيرة، يصطحبون قطيعا من الماعز ويتقدمهم كاتب مصري.[٣٠٠]

يشغل منظر القتال المستويات الثلاث الأخيرة من الجدار الشرقي للغرفة الرئيسة وتتميز نقوش هذه المقبرة بظهور رامي سهام من النوبيين يحصر جثث القتلى ويقوم بتغطيتها ويلاحظ أن أغلب المهاجمين من المصريين مسلحون بالفؤوس ويدور القتال على الأرض بين مقاتلين تعلو أرديتهم هذه الشرائط المتقاطعة على الصدر والشيء المميز لمنظر القتال في هذه المقبرة هو منظر الجندي الذي يقود الأسرى من الليبيين وأطفالهم في سلال خلف ظهورهم وهناك قطيع من الماشية والأغنام يسير خلف أحد المصريين الذين ربما لم يشاركوا في المعركة. (شكل ٥٣)[٣٠١]

في عهد الملك "سنوسرت الأول":

الجبهة الجنوبية:

قبل حكم الملك "سنوسرت الأول" عم سلام طويل مما أدى إلى تشجيع القبائل السودانية على التسلل إلى الشمال من الجندل الثالث وقد دفع ذلك "سنوسرت" إلى اتخاذ إجراءات حازمة، فقام بتوسيع القناة التي كان قد حفرها "مرنرع" أيام الأسرة السادسة على مقربة من بلدة الشلال تسهيلا لعبور السفن في منحدرات أسوان النهرية واستخدمها في العام الثامن من حكمه في شن حملته الأولى على بلاد "كوش"، ثم جرد حملة ثانية في العام العاشر وثالثة في العام السادس عشر، وفي العام التاسع عشر نجح المصريون بفضل هذه الحملات في بسط نفوذهم حتى بلدة "سمنة" التي صارت تشكل الحدود الجنوبية لسلطانهم.[٣٠٢]

وقد بدأت العمليات الحربية المهمة في عهد "سنوسرت الأول" بعد تسع سنوات من تهدئة "واوات" وكانت وادي حلفا قد أصبحت في قبضة المصريين وأحلوا بها حامية مصرية. وأصبحت منطقة الجندل الثالث تحت رقابة المصريين وبدأ "سنوسرت" في تشييد حصون وقلاع بقيت السد المانع الذي حد من قوة "كوش" لسنين عديدة،[٣٠٣]

---

298 جريمال، المرجع السابق، ص٢٠٧

299 محمد بيومي مهران، المرجع السابق ج٢، ص٣٩٥، ٣٩٦.

300 المرجع نفسه، ج٢، ص ٣٩٦.

301 مجدي عبد السلام محمد صالح، المرجع السابق، ص ١٤٥.

302 جريمال، المرجع نفسه، ص٢١٦

303 محمد بيومي مهران، المرجع نفسه، ج٢، ص٣٩٩.

فقد شيد على الحدود الجديدة ثلاثة حصون كبيرة اثنين على شاطئي النيل والثالث على جزيرة في وسط نهر النيل بالقرب من وادي حلفا.

ولتسهيل السيطرة على الجنوب لجأ إلى فتح قناة في الشلال الأول للحد من شدة التيار ولكي يسمح للأسطول بأن يمر بسرعة وكذلك لتسهيل رسو السفن في هذا الجزء الوعر من النهر حيث كانت المراكب تشد على معابر صناعية عبر التيار وذلك ليمنع أي زنجي من العبور إلا بإذن خاص وسمى القناة "حسنة طرق رع" "خع كاو رع".[304] طول هذه القناة مائة وخمسون ذراعا، اتساعها عشرون ذراعا، وعمقها أربعة عشر ذراعا.

وهناك لوحة وجدت في سمنة عليها نقش مميز يقول: "في العام السادس عشر، شهر Phamenoth جعل جلالته الحدود الجنوبية حتى heh، لقد جعلت حدودي جنوب حدود أبي، لقد فعلت أكثر مما كان معهودا إلي به، أنا الملك الذي قال وفعل، إنها وصية قلبي التي نفذتها، حريصا على الغنيمة، قويا للنجاح، غير متراخ، من لا يعرف قلبه الجبن لا يرضي الأعداء الذين يهاجمونه، لكنه يغزو الغزاة ويتخلى عن من يتخلى عنه، يرد على الكلمة وفقا لنتائجها، رجل يبقى صامتا بعد الهجوم، يشجع قلب العدو، الحرص هو الشجاعة، والجبان هو الذي يساق للخلف، حقا إن الجبان هو الذي يظلم على حدوده، الزنوج يطيعون بمجرد فتح الشفاه، إجابة تجعلهم يتراجعون ويعودون إلى التهور، إنهم رجال جبناء، كل من الذيول والأجسام (دليل على الاختباء)، جلالتي رأيتهم بنفسي، هذه ليست أسطورة، لقد استوليت على زوجاتهم، وسقت شعبهم، وخرجت إلى آبارهم وضربت ماشيتهم وحطمت قرونها وأشعلت فيها النار، بحياتي وحياة أبي ما أقوله هو الحقيقة".[305] كما أقام سلسلة من التحصينات مكونة من ثماني قلاع في المسافة الممتدة من سمنة إلى "بوهن".[٣٠٦]

يقول هيرودوت "ابحر الملك الكبير باسطول من سفن الحرب من البحر الأحمر نحو شواطئ البحر الأرتيري وأخضع القبائل في أثناء مروره حتى وصل إلى بحر لا يمكن الإبحار فيه لأن مياهه ضحلة ثم عاد إلى مصر".[307]

أرسل الملك "سنوسرت الأول" حملة حربية كبيرة وأتم فتح النوبة السفلى في العام الثامن عشر من حكمه، وأخضع القبائل الزنجية، وقد نفذت هذه الحملة بنجاح كبير وعين أميرا مصريا يسمى "حعبي جفاي" حاكما في "كرما" واستولى على مناجم الذهب في وادي العلاقي.[308] وقد وجدت لوحة في وادي حلفا (موجودة الآن في فلورنسا) تسجل أخبار هذه الحملة وتذكر أسماء القبائل الزنجية وهي "كاس"، "شميك"، "خيسا"، "شات"، أخركين"، الحافة الأمامية للنقش مهشمة ولكن البقايا تؤرخ للعام الثامن عشر.[309] كما أقام حامية عسكرية في بوهن عند الجندل الثاني وفرض سيطرته على بلاد "كوش" من الجندل الثاني وحتى الجندل الثالث، وعلى جزيرة "صاي".[٣١٠] كما ينسب إليه تشييد ما لا يقل عن ثلاث قلاع ناحية وادي حلفا.[٣١١]

وقد ذكرت أخبار هذ الحملات على مقبرة "اميني" وريث إقليم "أوريكس" وخليفة الأمير، ويؤرخ قبره بالعام الخامس والعشرين من حكمه، والعام الثالث والأربعين من حكم الملك، يقول: "تبعت مولاي عندما أبحر في النهر ليطرد أعداءه في أربع أراض أجنبية (يحتمل أن تكون: النوبة العليا والسفلى والشرق والغرب) لقد أبحرت كابن للأمير(قبل العام الثامن عشر من حكم الملك) حامل الأختام الملكية، قائد الجنود في إقليم "أوريكس".....لقد عبرت أثيوبيا في إبحاري إلى الجنوب، لقد أزلت حدود الأرض، لقد أحضرت جزية مولاي.....لقد هزم أعداءه في "كوش" وقد تتبعت جلالته وعدت حاد الوجه دون أن أفقد أحدا من جنودي.....لقد أبحرت مع أربعمائة رجل من صفوة جنودي الذين لم يتناقصوا وعادوا في سلام".[312]

---

304 Daumas, La Civilisation de l'Egypte Pharaonique, Paris, 1987, p. 79-81

305 Petrie, op. cit., Vol.I, p.179- 181.

306 جريمال، المرجع السابق، ص٢١٧

307 Weigall, Histoire de l'Egypte Ancienne, Paris, 1949, p. 76

308 رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط١، ص٢٦٢.

309 Petrie, Ibid, Vol.I, p.163.

310 جريمال، المرجع نفسه، ص٢١١

311 محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ج٢، ص٣٩٨.

312 Petrie, Ibid, Vol.I, p.159.

الجبهة الغربية:

وقد تابع الملك "سنوسرت الأول" سياسة أبيه في مراقبة الليبيين وهي نفس السياسة التي تبعه فيها خلفاؤه حتى أنه قد ظهر لقب جديد في هذه الفترة هو "مراقب الصحراء الغربية" والذي حمله كبار الموظفين وهناك ما يشير إلى قيام حملة إلى الواحات، يقول أحد قوادها: "لقد وصلت إلى الواحات الغربية وكشفت عن الطرق المؤدية إلى المتمردين، وأسرت الذين وجدتهم هناك وبقي جيشي سالما، وبدون خسائر".[٣١٣]

تشير نصوص قصة "سنوهي" إلى مهاجمة "سنوسرت الأول" أرض "التمحو" إلى الغرب من مصر أثناء مشاركته لوالده في الحكم، وأنه عاد ومعه أسرى sḫr-ʿnḫw (حرفيا: جرحى الأعداء) من التحنو وكل أنواع الماشية التي لا تحصى.[٣١٤] وقد شن "سنوسرت" حملة فيما وراء وادي النطرون ضد مناوئي النظام ومعارضيه الذين لجأوا إلى الليبيين وفي طريق عودته تفجرت أزمة اغتيال "أمنمحات الأول".١٩٩٢ ق.م.[٣١٥]

في عهد الملك "أمنمحات الثاني":

تذكر المصادر التاريخية أن الملك "أمنمحات الثاني" قد جرد حملة إلى بلاد بونت قرب أواخر حكمه.[٣١٦]

في عهد الملك " سنوسرت الثاني":

يرى "جيمس بيكي" أن النقوش التى حوتها مقبرة "خنوم حتب" والتي تسجل الرسوم على الحائط الشرقي بها أخبار معركة بين المصريين والليبيين ترجع إلى عهد الملك "سنوسرت الثاني"، وهذا يخالف ما أورده "محمد بيومي مهران" من أن هذه النقوش تمثل معركة من عصر الملك "أمنمحات الأول".[٣١٧]

في عهد الملك "سنوسرت الثالث":

شن الملك "سنوسرت الثالث" حملة واحدة ضد "المنتيو" في الأراضي السورية الفلسطينية فاصطدم المصريون مع أهل "سشم" و"الليطاني"[٣١٨] فقد أرسل قائده "سبك نفرو" على رأس الحملة ومن نتائج هذه الحملة أنها زادت من سيطرة مصر على فلسطين وسورية.[319]

قام الملك "سنوسرت الثالث" بارسال عدة حملات إلى النوبة، الحملة الأولى كانت في العام الثامن من حكمه، الثانية في العام التاسع، كما قام بحملة ثالثة إلى النوبة في العام العاشر وصلت حتى جنوب الشلال الثاني. كما أكمل بناء قلعة "اورونارتي".[٣٢٠]

---

313 محمد بيومي مهران، المرجع السابق، نفس الصفحة.

314 علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص١٠

315 جريمال، المرجع السابق، ص٢٠٧

316 جريمال، المرجع نفسه، ص٢١٢

317 جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٢، ص١١١، محمد بيومي مهران، المرجع نفسه، ص٣٩٨.

318 جريمال، المرجع نفسه، ص٢١٧

319 Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptianne, Paris, 1959, p.265

320 Morkot, op. cit., xv

في عهد الملك "أمنمحات الثالث":

هناك وثائق تشير إلى أن الملك "أمنمحات الثالث" قام بحملة على بلاد النوبة جعلت حدود مصر تمتد إلى الشلال الثالث.[321] يذكر أنه في العام الثاني هزم الزنوج وافتتح طريق "العامو"، ونظرا لأن هذه الحملات كانت في حاجة مستمرة لقوات كبيرة فقد ذكر في العام التاسع عشر جموعا من الجنود تصل إلى الألفين.[322]

الأسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة:

تعتبر فترة حكم هاتين الأسرتين من الفترات الغامضة في تاريخ مصر ويرجع ذلك إلى كثرة الأسماء التي ادعت أنها حكمت البلاد وبالتالي يصعب الحديث عن معارك بعينها في تلك الفترة.

[321] رمضان السيد، المرجع السابق، ج١، ط٢، ص٢٧٣.

[322] Petrie, op. cit., Vol.I, p.193.

عصر الانتقال الثاني

الأسرة الخامسة عشرة (الهكسوس):

يبدأ هذا العصر بالأسرة الخامسة عشرة، الهكسوس، التي استغرق حكمها فترة من الزمن من ١٦٣٠ ق.م إلى ١٥٢٠ ق.م حكم في هذه الفترة ستة ملوك منهم: "خيان"، "أبيبي"، "خامودي"، "سالاتيس"، "عا وسر رع" (أبوفيس) وقد قامت فيها حرب أهلية مع حكام "طيبة".

الأسرة السادسة عشرة:

كانت تضم مجموعة من الحكام الموالين للهكسوس حكموا لفترات قصيرة وقد تزامن حكمهم مع حكم ملوك الأسرة الخامسة عشرة، منهم: "نفرحوتب الثالث" و"منتوحوتبي".

الأسرة السابعة عشرة:

كان حكما وطنيا في "طيبة" من ١٦٣٠ق.م إلى ١٥٣٩ ق.م وحدث فيها معارك مع الهكسوس. من حكامها: "رع حوتب"، "نب خبر رع أنتف"، "سوبك ام سا إف الثاني"، "سقنن رع"، "كاموس".[323]

في عهد الملك "كامس":

وقعت معركة بين المصريين بقيادة الملك "كامس" وبين كتيبة هكسوسية في "نفروسي" وهي مدينة في مصر الوسطى، تقدم "كامس" إلى الحرب يقول: "أبحرت أسفل النهر بقوة لأطرد الآسيويين طبقا لمشيئة آمون صادق النصيحة وكان جيشي الشجاع يتقدم أمامي كالشعلة الملتهبة". يكمل "كامس": "ومنعته من الهرب وطردت الآسيويين وقضيت الليل في سفينتي وقلبي مبتهج وعند انبثاق الفجر انقضضت عليه كالصقر وما أن حلت ساعة الإفطار حتى كنت قد طردته، وحطمت أسواره، وذبحت شعبه وأرسلت زوجته (كأسيرة) إلى ضفة النهر، وكان جنودي كالأسود الذين يهاجمون ضحاياهم ويستولون على عبيدهم ومواشيهم وزيوتهم وعسلهم، ويقتسمون ممتلكاتهم بقلوب فرحة".[324]

[323] Wilkinson, T., The Rise and Fall of Ancient Egypt, USA, 2010,p. 9

[324] شتيندروف، عندما حكمت مصر الشرق، ص٤٧- ٤٩.

الفصل السادس

المعارك في الدولة الحديثة

الأسرة الثامنة عشرة:

في عهد الملك "أحمس":

المعركة الحاسمة في "أواريس":

يمكن الافتراض بأن "كامس" نجح في إجبار العدو على الانسحاب إلى شرق الدلتا حيث دعموا أنفسهم في عاصمتهم الحصينة "أواريس" وهناك دارت المعركة الحاسمة التي من المحتمل أن "كامس" لم يعش ليراها فقد اختطفه أيضا الموت المبكر وبقي على أخيه الأصغر "أحمس" الذي خلفه أن يتم النصر ويطرد الهكسوس مرة واحدة وإلى الأبد من البلاد.

عرفت بقية الأحداث للحرب الطويلة من سيرة حياة قبطان سفينته الذي يحمل أيضا اسم "أحمس" والذي سجل خدماته للبيت الملكي على جدران مقبرته في الكاب، فعندما كان "أحمس" هذا صغيرا نسبيا التحق بالخدمة العسكرية في قوات الملك "أحمس" وبعد أن تزوج ترقى للخدمة في "السفينة الشمالية" وكلما كان الملك يخرج راكبا عجلته الحربية كان "أحمس" يرافقه سيرا على الأقدام، وهو يكتب عن مغامراته في الحرب ضد الهكسوس فيقول: "عندما حاصر الملك مدينة أواريس حاربت بشجاعة على قدمي في حضور جلالته وارتقيت بعد ذلك للخدمة في سفينة "أفق منف".

وبينما هو يشغل هذه الوظيفة اشترك المحارب الصغير في معركة طويلة صاحبت حصار عاصمة الهكسوس إلى جانب النهر، ومرة أخرى اشتهر بأعمال الشجاعة وأخذ غنيمة وفيرة وذبح أحد الأعداء وقطع يده وأخذها معه كدليل على الانتصار طبقا للعادة المصرية وكافأه الملك على هذا العمل بوسام عسكري يسمى "النوط الذهبي للشجاعة".

وفي عملية تالية أظهر "أحمس" مزيدا من الشجاعة فسبح إلى ضفة نهر الأعداء وأخذ أسيرا محاربا حمله معه إلى الجانب المصري من النهر تحت مرأى العدو، وكافأه الملك على هذه المغامرة بمنحه النوط الذهبي مرة أخرى واستسلمت أواريس في النهاية، وعندما اندفعت القوات المصرية داخل المدينة المأسورة لأخذ ثرواتها أسر "أحمس" أربعة أسرى آخرين، رجلا وثلاثة نساء، منحهم له الملك كعبيد.[325]

يقول النص الذي نقش على مقبرة القائد "أحمس بن إبانا" في الأعمدة من٦ إلى ١٦: "عندما حاصرنا مدينة "أفاريس" وأخذت الفرصة لكي أثبت شجاعتي على قدمي في حضور جلالته، وقد ارتقيت السفينة "خع ام من نفر" (التي تشرق في منف) ثم قاتلنا في البحر، في قناة "با- جد- كو" في أواريس، لقد أخذت الغنائم وأحضرت يدا (اليد المقطوعة تدل على القتيل) وعندما وصلت هذه الحقائق إلى البلاط الملكي حصلت على الجائزة الذهبية للشجاعة.

ثم قاتلوا مرة أخرى في هذا المكان وقد حصلت على قدر أكبر من الغنائم، لقد غنمت يدا ومنحت جائزة الشجاعة الذهبية للمرة الثانية. ثم كان هناك قتال في مصر إلى الجنوب من هذه المدينة، هناك غنمت أسيرا، لقد نزلت إلى الماء (البحر) وأحضرته كما لو كنت أحضرته من الطريق، لقد عبرت البحر وأنا أحمله، وذكر ذلك للحاكم فكافأني مرة أخرى بالذهب. وسلبت "أفاريس" وقد أحضرت الغنائم من هناك، رجل وثلاث نساء، أربعة أشخاص، وقد أهداهم إلي جلالته كعبيد.[326]

بعد تحرير مصر من الهكسوس وطردهم منها إلى الأبد، وبعد سقوط "أواريس" فقد الهكسوس معقلهم القوي الأخير في مصر واضطرت قواتهم للانسحاب إلى سوريا حيث وجدت ترحيبا من اتحاد أمراء ساميين ولكن الملك "أحمس" لم يضيع وقتا في مطاردتهم على رأس جيشه المظفر فقد كان مصمما على إحباط أية محاولة من الآسيويين لتجديد هجومهم على مصر منذ البداية.

---

[325] شتيندروف، المرجع السابق، ص٤٧- ٤٩.

[326] عبد الحليم نور الدين، عظماء من مصر (٥)، "مانيتون، أحمس بن إبانا، مرنبتاح"، الموسم الثقافي الأثري الخامس بمكتبة الإسكندرية، ص٢١.

معركة مع الهكسوس في "شاروهين":

سافر الملك "أحمس" عبر الصحراء إلى سوريا وحاصر مدينة "شاروهين" في جنوب فلسطين حيث كان قد استقر جزء كبير من لاجئي الهكسوس وحصنوا أنفسهم.[327] وظل الجيش المصري يحاصرهم لسنوات ثلاثة حتى أسقط الحصن وقضى على بذرة الهكسوس تماما ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك.[328] ويحكي القائد "أحمس بن إبانا": "حاصر الملك مدينة "شاروهين" لمدة ثلاث سنوات ثم احتلها جلالته، ونلت من الغنيمة امرأتين ورجلا ومنحني الملك وسام النوط الذهبي للشجاعة مرة ثالثة وسمح لي بأخذ الغنيمة كعبيد".[329] (شكل٥٤، ٥٥)

نتائج المعركة والدروس المستفادة منها:

١- أنه لا إمكانية لتحقيق أمن البلاد وازدهارها إلا بتكوين جيش قوي يصون لها كرامتها ويشعر جيرانها بقوتها، وفرضت غزوة الهكسوس على المصريين ألا يظلوا دعاة سلام فقط بل يتحولوا إلى جنود أشداء يفرضون اسم مصر على جيرانها.
٢- أدرك الحكام والقادة العسكريون أن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع وبنوا سياستهم على أساس الخروج لتأمين الحدود وتوسيعها على حساب الآخرين إذا تطلب الأمر ذلك.
٣- استوعب المصريون السلاح الجديد الذي أتى به الهكسوس إلى مصر وهو العجلة الحربية، فقد تعلم المصريون كيف يصنعون هذا السلاح ويستخدمونه، وبنفس السلاح الذي هزموا به هزموا أعداءهم وبه أيضا انطلقت الجيوش المصرية نحو حدودها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا لتكوين واحدة من أضخم إمبراطوريات العالم القديم.[330]

حملة في جاهي:

سجل "أحمس بن نخبت" على جدران مقبرته في منطقة الكاب ضمن مقابر النبلاء، أخبار حملته إلى "جاهي" (لبنان)، مع أحمس الأول تلك الحملة التي لم تسجل في مكان آخر.[331] يقول: "بناء على أوامر الملك "نب حتب رع" (أحمس الأول)، أسرت له في منطقة "جاهي" أسيرا حيا اصطحبته معي."[332] وبالرغم من أن Morkot يرى أن أخبار هذه الحملة لم تسجل في مكان آخر غير مقبرة "أحمس بن نخبت" إلا أن هناك نقوش متفرقة في معبد أحمس الأول في أبيدوس تظهر فيها أشجار الأرز اللبنانية وتصور هذه النقوش أيدي رماة السهام تقبض على أقواس وتسدد سهامها من اليمين إلى اليسار، ونقوش أخرى تصور رؤوسا لآسيويين بعضها بلحى وبعضها الآخر بدون، كما تصور أيدٍ تمسك بسيف قصير ومقدمة قارب في صورة عقاب.[333]

وقد أعاد Harvey بناء هذه النقوش وقد قسمها إلى نصفين متماثلين تقريبا حيث تنقسم إلى مستويين، المستوى العلوي يظهر فيه الملك في عجلته الحربية يسدد سهاما نحو أعدائه الذين لا يظهرون في النصف الأيمن ولكن يظهر الملك في النصف الأيسر يسدد سهامه نحو حصن آسيوي يرفع أهله أيديهم في استسلام ويشترك في الهجوم رماة سهام مصريون وأسفل الحصن أشجار الأرز اللبنانية، وفي المستوى السفلي على يمين المنظر يقدم الملك القرابين للمركب المقدس وفي النصف الأيسر عدة مراكب.[334] (شكل٥٦).

---

327 شتيندروف، المرجع السابق، ص٤٤؛
328 عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص٣٩٨.
329 شتيندروف، المرجع نفسه، ص٤٩.
330 عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص٣٩٩.
331 Morkot, R. G., op. cit., p. 4.
332 جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٤، ص٤٣.
333 مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص ١٤٦.
334 مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه، نفس الصفحة ؛
Harvey, S., The Cult of King Ahmose at Abydos, Pennsylvania, 1998 p.362.

غزو النوبة:

بعد أن قام الملك "أحمس" بطرد الهكسوس من مصر، وتعقبهم حتى فلسطين ثم القضاء عليهم، كانت تنتظره مهمة أخرى في الجنوب، وهي أن يغزو بلاد النوبة التي انفصلت عن الإمبراطورية المصرية خلال الفترة التي سيطر فيها الآسيويون على البلاد، وقد قام القائد "أحمس" بتقديم المساعدة لسيده الملك في هذه الحرب أيضا حتى عاد الملك منتصرا إلى مصر.[335]

وقد جاء في السيرة الذاتية لـ "أحمس بن أبانا" ذكر حملة قام بها على النوبة وكان "عاتا" ʿȝ tȝ هو حاكم "واوت" الذي جاء مع جيشه وسفنه ولكنه أخذ أسيرا وتحول شعبه إلى مجموعة من العبيد، يقول النص أن الشعوب كلها خاضت الحرب، لذا يبدو هذا الحدث متباينا مع التمرد الذي قام به tty-ʿȝn في نفس السيرة الذاتية لأحمس بن أبانا في كل من التركيب والمعالجة القصصية.[336]

يقول النص: "بعد أن قام جلالته بذبح البدو في آسيا أبحر جنوبا في اتجاه "خنت- حن- نفر" إلى الجنوب من الشلال ليدمر النوبيين، لقد قام بمذبحة كبيرة بينهم، وقد أخذت الغنائم من هناك، اثنين من الأسرى الأحياء، وثلاث أيدي، لقد كوفئت مرة أخرى بالذهب ومنحت امرأتين. وأبحر جلالته ضد التيار (شمالا) وقلبه مبتهج بالبسالة والانتصارات لأنه غزا هؤلاء الذين في الشمال وأولئك الذين في الجنوب.

ويتحدث النقش عن القبض على "عا تا": "... ثم توجه "عا تا" ناحية الجنوب وقد أدى به قدره إلى السقوط، لقد استحوذت عليه آلهة مصر العليا، وقد وجده جلالته في مياه "Tinet- taa" وأخذه كأسير حي، بينما نهب شعبه كله. ثم أخذت لنفسي شابين من الجنود كأسرى من قارب "عا تا". لقد أعطيت خمسة أشخاص ومساحة خمس أرورات من الأرض في بلدتي. كما أعطي مثلي للفرقة بأكملها. ثم يتحدث عن هزيمة "تتي آن": "..... ثم أتى هذا العدو "تتي آن"، لقد جمع حوله المتذمرون. وقد ذبحه جلالته وأصبح جنوده كأن لم يوجدوا، لقد منحت ثلاثة أشخاص وخمس أرورات (أرورا= ٢٧٠٠متر مربع) من الأرض في بلدتي".[337]

في عهد الملك "أمنحتب الأول":

في عهد أمنحتب الأول لا توجد تفاصيل معروفة عن مشروعاته في بلاد الشام إلا أن رجلا من رجاله ذكر اسم دولة "ميتاني" وأرض "مٹن" في نصوصه لأول مرة، وذلك يعني أن جهود رجاله قد ترتب عليها زيادة معرفتهم بأحوال الشرق القديم وأحوال دوله.[338]

وفي عهده قامت القبائل البدوية القاطنة في الأقاليم الغربية باجتياح المراعي المثمرة في غرب الدلتا واستولت على عديد من المدن في هذه المنطقة واستطاع "أمنحتب الأول" أن ينجح في طردها وقام بتحصين الحدود ضد أية هجمات أخرى.[339] وقد ورد في نقوش مقبرة القائد"أحمس بن نخبت" بالكاب أخبار عن غزوة ليبية حيث يقول: "امتثالا لأوامر الملك "جسر كا رع" أسرت له في "كوش" أسيرا حيا وخدمت أيضا تحت حكم "جسر كا رع" وأسرت له عبيدا شمال "إيمو كيهك" (الغزوة الليبية) ثلاثة عبيد".[340]

حرص الملك "أمنحتب الأول" على أن يجعل لبلاد النوبة السفلى شخصية واضحة في صلب أقاليم الدولة فسلكها في وحدة إدارية واسعة تمتد من الشلال الثاني وتدخل في صلب الحدود المصرية متضمنة أسوان ليثبت عمليا أنها جزء من مصر يجري عليها ما يجري على أقاليم مصر نفسها وكان حاكمها يلقب بلقب "والي الأقاليم الجنوبية". وتميز من حكامها "ثوروي" قائد حامية "بوهن" الذي عين في العام السابع من حكم هذا الملك.[341]

---

335 ستيندروف، المرجع السابق، ص٤٩.
336 Morkot, op. cit., p.1.
337 عبد الحليم نور الدين، عظماء من مصر (٥)، ص٢١، ٢٢.
338 عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، القاهرة، ١٩٩٠، ص٢٢٥
339 ستيندروف، المرجع نفسه، ص ٥١.
340 جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٤، ص٤٣.
341 عبد العزيز صالح، المرجع نفسه، ص٢٢٥

حملة إلى "كوش":

قام الملك "أمنحتب الأول" بحملة إلى "كوش" سجلت أخبارها على مقبرة القائد "أحمس بن أبانا" الذي غنم فيها أسيرا[٣٤٢]، "... ثم نقلت بالقارب ملك مصر العليا والسفلى "جسر- كا- رع"، المبرأ، عندما سافر جنوبا إلى "كوش" ليوسع حدود مصر، ضرب جلالته ذلك النوبي وسط جيشه ثم أخذوا في القيود لذا لم يستطيعوا الهرب، والذين فروا ضربوا من الجانب كأن لم يكونوا. انظر لقد كنت أنا قائد جيشنا (هذه هي المرة الوحيدة التي ذكر فيها تعبير جيشنا في النصوص المصرية، وهو يشعر القارئ بروح الوطنية) لقد حاربت جيدا بحق، وقد لاحظ جلالته شجاعتي، لقد أحضرت معي يدين قدمتهما لجلالته. ثم سعيت لشعبه وقطعانه (العدو) بعد ذلك فغنمت أسيرا حيا قدمته لجلالته"،يقول أيضا: "لقد قاتلت بصورة لا تصدق".

غير ان الحملة ضد النوبيين قد عطلتها أنباء عن غارة ليبية على مصر، وكان على أحمس أن يعجل في دفع جيشه شمالا لمواجهة الخطر ويبدو أنه أقدم على ذلك لتحقيق رغبة الفرعون وهي أن السفينة الملكية قطعت مانتي ميل في يومين، ولذلك لم يكن هناك بد من أن يعترف الفرعون بالجميل وينعم عليه بجائزة ذهبية سادسة، وقد حدث في القتال الذي أعقب ذلك أن عمد إلى إظهار وتمييز نفسه لتحقيق غرض ما كان في نفسه وهو أن عينه الملك في منصب "محارب الحاكم" وهو منصب شرفي في اللواء الملكي، يقول "أحمس": "وقد أعدت جلالته إلى مصر في يومين من المنبع الأعلى (للنهر)، ثم كوفئت بالذهب. لقد أحضرت أمتين كغنيمة، وقدمت جزء من الغنيمة لجلالته وقد منحني لقب "محارب الحاكم".[٣٤٣] وقد ورد في نقوش مقبرة القائد "أحمس بن نخبت" أيضا بالكاب أخبار عن هذه الحملة حيث يقول: "امتثالا لأوامر الملك "جسر كا رع" أسرت له في "كوش" أسيرا حيا.[٣٤٤]

في عهد الملك "تحوتمس الأول":

بعد أن عاد الملك من الجنوب حوالي عام ١٥٠٠ ق.م. قام بحملة إلى فلسطين وسوريا ووصل إلى نهر الفرات.[٣٤٥] فقد اخترق سورية بدون مقاومة وتقدم حتى الأحراش العليا للفرات في بلاد النهرين وعندما تصدى أمير تلك البلاد أخيرا بقواته للغازي المصري أحرز تحوتمس نصرا موزرا وأوقع مذبحة هائلة في العدو "وحمل الملك أعدادا لا حصر لها من الأسرى نتيجة لانتصاره" وأقام لوحة على ضفاف نهر الفرات تعلن أعماله الشجاعة لكل الأجيال القادمة.[346]

وقد سجل القائد "أحمس بن إبانا" أخبار هذه الحملة على جدران مقبرته في الأعمدة من ٣٦ إلى ٣٩ حيث يقول: ".... بعد ذلك تقدم (جلالته) إلى الرتنو (شمال كنعان) ليغسل قلبه (ينتقم) من البلاد الأجنبية. عندما بلغ جلالته، فليعط الحياة، نهارين (شمال فينيقيا)، ظن أن هذا العدو قد أعد الجيوش (للمعركة). ثم قام جلالته بمذبحة بينهم، ولا يستطيع أحد أن يحصي عدد الأسرى الأحياء الذين أحضرهم جلالته من انتصاراته. انظر! لقد كنت أنا قائد الجيش، وقد رأى جلالته قيادتي (سيطرتي على الجيش)، لقد أحضرت عربة بحصانها وبمن كان عليها كأسير حي هدية لجلالته، وقد كوفئت بالذهب مرة أخرى.[٣٤٧]

وقد سجلت مقبرة "انيني" بالحوزة العليا عودة تحتمس الأول بالغنائم، ويرى على الحائط الخلفي للمقبرة من جهة اليسار "انيني" وزوجته وأصدقاؤه يراقبون الغنائم التي أحضرها "تحتمس الأول" من حروبه ويرى أحد الجنود المصريين يسوق نساء نوبيات وآسيويات يحملن أولادهن على أكتافهن بينما تعرض بعض الغنائم أيضا.[٣٤٨] كما سجل أيضا القائد "أحمس بن نخبت" على جدران مقبرته، في الكاب، وصفا لأحداث هذه الحملة حيث يقول: "لقد

---

[342] Morkot, op. cit., p.4

[343] عبد الحليم نور الدين، عظماء من مصر (٥)، ص٢٢؛ جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٤، ص٥٤.

[344] جيمس بيكي، المرجع نفسه، ج٤، ص٤٣.

[345] عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص١٨٢

[346] شتيندروف، المرجع السابق، ص٥٦.

[347] عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص٢٣؛ جيمس بيكي، المرجع نفسه، ج٤، ص٥٣.

[348] جيمس بيكي، المرجع نفسه، ج٣، ص٣٠٣.

عملت من جديد لحساب الملك "عا خبر كا رع"، وقد غنمت له من بلاد "نهارين" إحدى وعشرين يدا، وحصانا وعربة".[٣٤٩]

معركة في النوبة:

عندما تولى الملك "تحوتمس الأول" الحكم بعد "أمنحتب الأول" ولم يكن يتمتع بالصفة الشرعية للجلوس على العرش[350] ظن أهالي النوبة أن الفوضى التي صاحبت تغيير الحاكم فرصة ممتازة للتخلص من الحكم المصري والتهرب من أداء الجزية فاضطر الملك "تحوتمس الأول" إلى الذهاب لإخماد هذه الفتنة. ونقل القائد "أحمس الكابي" الملك وقواته إلى الجنوب واشترك الملك شخصيا في المعركة "وكان يزار كالنمر وأطلق جلالته أول سهم فرشق في عنق العدو" (الزعيم النوبي)، وترقى أحمس لرتبة "رئيس البحارة" أو "الأميرال".

وصل الملك إلى الشلال الرابع ثم عاد وسجل أخبار انتصاراته على الصخور الجرانيتية في الضفة الشرقية المقابلة لجزيرة "تومبوس" في الشلال الثالث للنيل بالقرب من "هاناك"، يصف النقش تقدم الملك الظافر في كل اتجاه: "تقدم إلى نهاية العالم بقوته الظافرة باحثا عن أحد يحاربه فلم يجد أحدا يمكنه أن يقف في وجهه، إنه سار في وديان لم ير فيها أحد من الملوك السابقين ولم يرها أحد من مرتدي شعار الصقر والأفعى وخضعت له جزر البحر وكل الأرض أصبحت تحت قدميه".

حصنت الحدود بقلعة أقيمت في جزيرة "تومبوس" ولم يمض عامان إلا وحدثت ثورة أخرى ومرة أخرى هزم الملك الثوار وغلبت "كوش الشقية" وأبحر الملك شمالا في النيل منتصرا خلال شلال أسوان بواسطة قناة شقت خصيصا لرحلته.[351] وأصبحت مدينة "نباتا" عند جبل "برقل" ضمن الحدود المصرية وعين حاكما هناك وهو المعروف باسم "الابن الملكي لكوش". ومنذ ذلك الوقت اصطبغت بلاد النوبة وشمال السودان بالصبغة المصرية.[٣٥٢]

يصف القائد "أحمس بن إبانا " حملة "تحتمس الأول" على النوبة على جدران مقبرته في الأعمدة من ٢٩ إلى ٣٦ ، يقول: ".. ثم نقلت بالقارب ملك مصر العليا والسفلى "عا خبر كا رع"، المبرأ، عندما سافر جنوبا إلى "خنت- حن- نفر" ليخمد الحرب الأهلية في الأراضي الأجنبية، وليصد غزوا آتيا من جهة الصحراء، لقد كنت شجاعا في حضرته، في المياه الصعبة، وجعلت السفينة تجتاز النهر إلى ما بعد الشلال، وهكذا منحوني لقب "رئيس البحارة"، ثم ..... (باقي الفقرة مهشم، ولكن يحتمل أنها تتحدث عن علم الملك بوجود ثورة قريبة).

"..... عندئذ أصبح جلالته غاضبا مثل النمر، وقد أطلق جلالته أول سهامه فاستقر في صدر هذا العدو. ثم إن هؤلاء ..... (مساحة مهشمة، يحتمل أنها "الخصوم والأسطول") ضعاف أمام الصل المقدس. وفي لحظة كانت المذبحة قد تمت، وأخذت عائلاتهم كأسرى أحياء. وقد سافر جلالته شمالا، وأصبحت كل الأراضي الأجنبية في حوزته، بينما جسد الزعيم النوبي معلق في مقدمة سفينة جلالته "الصقر"، ورأسه تتدلى إلى الأسفل، ورست (السفينة) في "إيبت رسيت" (معبد الكرنك)".[٣٥٣]

وقد سجلت مقبرة "انيني" بالحوزة العليا عودة الملك "تحتمس الأول" بالغنائم، ويرى على الحائط الخلفي للمقبرة من جهة اليسار "انيني" وزوجته وأصدقاؤه يراقبون الغنائم التي أحضرها تحتمس الأول من حروبه ويرى أحد الجنود المصريين يسوق نساء نوبيات بأولادهن المحمولين في سلال على ظهورهن وآسيويات يحملن أولادهن على أكتافهن بينما تعرض بعض الغنائم أيضا.[٣٥٤]

---

[349] المرجع نفسه، ج٤، ص٤٣.

[350] عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص١٨١

[351] ستيندروف، المرجع السابق، ص٥٦

[352] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص١٨١

[353] عبد الحليم نور الدين، عظماء من مصر (٥)، الموسم الثقافي الأثري الخامس بمكتبة الإسكندرية، ص٢٣.

[354] جيمس بيكي، الآثار المرجع نفسه، ج٣، ص٣٠٣.

في عهد الملك "تحوتمس الثاني":

قام الملك "تحوتمس الثاني" بحملة تأديبية ضد بدو جنوب فلسطين[٣٥٥] "الشاسو" واستمر في زحفه حتى وصل مدينة "في يا" في بلاد نهارين (قلعة المودك حاليا)،[٣٥٦] سجلت أخبار هذه الحملة على جدران مقبرة القائد "أحمس بن نخبت" الذي رافق الملك فيها.[٣٥٧] يقول: "لقد اتبعت الملك "عا خبر ان رع" وقد سيق إلي من بدو الشاسو أسرى أحياء كثيرون، إنني لم أحصهم".[٣٥٨] وقد صور الملك "تحتمس الثاني" في نقش على جدران معبده في دير المدينة والذي أكمله "تحتمس الثالث" في عجلته الحربية يسدد سهاما نحو أعدائه الفارين أمامه على ظهور جيادهم ويتكرر المنظر مرتين حيث يسدد الملك سهامه من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين.

وقد أصابت سهام الملك الأعداء فسقطوا من على العجلات الحربية واصطدموا بالعجلات وتبعثرت في الرديم دروعهم وكناناتهم وخوذاتهم وقد أصابت السهام رؤوس الأعداء ورقابهم وفرت جيادهم يمينا ويسارا.[٣٥٩] (شكل ٥٧) وكان من نتائج هذه المعركة أن تم تأمين حدود البلاد الشرقية وبالتالي تأمين مناطق مناجم النحاس بشبه جزيرة سيناء، وكانت فترة حكمه قصيرة.[٣٦٠]

معركة في النوبة:

جلس علي عرش مصر من بعد الملك "تحتمس الأول" أكبر أبنائه من إحدى الزوجات الثانويات ويدعي "تحتمس" أيضا والمعروف باسم "تحتمس الثاني"، ولكي يصبح ملكا شرعيا تزوج من أخته "حتشبسوت"،[٣٦١] وفي بداية عهده قامت ثورة في بلاد النوبة وهرب السكان المصريون بقطعانهم للاحتماء خلف جدران التحصينات التي بناها والده "تحتمس الأول".

وعندما تم إخباره بالثورة غضب غضبا شديدا وقال: "طالما أنا حي وطالما أنا أحب رع وطالما أنا أمتدح أبي سيد الأرباب آمون لن أسمح لذكر واحد منهم أن يظل على قيد الحياة" ثم بعث جلالته جيشا كبيرا إلى النوبة ليطيح بهؤلاء الذين ثاروا ضده وضد إله الأرضين، ووصل الجيش إلى أرض "كوش" البانسة وقوة جلالته ترشده والرعب منه يمهد للجيش الطريق وبعد ذلك تمكن جيش جلالته من سحق البرابرة ولم يسمح لأحد من ذكورهم بأن يبقى على قيد الحياة تماما كما شاء جلالته باستثناء أحد أبناء أمير كوش الذي حمل أسيرا مع (بعض) رعاياهم إلى المكان الذي كان فيه جلالته وركع تحت قدمي الإله الطيب (الملك) وظهر تحوتمس في شرفة القصر وأمر باستعراض الأسرى أمامه وهكذا عادت النوبة مرة أخرى.[362]

وقد ذكرت أخبار هذه الحملة في مخطوطات أسوان الصخرية، فيزوي مخطوط "تحتمس الثاني" رقم ٤٧٤ كيف أن الفرعون استقبل رسولا من الحدود حاملا هذه الرسالة: "لقد بدأ "كوش" التعس حركة تمرد وهؤلاء الذين يخضعون لحكم رب الأرضين يضمرون العداء وبدأوا الابتلاء به ولقد ثارت ثائرة صاحب الجلالة لذلك حينما سمع بالنبأ قال صاحب الجلالة: إنني أقسم كما يحبني رع وكما أن أبي رب الأرباب آمون، إله طيبة، يكرمني، إنني لن أترك أحدا حيا بين ذكرانهم".[٣٦٣]

---

355 عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص١٨٣

356 جريمال، المرجع السابق، ص٢٧١

357 Morkot, op. cit., p.4

358 جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٤، ص٤٣.

359 مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص١٤٧.

360 عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص١٨٣

361 المرجع نفسه، ص ١٨٣

362 ستيندروف، المرجع السابق، ص٥٩.

363 جيمس بيكي، المرجع نفسه، ج٤، ص٢٠٧.

في عهد الملك "تحوتمس الثالث":

يعد "تحوتمس الثالث" من أعظم ملوك الأسرة الثامنة عشرة، بل هو من أهم الملوك الذين حكموا مصر، ومن أشهر الأبطال الذين خلدهم التاريخ، وأعماله تعتبر مفخرة يعتز بها التاريخ الحربي، فهو أول من نظم الجيوش وقسمها إلى قلب وجناحين وأول من درس ساحة القتال قبل أن يخوض المعركة وأول من نفذ الحرب الخاطفة المفاجئة[٣٦٤] ويعتبر عهد الملك تحوتمس الثالث من أكثر العهود ذخرا بالمعارك خاصة في شمال شرق مصر لذلك فإنه من الواجب أن يتطرق الباحث إلى وصف الحالة السياسية في الشرق الأدنى عقب توليه العرش وعلاقة مصر بها.

كانت إمبراطورية "تحتمس الثالث" و"حاتشبسوت" في السنة الخامسة عشرة من حكمهما تمتد في البلاد الآسيوية إلى جبال لبنان شمالا، ولم يعرف ماذا جرى لتلك الجهات حتى السنة الثانية والعشرين من حكم تحتمس الثالث لما ذكر أنه زحف وقتئذ إلى آسيا لإخضاع أهلها. لكن يستدل من أحوال تلك العصور وما تبعها من الحوادث أن سلطة مصر على هذه البلاد بدأت تضعف حتى تطلبت حضوره شخصيا لعلاجها. ومن الغريب أن عهد "حتشبسوت" مر دون أن تقع حوادث على الحدود ودون أن تقوم معارك حربية فهو سلم متصل لا تعرف له سببا. ويلاحظ أن البلاد الآسيوية مضى عليها إلى ذلك الوقت مدة طويلة لم تر فيها جيشا مصريا، فكاد أهلها ينسون ما لمصر من سلطة وعزة فاغتروا وجمعوا كلمتهم واتحدوا بقيادة ملك "قادش" ثم أعلنوا عصيانهم على فرعون مصر وانفصالهم عن إمبراطوريته. وتدل الآثار على أن البلاد الممتدة من "يرازا" شمالي "يوديا" إلى إقليم المستنقعات جنوبا وقرب نهر الفرات شمالا شقت عصا الطاعة على مصر.

أما جنوبي فلسطين فلم يجرؤ على ذلك لأن أهله اعتبروا واتعظوا بما حدث لمدينة "شاروهين" التي هي في وسط هذا الإقليم لما ذاقت الأمرين وقت حصار "أحمس الأول" في حربه مع الهكسوس، لكن سكان شمالي فلسطين وسوريا استعملوا نفوذهم مع أهل جنوب فلسطين ليتحدوا معهم لمعاكسة المصريين طالبين منهم أن يتركوا لهم بعض القوات والإمدادات الحربية في مقابل اشتراكهم معهم في ذلك الكفاح، وقد نجم عن ذلك أن انحاز بعض أهالي جنوبي فلسطين إلى الثوار وقامت حرب أهلية مركزها مدينة "شاروهين". بعد ذلك امتد العصيان إلى غربي سوريا (جاهي)، وفي إطار علاقة مصر مع سوريا كان هناك أمير "قادش" التي تقع إلى الشمال من دمشق، والذي كان يحرض أعداء مصر عليها. ثم امتد العصيان إلى مملكة "ميتاني". ساعد هؤلاء جميعا البلاد العاصية وشجعوها على فرعون مصر.[٣٦٥] وبمجرد اعتلاء تحوتمس الثالث العرش قامت ثورة اجتاحت الإمارات السورية المتحالفة في أعقاب وفاة حاتشبسوت. وقام هذا التحالف الذي تزعمه أمير "قادش" بتحريض من الميتاني واضطر "تحوتمس" الثالث إلى القيام بما لا يقل عن سبع عشرة حملة عسكرية قبل أن ينجح في السيطرة على الأوضاع المتأزمة.

لم ينطلق "تحتمس الثالث" من عقاله دفعة واحدة بل آثر التريث حتى يدرك المصريون قوته وبأسه وحتى يقدروا مآثره وأعماله وشجاعته في الداخل والخارج، وليس هناك شك أن أعمال "تحتمس الثالث" العسكرية تعد مفخرة يعتز بها التاريخ الحربي في العالم القديم، فهو أول من نظم الجيوش وقسمها إلى قلب وجناحين وأول من درس ساحة القتال قبل أن يخوض المعركة وأول من نفذ الحرب الخاطفة المفاجئة لهذا قارن بعض المؤرخين بينه وبين كل من "الإسكندر الأكبر" و"نابليون بونابرت" ويعتبر "تحوتمس الثالث" أول منشئ للإمبراطورية المصرية فهو الذي أخضع الشعوب الأجنبية لسلطان مصر وكان حسبه أن يرسل الرسل إلى ملك آسيوي فيسارع إلى دفع الجزية وإرسال الهدايا ليأمن جانب الجندي المصري الشجاع.[٣٦٦]

وتقدم لنا إحدى المقابر بالحوزة العليا صورة حية وثمينة عن أحداث حملات "تحتمس الثالث" وهي المقبرة رقم ٨٥، الخاصة بالقائد "أمن ام حب" وهو القائد المساعد للجنود في عصر "تحتمس الثالث" وقد عاش بعده في عهد أمنحتب الثاني، وهو يذكر كيف أنقذ حياة مليكه بأن أبعد عنه هجمة فيل ثائر. ويظهر على الحائط الخلفي إلى اليمين الآسيويون وهم يحضرون ليقدموا فروض الطاعة لتحتمس الثالث وليقدمهم "إمن ام حب" للملك، وإلى يسار حائط المدخل يرى "إمن ام حب" وهو يراجع ملفا خاصا بالجند.[٣٦٧]

---

364 عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص١٨٦.

365 برستد، المرجع السابق، ص٢٣٣؛ عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص١٨٧، ٤٠٢.

366 عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص٤٠١، ٤٠٢؛
J. A. Wilson, The Asiatic Compaign of Thutmose III, *ANET*,1966, p.235.

367 جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٣، ص٣٠٣.

المعارك والحملات:

قام "تحوتمس الثالث" بسبع عشرة حملة عسكرية كما تقدم، بعض هذه الحملات حدث فيه وقائع حربية وبعضها الآخر لم تحدث فيه وقائع حربية ولكنها تعتبر نتائج لمعارك سابقة أو أسباب لمعارك تالية، لذلك فضلت تضمينها للبحث بالرغم من أنها لا تعتبر من المعارك الحربية.

كانت أول حملة آسيوية يقوم بها "تحتمس الثالث في عهد "حتشبسوت" وقد سجلت أخبارها في معبد "بوهن" الجنوبي حيث كان لهذا المعبد برج مبني من اللبن مازال جزء منه موجودا بالقرب من ضفة النهر بالإضافة إلى وجود دهليز يحمل أحد أعمدته مخطوطا لتحوتمس الثالث يصف فيه بسالته وشجاعته في أول حملة آسيوية يقوم بها، وهذا المخطوط مؤرخ بعامه الثالث والعشرين الذي يضم أيضا لسنوات ولائه وخضوعه لسلطة "حتشبسوت"، يقول المخطوط: "إن الملك نفسه قاد جيشه في الطريق الممهد وكان يبدو قويا على رأس هذا الجيش مثل شعلة من نار ..... الملك الذي أنجز ما أنجز بحد سيفه ..... لقد مضى قدما، لا يشبهه أحد..... يذبح البرابرة ويضرب "الريتينيين"، ويحضر أمراءهم كأسرى وعرباتهم المزركشة بالذهب مربوطة بخيولهم.[٣٦٨]

معركة مجدو: الحملة (الأولى)

أعلن تحوتمس الثالث بوضوح أن الهدف من قيامه بحملته الأولى في البلاد الآسيوية هو أن يقهر العدو الخسيس ويمد الحدود المصرية تنفيذا لوصية ورغبة أبيه الإله "أمون رع" وكان جيشه يتراوح في العدد ما بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفا من الجنود معظمهم من المشاة.[٣٦٩]

خط سير المعركة:

في أواخر السنة الثانية والعشرين من حكم "تحوتمس الثالث" ظهر الملك على رأس جيشه مستعدا للنضال وفتح البلاد وإخضاع الممالك فزحف بجيشه متجها نحو البلاد الآسيوية مبتدئا من مدينة "ثارو" قرب مدينة القنطرة وهي آخر مدينة مصرية على حدود مصر الشمالية الشرقية.[٣٧٠] وقد ورد اسم "ثارو" في حوليات "تحتمس الثالث" بالكرنك بهذا الشكل [٣٧١] وكان ذلك حوالي التاسع عشر من أبريل سنة ١٤٧٩ ق. م فوصل إلى غزة في الثامن والعشرين من أبريل وهي على بعد مائة وستين ميلا من مدينة "ثارو" أي بعد مسيرة تسعة أيام وهذا التاريخ يوافق اليوم الرابع من شهر "بشنس" بعد مضي اثنتا وعشرون سنة على انتخاب "آمون" لتحوتمس الثالث على أن يكون ملكا لمصر بساحة الكرنك ذات العماد التي شيدها والده.[٣٧٢] تقول الحوليات: "في اليوم الخامس والعشرين من شهر برمودة في العام الثاني والعشرين من حكمه، تحرك جلالته من مدينة جالو (ثارو) في أولى غزوات النصر..... ليمد حدود مصر"[٣٧٣]

والمعروف عن "تحوتمس الثالث" أنه كان لا يألو جهدا في التآمر وبذل المساعي طويلا للجلوس على عرش مصر حتى بلغ غرضه. ولما كان هذا الملك نشيطا يقدر قيمة الزمن اختصر في مظاهر الاحتفال بمرور اثنين وعشرين عاما على تتويجه وعول على الاستمرار في الزحف شمالا في صباح اليوم التالي للاحتفال فسار محاذيا لـ "شبهللا" بالقرب من البحر مخترقا سهل "شارون" وقاصدا مدينة "يوحم" فوصل إليها في اليوم العاشر من شهر مايو من نفس السنة وضرب قبابه قربها وتبعد هذه المدينة عن غزة بنحو ثمانين ميلا أو تسعين وهي على المنحدرات الجنوبية لسلسلة جبال الكرمل. (شكل ٥٨)

---

368 جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٥، ص٢١٩.

369 احمد قدري، المرجع السابق، ص١٧؛

Breasted, ***ARE***, II, 1927, Parag, 407- 418, p. 17-180.

370 برستد، المرجع السابق، ص٢٣٥

371 - Gauthier, ***DG***.,Vol.II, p.15.

372 برستد، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

373 Petrie, op. cit., Vol. II, p. 104.

الجبهة المضادة:

في ذلك الوقت كانت القوات الآسيوية العاصية قد اجتمعت بقيادة ملك "قادش" وسارت جنوبا حتى آخر حدود حلفائها واحتلت حصن "مجدو" القوي الواقع في "يزريل" عند المنحدر الشمالي لجبال الكرمل، وجبل الكرمل هذا المستعرض الاتجاه أول حاجز منيع ضد القوات المصرية الزاحفة على آسيا ولابد أن ملك قادش علم بذلك فاتخذه أول خط دفاع له ومنه عرف أن هذا الملك كان ماهرا في الفنون الحربية وأصول المعارك. وهذا البيان هو أقدم ما ورد في التاريخ عن هذه المدينة. والمعروف أن "مجدو" هذه كانت مركزا حربيا منيعا لوقوعها بين سلسلتي جبال لبنان وإشرافها على الطريق الموصل مصر ببلاد العراق[٣٧٤] ولذلك أصبحت لهذه المدينة أهمية في تاريخ الشرق وأخذت تزداد على مر الدهور.

خطة الحرب:

وقد اعتبر "تحوتمس الثالث" كل هذه البلاد من أملاكه ولذا تكلم عنها قائلا: "لقد شرعت بلاد "الفنحو" الآسيوية تغزو بلادي ... " ومنه يستنتج أن "تحوتمس الثالث" زحف بجيوشه في بلاد موالية غير معارضة إلى جبال الكرمل وبعد ذلك سار على حذر فلما بلغ مدينة "يوحم" علم باجتماع جيوش أعدائه بمدينة "مجدو" فعقد مجلسا عسكريا من كبار ضباطه وتداولوا الأمر في أحسن الطرق الممكن اتباعها لعبور جبال الكرمل والوصول إلى سهل "يزريل" وكان أمامهم ثلاثة طرق تمكن الجيوش من عبور تلك المنطقة الجبلية، أولها يبدأ من "يوحم" ويتجه إلى مدينة "عرونة" مخترقا الجبل المذكور وواصلا إلى أبواب مجدو. وثانيها يتجه جنوبا مارا ببلدة "طناخ" على بعد خمسة أميال من الجنوب الشرقي لمجدو. وثالثها شمالي ذلك يمر مخترقا بلدة "زفتى" وينتهي بالشمال الغربي لمجدو، فاختار "تحوتمس الثالث" الطريق الأول لقصره أما ضباطه فأشاروا عليه باتباع أحد الطريقين الآخرين لأنهما أوسع من الأول قائلين: "إذا اتبعنا الطريق الأول في زحفنا أفلا تضطر خيولنا أن تسير فرادى وكذا جنودنا فتكون مقدمتنا مشتبكة مع الأعداء ومؤخرتنا لا تزال في عرونا؟".

ومن هنا يستنتج أن المصريين كانوا على معرفة كبيرة بمصاعب ذلك الطريق القصير ولكن "تحوتمس" لم يأبه لمشورتهم وأقسم أن يتبع هذا الطريق مخاطبا ضباطه بأنه قد صمم على تنفيذ فكره وهم أحرار في أن يوافقوه أو يخالفوه. بعد ذلك استعد واحتاط وزحف على "عرونة" في الثالث عشر من مايو. وخوفا من مفاجأة أعدائه له ورغبته في تشجيع جنوده قاد جيوشه قائلا: "سأسير أمامكم كي أظهر لكم الطريق فتقتفوا أثر قدمي". وتقع "عرونة" على جبل الكرمل ويصل إليها الإنسان من طريق ضيق وقد وصل إليها "تحوتمس الثالث" سالما وأمضى فيها الليلة الرابعة عشرة من شهر مايو ولابد أن جيوشه كانت منتشرة وقتئذ على الطريق الممتد بين "عرونة" و"يوحم".[٣٧٥] وبهذا يكون "تحتمس الثالث" قد تجنب أن يكون جيشه مرنيا من قبل العدو بالتحرك عبر ممر"عرونة" مختفين في الظلام وعسكروا وراء جرف عال ليتجنبوا أن يكشفهم أحد وذلك أيضا يسمح لهم بالهجوم على المدينة مفاجأة صاعقة للمدافعين.[٣٧٦]

وصف المعركة:

لما كان صباح اليوم الرابع عشر من مايو، الواحد والعشرين من شهر "بشنس"، عيد ظهور القمر، واصل زحفه لكنه سرعان ما التحم ببعض جنود أعدائه الذين كانوا لحسن الحظ قليلي العدد ولولا ذلك لفتكوا به لأنه كان منهوك القوى مبعثر الجنود على مدى الطريق الجبلي الضيق. في ذلك المكان أخذ الطريق يتسع فأخذ تحوتمس يوسع مقدمة جيشه أيضا وهناك شدد عليه ضباطه بأن ينتظر حيث هو حتى تصل وحدات جيشه التي لا تزال في "عرونة" وانتظر مقاوما أعدائه.

ولما كان عدد القوى المعادية قليلا لم يكتف المصريون بالمقاومة بل أخذ "تحوتمس" يزحف تدريجيا حتى إذا ما حل وقت الزوال كانت مقدمة جيشه قد بلغت سهل "يزريل". هذا هو أقدم جيش معروف للآن دخل هذا السهل

---

374 برستد، المرجع السابق، ص٢٣٥؛

Petrie, op. cit., Vol. II, p. 107

375 عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ١٨٩؛

Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 190

376 Bootright, D., "The Realities of Battle in New Kingdom", Oxford, 2009, p. 3.

التاريخي الذي أصبح منذ ذلك الوقت معتركا حربيا حتى عهد اللورد "إللنبي". ويلاحظ أن اللورد "إللنبي" أخذ في زحفه نفس الطريق الذي سار فيه "تحوتمس" وذلك عام ١٩١٨م لما سار بخياله خلف الجيش التركي الهارب.

وحوالي الساعة الواحدة مساء بلغ الجنود المصريون جنوبي "مجدو" بدون مقاومة عسكرية على شاطئ غدير "كينا" وهكذا خسر الآسيويون فرصة لاتقدر بثمن لأنهم كان في إمكانهم سحق المصريين تماما والظاهر أنهم كانوا على مسافة بعيدة في الجنوب الشرقي للمدينة وقتما كانت صفوف المصريين الرفيعة تتدفق من الجبل. ويستحيل علينا الآن أن نعرف موقع الأعداء بالضبط وقتئذ لكن المعروف إنه عندما التحمت مقدمات الجيشين في الجبال كان جناح الآسيويين الجنوبي في مدينة "طناخ" ظنا منهم بأن "تحوتمس" اتبع طريق هذه المدينة إلى "مجدو"، ولولا ذلك لاستحال على المصريين الانحدار من الجبال والوقوف جنوبي "مجدو". بعد ذلك طاف تحوتمس حول معسكره في سهل مجدو وأصدر أوامره إلى جميع قواته أن تستعد بسرعة وبنظام تام. أما الشعور المصري وقتئذ فقد كان بالغا أحسنه وكانت روح الحرب متأججة في الصدور.

وفي عصر ذلك اليوم (الرابع عشر من مايو) أو في مسائه اغتنم تحوتمس الثالث فرصة وجود الأعداء في الجانب الشرقي أو الجنوبي الشرقي من جيشه وزحف بجناحه الأيسر على الشمال الغربي لمجدو وهكذا حفظ لنفسه طريق الرجعة مارا ببلدة "زفتى" في حال هزيمته. أما إذا انتصر فهذا الطريق يمكنه من قطع خط الرجعة على أعدائه إذا حاولوا الفرار شمالا.

وفي فجر يوم الخامس عشر من مايو أمر "تحوتمس الثالث" جيشه بالزحف والهجوم على العدو فاعتلى عجلته البراقة المصنوعة من مزيج الذهب والفضة وسار في قلب جيشه، وكان جناحه الأيمن على تل جنوبي غدير "كينا" أما جناحه الأيسر فقد كان في الشمال الغربي لمجدو فأراد الآسيويون أن يحموا مدينتهم فألقوا قواتهم بين جيش "تحوتمس الثالث" و"مجدو" التي عززت طبعا تلك القوات بنجدات من عندها أيضا فانقض تحوتمس الثالث عليهم وهو في مقدمة جيشه بغيرة ملتهبة شاهرا سيفه متحمسا للنزال وأخذ يفتك بالأعداء ويصعق سكان الرتنو ويأسر أمراءهم أحياء ويغنم عجلاتهم المذهبة، وعلى إثر هذا الهجوم الأول تقهقر العدو وفر نحو "مجدو" مذعورا تاركا خيله وعجلاته وصار سكان المدينة ينتشلون جنودهم من ملابسهم لأن أبواب المدينة أقفلت وقتئذ فكان الأهالي يدلون ملابسهم لربط الجنود الفارين اللائذين إليهم وشدهم إلى داخل مجدو.

ومن المؤكد إنه لو استمر تحوتمس وقتئذ في الهجوم على أعدائه بسرعة لتمكن من الاستيلاء على "مجدو" ولكن جيشه شغلته الأسلاب والغنائم فتمكن بذلك ملك "قادش" اللعين وملك "مجدو" التعس من الدخول والتحصن في مجدو، وكانت جثث الأعداء ملقاة على الأرض كالسمك. وقد لبث جيش الظافر بعد تلك الغنائم وأقسامها. وهناك اتضح أن خيمة ملك قادش التي كان فيها ابنه أسرت أيضا فعم الفرح نفوس المصريين وانبروا لشكر آمون على النصر، ومن ذلك يتضح أن هزيمة الآسيويين كانت تامة حتى وقعت خيمة ملك قادش في أيدي المصريين فأحضروا أثاثها الثمين النفيس إلى فرعون.

ولكن "تحوتمس" لم تسره علامات النصر والابتهاج التي قام بها جيشه ولذلك خاطب قواته قائلا: "لو استمررتم في الهجوم واستوليتم على هذه المدينة لقدمتم اليوم قربانا عظيما لرع فرؤساء البلاد العاصية جميعا موجودون الآن داخل هذه المدينة (مجدو) ولذا فالاستيلاء عليها بمثابة الاستيلاء على ألف مدينة" ثم أصدر أمرا بحصار المدينة في الحال فقاسها الجنود المصريون من الخارج وطوقوها بسور من الشجر الأخضر الجميل ولبث الملك شرقي المدينة مشرفا على هذا العمل وقد سر من ذلك لأنه لما عاد إلى مصر باهى به قائلا أن آمون أعطاه جميع أعدائه الآسيويين من بلاد "جاهي" محاصرين في مدينة واحدة وأنه اصطادهم في تلك المدينة وطوقهم بسور منيع ولذلك لقبه المصريون "تحوتمس محاصر الآسيويين"، ثم أعطيت الأوامر الشديدة بمراقبة المدينة مراقبة دقيقة وبعدم السماح لأحد من أهلها بالاقتراب من جيوش فرعون إلا في حال تسليم نفسه أسيرا.

وباستمرار الحصار كان أمراء آسيا الذين لم يحضروا داخل مجدو يسلمون أنفسهم. ومكث المصريون في وادي "يزريل" مدة طويلة عاشوا في أثنائها على حبوب هذا الوادي ودسم أغنامه، أما الحال داخل مجدو فكانت على النقيض لأن المدينة أخذت على غرة ولم تستعد للحصار فضرب الجوع أطنابه ولم يعد المحاصرون قادرين على المقاومة حتى سلموا بعد بضعة أسابيع وتبين أن ملك قادش ليس ضمن الأسرى ووضع المصريون أسرته رهينة لاتقاء شره.

نتائج المعركة:

استولى المصريون على تسعمائة وأربع وعشرين عجلة حربية من ضمنها عجلتا ملك "قادش" وملك "مجدو"، وعلى ألفين ومائتين وثمانية وثلاثين حصانا، وعلى مائتي زرد منها زردا الملكين المذكورين، وقباب ملك قادش، وعلى ألفين من البهائم الكبيرة واثنين وعشرين ألفا وخمسمائة رأس من الغنم، وأثاث ملك قادش البديع وصولجانه الفضي، وتمثال فضي يحتمل أنه تمثال معبود هو تمثال لشخصه مصنوع من الأبنوس الملبس بالذهب واللازورد وكميات كبيرة من الذهب والفضة.

ولم يترك تحوتمس في خلال زحفه فرصة تمر إلا استخدمها في إخضاع البلاد المعادية شمالي مجدو فوصل إلى منحدرات لبنان الجنوبية حيث توجد الإمارة ذات المدن الثلاثة "ينوعام"، و"نوج"، و"حرنكرو"، وكانت تحت حكم ملك قادش فسلمت للمصريين بسرعة. ثم رأى الملك أن يشيد قلعة بتلك الجهة لصد أي تقدم جنوبي يحاوله ملك قادش، ولتأمين الطريق الذي بين سلسلتي جبال لبنان.[٣٧٧]

يرى "بوترايت" أن التركيز على السلب والحصول على الغنائم في موقعة "مجدو" أدى إلى خطأ تكتيكي ومكن العدو من إعادة تجميع قواته داخل أسوار مجدو. وأن الحفاظ على التحكم في الجيش في المعركة لابد وأنه كان صعبا جدا في العالم القديم بينما كان التدريب وتنظيم المعركة من المتوقع أن يحافظ على تنظيم الجنود في الصف.[٣٧٨]

الحملة الثانية: (لا تعتبر معركة حربية)

كان الهدف من هذه الحملة هو استعراض قوة مصر العسكرية[٣٧٩] فلم تكن حملة "تحوتمس الثالث" الأولى مع شدتها كافية للقضاء على قادش عدوه اللدود لذلك فضل أن ينظم ويحمي ما أخضعه من بلاد آسيا أولا ثم يزحف ثانية على أعدائه. وفي السنة الرابعة والعشرين من حكمه زحف بجيوشه الجرارة على آسيا سائرا في الطريق المنحني الطويل مخترقا شمالي فلسطين وجنوبي سوريا فتقاطر عليه حكام تلك الجهات مظهرين له ولاءهم وخضوعهم وكانت أخبار نصره الأولى قد بلغت "آشور" التي كانت وقتئذ في عنفوان شبابها فرأى ملكها أن الأصوب له معاملة الإمبراطورية المصرية بالحسنى فأرسل لتحوتمس الثالث حال وصوله إلى سوريا هدايا عظيمة من الأحجار الكريمة والخيل المطهمة فاعتبرها المصريون جزية إشارة إلى ولاء آشور لمصر والمرجح أن هذه الحملة لم تقع فيها وقائع حربية.

الحملة الثالثة: (لا تعتبر معركة حربية)

في السنة التالية وهي السنة الخامسة والعشرين من حكم "تحوتمس الثالث"، ذهب إلى بلاد آسيا وجعل همه تنظيم أملاكه فيها واعتبرت فيما بعد النصف الجنوبي لامبراطوريته المقبلة، أما الجزء الشمالي فكان لا يزال عاصيا.[٣٨٠] وفي هذه الحملة نراه وقد عاد بنباتات وحيوانات آسيوية سجل أشكالها على جدران إحدى حجرات معبد الكرنك.[٣٨١]

الحملة الرابعة: (لا تعتبر معركة حربية)

يستدل من قرائن الأحوال أن هذه الحملة وجهت للغرض نفسه الذي ذهب لأجله في حملاته الثلاثة السابقة، واتضح لتحوتمس وقتئذ أن غزو قادش عن الطريق الواقع بين سلسلتي جبال لبنان يعرضه للخطر إذا لم يخضع أولا بلاد فينيقيا التي على ساحل البحر المتوسط، كما أنه تأكد أن أنه يستحيل عليه غزو أرض النهرين قبل أن يخضع

---

377 برستد، المرجع السابق، ص٢٣٦- ٢٤٠، إرمان؛ المرجع السابق، ص٦٠٧؛
Petrie, op. cit., Vol. II, p. 108- 110

378 Bootright, op. cit., p. 3.

379 عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ١٩٢.

380 برستد، المرجع نفسه، ص٢٤٢- ٢٤٤

381 عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص ١٩٢،
Petrie, Ibid., II, p. 101.

قادش المسيطرة على وادي نهر العاصي ولذلك قام بعدة غزوات على شاطئ البحر الشمالي ليتخذه في المستقبل قاعدة حربية في حروبه مع قادش ومتى نجح في ذلك سهل عليه الزحف شمالا من الشاطئ على بلاد ميتاني وإقليم النهرين جميعه. وقد جهز لذلك أسطولا تحت قيادة القائد الأمين "نيبامون" الذي خدم "تحوتمس الأول" سابقا.

الحملة الخامسة:

في السنة التاسعة والعشرين عزم الملك "تحوتمس الثالث" على القيام بحملته الخامسة فابحر بأسطوله الضخم متجها إلى المدن الشمالية على شاطئ فينيقيا الغني لأول مرة في حياته، ولابد أنه قد نقل معداته الحربية وجنوده على أسطوله لأنه بدأ بأعماله الحربية في فينيقيا قبل أن يخضع "قادش" وجنوبي تلك البلاد ولا يبعد أنه قد توصل إلى النزول على شاطئ "فينيقيا" الشمالي باتفاق ودي سابق مع مدينة "صور".

وقد استولى "تحوتمس" أولا على مدينة غنية على الشاطئ مقابل "تونب" وغنم منها غنائم كثيرة. في ذلك الوقت أيقنت المدن الداخلية للبلاد أن نجاح هذه الضربة معناه دمارهم وهلاكهم فبادر أهلها بإرسال القوات والمدد لمحاربة المصريين وكانت مدينة "تونب" أول من قام بذلك، أما "تحوتمس الثالث" فاستولى أولا على أسطول المدينة التي أوقعها ثم زحف مسرعا بجيشه إلى الجنوب نحو مدينة "أرواد" المنيعة فحاصرها مدة يسيرة اضطر في أثنائها أن يجتث الأشجار المحيطة بها من جذورها فسلمت له بعد مدة يسيرة ثم استولى على خيراتها الجزيلة. ثم تقدم حكام مدن شاطئ "فينيقيا" مظهرين الخضوع والولاء لتحوتمس وفي أيديهم الجزية. وهكذا استولى "تحوتمس الثالث" على جزء من شاطئ "فينيقيا" الشمالي الذي اتخذه فيما بعد قاعدة حربية لغزو البلاد المجاورة، ثم عاد إلى مصر بحرا.

الحملة السادسة:

بعد أن قام المصريون بتمهيد السبل، أعدت الوسائل لغزو "قادش" لأن الملك "تحوتمس الثالث" كان قد أخضع البلاد الجنوبية تماما، وكذا الجزء الشمالي للشاطئ البحري نتيجة غزواته الخمسة السابقة، وعليه صمم فقد تحوتمس على القيام بغزوة سادسة يسحق فيها ملك قادش عدوه اللدود.

خط سير الحملة:

في السنة الثلاثين من حكمه سافر "تحوتمس الثالث" بحرا إلى فينيقيا فوصل إليها في أواخر الربيع أي بعد موسم المطر وأنزل جنده في "صميره" على فم النهر الكبير ثم زحف في هذا الوادي متجها رأسا نحو قادش لأن هذا الطريق أقصر وأسهل طرق قادش من ساحل فينيقيا الشمالي، بالإضافة إلى أنه الطريق الوحيد الصالح للإجراءات الحربية واختراق المنطقة الجبلية إلى "قادش" وهي تقع غربي نهر "العاصي" في الطرف الشمالي للوادي الذي هو بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية معرجة في السهل الذي هو بالجنوب الشرقي للمدينة.

ويتفرع من نهر "العاصي" غربا فرع صغير شمالي "قادش" وملاصق لها تماما ولذلك كانت هذه المدينة تقع بين ملتقى هذين النهرين، وكانت هناك قناة أيام "تحوتمس الثالث" ما تزال آثارها باقية للآن تصل هذين النهرين ببعضهما وتكمل الحلقة المائية حول "قادش"، كان هناك أيضا خندق داخل هذه الحلقة المائية يحيط بالمدينة ويجعلها حصنا منيعا لا نظير له في سوريا رغم وقوعه في سهل مسطح.

خطة الحرب:

للأسباب السابقة يتضح أن الاستيلاء على قادش كان أمرا صعبا. وقد اتبع "تحوتمس" مع "قادش" الطريقة نفسها التي استعملها مع "مجدو" وتتلخص في قطع الأشجار من الغابات وتشييد سور محكم حول المدينة لحصارها ومراقبة جيشه لها من الخارج مستمدا غذاءه من خيرات حقولها المجاورة، وقد استغرق هذا الحصار فصل الربيع حتى زمن الحصاد.

وصف المعركة:

هاجم المصريون المدينة أكثر من مرة لأن القائد المصري "أمنمحب" روى ما قام به من أعمال مع تحوتمس وقت حصاره لقادش فقال إنه أسر أميرين من هذه المدينة فكافأه تحوتمس على ذلك أمام الجيش بمنحتين إحداهما سبع مصنوع من الذهب الخالص، وثانيتهما ذبابتان، علاوة على أدوات ثمينة أخرى. ولما طال حصار "قادش" ظن أهالي شاطئ "فينيقيا" أن "تحوتمس الثالث" قد هزم فامتنعت "أرواد" عن دفع الجزية، فلما سقطت "قادش" أسرع "تحوتمس" بجيشه إلى "صميره" وأسرع توا إلى "أرواد" ليوقع عليها العقاب. ولما حل فصل المطر عاد "تحوتمس" إلى "طيبة" مصطحبا بعض أبناء الملوك والحكام لشمالي سوريا ليعلمهم بطيبة كما فعل سابقا مع أبناء الحكام لمستعمرات آسيا الجنوبية.[٣٨٢]

حملات العام الثاني والثلاثين (السابعة):

أمضى "تحوتمس الثالث" سنته التالية في قمع كل حركة انفصالية تقوم بها بلاد "فينيقيا" ورغما عن وجود الجيوش المصرية بمدينة "صميره" إلا أن ميناء "أولازا" القريبة منها قد شقت عصا الطاعة والسبب في ذلك أن ملك "تونب" أرسل نجليه إليها ليحرضها على مناوأة المصريين.

وصف الحملة:

وصل "تحوتمس" إلى ذلك الميناء في السابع والعشرين من أبريل وأخضعه بسرعة وأسر أحد أنجال ملك "تونب". وسافر تحوتمس على مهل من ميناء إلى أخرى منظما الإدارة ومظهرا سلطته وقوته باذلا همته بأن تكون جميع المرافئ مزودة بالأغذية في السنة المقبلة لأنه عزم على غزو بلاد النهرين.[٣٨٣]

الحملة الثامنة:

في هذه الحملة ارتأى تحتمس أن ينفذ خطة قديمة كانت تستحوذ على تفكيره، ذلك أن "تحوتمس الأول" كان قد وصل إلى نهر الفرات فأراد أن يصل هو إلى أبعد مما وصل إليه سلفه فأعد لهذه الحملة عديد من السفن ليعبر بها النهر مخترقا طريق "جبيل"، "قطنه"، "تونيب"، ثم "قرقميش".[٣٨٤] تضمنت هذه الحملة أربع معارك حتى وصل "تحوتمس الثالث" إلى نهر الفرات.

معركة ضد أهل مدينة "سنجار":

تطلبت الاستعدادات الحربية التي اتخذها "تحوتمس الثالث" لغزو بلاد النهرين سنة كاملة بعد رجوعه إلى مصر فتأخر لذلك إلى ربيع السنة الثالثة والثلاثين من حكمه، وحينئذ سافر بحرا مع جنده حتى وصل إلى ميناء "صميره" فانزل بها قواته. بعد ذلك زحف في داخلية البلاد للمرة الثانية متبعا طريق "قادش" ثم اتجه شمالا واستولى على مدينة "حمص" وسار متبعا نهر العاصي حتى وصل إلى مدينة "سنجار" حيث حارب أهلها واستولى على المدينة.

معركتان في الطريق إلى بلاد النهرين:

يبدو أن "تحوتمس" كان قد غادر نهر "العاصي" واتجه مسرعا إلى بلاد النهرين لكنه اشتبك هناك مع قوة معارضة في معركة بسيطة أسر فيها "أمنمحب" ثلاثة أسرى ثم سار الملك بدون معارضة تذكر حتى وصل إلى تل "وان" غربي مدينة "حلب" فاشتبك هناك في معركة كبيرة أسر فيها "أمنمحب" ثلاثة عشر أسيرا لكل منهم رمح من البرونز المطعم بالذهب، ويستنتج من ذلك أن هؤلاء الجنود هم من حرس ملك "حلب" الخاص. واستولى

---

382 برستد، المرجع السابق، ص٢٤٤- ٢٤٦؛ عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص ١٩٢؛
Petrie, op.cit., II, p. 102.

383 برستد، المرجع نفسه، ص٢٤٧.

384 عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص١٩٣.

"تحوتمس" على "حلب" وسار بسرعة إلى الأمام حتى بلغ أرض النهرين فاستولى على مدنها وأتلف أماكنها، وقد كانت هذه البلاد تحت سلطة ملك "ميتاني".

معركة في "كارشميش":

بعد ذلك عرج "تحوتمس الثالث" شمالا حتى وصل إلى مدينة "كارشميش" فالتحمت جنوده هناك بجنود ملك "ميتاني" في معركة شديدة انتهت بهزيمة "ميتاني" هزيمة تامة ففر جنودها هاربين غير ناظرين وراءهم، وأخيرا تحقق ما كانت تصبو إليه نفس تحوتمس الثالث بعد حرب دامت عشر سنين فقد وصل آخرها إلى نهر الفرات ثم عبره ودخل بلاد "ميتاني"، وقد نصب هناك أثرا حجريا أظهر فيه حدود مملكته.[٣٨٥]

ثم اتضح لتحوتمس أن كل توغل في تلك الجهات يستلزم تمضية فصل الشتاء فيها لكنه كان في الوقت نفسه شديد الحرص على جنده فلم يشأ أن يعرضهم لبرد تلك البلاد فيخسرهم بعد أن كانوا مدربين على الحرب، لذلك رجع إلى شاطئ الفرات الغربي سالما ونصب هناك لوحا أثريا بجوار لوح "تحوتمس الأول". ولما آن الوقت وحصدت الجيوش المصرية زرع وادي الفرات اضطر تحوتمس إلى أن يعود إلى وطنه لكنه قبل أن يقوم بذلك قام بمأمورية شاقة بجهة مدينة "ني" العاصية التي كانت تهدد أعماله في الفرات فتقدم إليها متبعا مجرى النهر واستولى عليها بدون صعوبة.

الحملة التاسعة:

لم يكن وصول الجيوش المصرية إلى الفرات كافيا لإخضاعه على مدى الزمان، لذلك صمم "تحوتمس" في السنة الرابعة والثلاثين من حكمه على أن يغزو تلك الجهات مرة ثانية. وكان القصد من هذه الحملة هو استعراض قوة مصر لكي يؤمن الجهات التي قام بغزوها.[٣٨٦]

وصف الحملة:

وصل "تحوتمس الثالث" إلى سوريا في ربيع تلك السنة للقيام بحملته التاسعة والظاهر أنه حصلت هناك بعض المشاكسات الموضعية لأنه استولى وقتئذ على ثلاث مدن في قسم "نوج" وهو المكان الذي شيد فيه حصنا في نهاية حملته الأولى فأسرع حكام سورية إليه مظهرين ولاءهم ومحضرين الجزية الثمينة. وقد زودت الموانى البحرية الأسطول المصري بسفن كثيرة وقلاع وغير ذلك من الأدوات اللازمة لإصلاح ما يطرأ على السفن من العطب.

وامتازت جزية هذه السنة باشتمالها على مائة وثماني سبائك من النحاس تقرب زنة كل منها أربعة أرطال علاوة على كميات عظيمة أخرى من الرصاص والأحجار الكريمة أرسلها ملك "قبرص" الذي لم يسبق له أن اعترف بسلطة "تحوتمس" بهذه الكيفية. وفي هذه السنة أيضا امتدت سلطة "تحوتمس الثالث" جنوبا فأسر ابن حاكم قسم "إيرم" المتاخم للصومال وحفظه بمصر رهينة. وهكذا امتدت سلطة تحوتمس من الشلال الثالث حتى نهر الفرات.[٣٨٧]

الحملة العاشرة:

أسباب الحملة:

بعد الحملة التاسعة كان "تحوتمس" قد امتنع عن الذهاب لتلك البلاد لمدة سنتين فشق الأهالي عصا الطاعة وانضم إليهم حكام تلك الجهات كأمير "حلب" وملك "ميتاني"، برياسة حاكم "حلب" الذي ورد ذكره في نصوص "تحوتمس الثالث" بأنه "قائد النهرين الخسيس" وكبرت الفتنة فامتدت إلى أقاصي البلاد الشمالية المعروفة بـ

---

385 برستد، المرجع السابق، ص٢٤٧- ٢٤٩؛ عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق ، ص ١٩٣.
386 برستد، المرجع نفسه، ص٢٤٩، نور الدين، المرجع نفسه، نفس الصفحة.
387 برستد، المرجع نفسه، ص٢٥٦- ٢٥٧

"آخر حدود الأرض" وهو الحد الذي تنتهي عنده معرفة المصريين للعالم. فعزم الملك "تحوتمس الثالث" على القام بتاديب هؤلاء الأمراء الذين فكروا في الخروج عن طاعته ونجح "تحوتمس" في تحقيق ما كان يهدف إليه.[٣٨٨]

وصف المعركة:

كان "تحوتمس" يجدد دائما استعداداته الحربية ولذلك تمكن من الوصول إلى بلاد النهرين في ربيع السنة الخامسة والثلاثين من حكمه فاصطدم هناك مع جيوش أعدائه جهة "أرينا" المجهولة لنا والتي هي غالبا أسفل وادي نهر العاصي وهجم الملك على أعدائه ففروا مذعورين ثم سقط أمامه الواحد بعد الآخر. عننذ انكسرت شوكة بلاد النهرين واستسلمت لسلطة فرعون فلم تبد حراكا لمدة سبع سنوات.

الحملتان الحادية عشرة والثانية عشرة:

لم يهتد الباحثون حتى الآن إلى أخبار السنتين التاليتين لهذه السنة من حكم الملك "تحوتمس الثالث" ولذلك لا يزال السبب مجهولا للحملتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

الحملة الثالثة عشرة:

لما كانت السنة الثانية والثلاثون من حكم "تحوتمس الثالث" ظهر في لبنان معاقبا إقليم "نوج" الذي ذاق بطشه منذ خمس عشرة سنة، ووصلت إلى الملك في هذه الغزوة هدية من ملك قبرص وأخرى من إقليم سحيق يقال له "أراباخيتيس" صار فيما بعد أحد أقاليم مملكة آشور.[٣٨٩]

الحملة الرابعة عشرة ومعركة النقب:

وفي السنة التالية اضطر الملك إلى أن يذهب إلى جنوبي فلسطين ثانية ليعاقب البدو وهناك أسر "أمنمحب" ثلاثة أسرى في معركة جهة "النقب" وأمضى الملك بقية حملته الرابعة عشرة بسوريا للمراقبة وأرسل أوامره في هاتين السنتين أن تبقى الموانى مزودة بما يلزم جيشه وأسطوله من المعدات وقت حدوث اضطراب فجائي داخلي، والغالب أن هذه البلاد استمرت تدفع جزيتها بدون عناء في السنتين الأربعين والحادية والأربعين من حكمه.

الحملة السابعة عشرة:

استمر أمراء سوريا يشاكسون مملكة النيل ولا يعترفون لها عليهم بسلطة أبدية واتحدوا معا لإحداث ثورة عارمة بتأثير ملك قادش فانضم إليهم أهالي بلاد النهرين وأخصهم أمير "تونب" وكذا بلاد الشواطئ الشمالية.

وصف الحملة:

في ذلك الوقت كان تحوتمس يناهز اثنتين وسبعين سنة من عمره ومع هذا سرعان ما وصل إلى مرافئ سوريا الشمالية كعادته وذلك في ربيع السنة الثانية والأربعين من حكمه وكان همه وقتها مواجهة قادش كما فعل في حملته الأولى لكنه لم يزحف عليها من الجانب الجنوبي كسابق عهده بل حاصرها شمالا قاطعا بذلك طريق مواصلاتها مع البلاد الشمالية جميعا.

---

388 عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق ، ص١٩٤.
389 برستد، المرجع السابق ، ص٢٥٦- ٢٥٧

معركة مع ملك قادش:

صمم "تحوتمس" أن يستولي على "تونب" أولا وتفصيل ذلك أن الملك أنزل جنوده على الشاطئ بين نهر العاصي والنهر الكبير ثم استولى على ميناء "أركاتو" في تلك الجهة، والغالب أن هذا الميناء يقابل "تونب"، ثم استولى على تونب بعد مقاومة قصيرة ومكث هناك حتى زمن الحصاد ثم زحف على قادش متبعا نهر العاصي بدون مقاومة مبيدا مدن ذلك الإقليم فلما علم بذلك ملك "قادش" أيقن أنه إذا لم يقاوم "تحوتمس" مقاومة اليائس المستبسل هلك هو وجيشه لا محالة فهجم على المصريين أمام قادش مستعملا سياسة الخدعة. وتفصيل ذلك أنه أرسل فرسا أمام عجلات المصريين لتهيج خيلها فيضطرب بذلك نظام خطوط فرعون فيتمكن ملك "قادش" من اختراقها، لكن "أمنمحب" فطن إلى هذه المكيدة فقفز من عجلته شاهرا سيفه بيده وهجم على الفرس فقتلها وقطع ذيلها وأهداه إلى فرعون.

بعد ذلك اقتربت خطوط دفاع "تحوتمس" وضيقت الحصار على المدينة تدريجيا ثم صدر إليها الأمر بالهجوم على "قادش" فعهد الملك إلى صفوة رجاله بهدم أجزاء من سور المدينة بقيادة "أمنمحب"، فقاموا بهذه المهمة خير قيام وهدموا جزء من سور المدينة تدفقت منه القوات المصرية. وبذلك خضعت أقوى مدن سوريا لسلطة فرعون مصر وسقطت تحت موطئ قدميه وكان هذا الفوز كافيا ليسط نفوذ فرعون على الممالك الآسيوية مرة ثانية ومنذ ذلك الوقت لم يتجاسر حاكم آسيوي أن يشق عصا الطاعة على "تحوتمس الثالث" طوال حياته.[390]

في عهد الملك "أمنحتب الثاني":

معركة في "شمش إدوم":

في السنة الأخيرة من حكم تحوتمس الثالث أشرك معه في الحكم ابنه "أمنحتب الثاني"، فلما توفي تحوتمس وبلغ بلاد آسيا خبر وفاته شقت عصا الطاعة على مصر رغبة منها في التخلص من الجزية، فهبت في وجه "أمنحتب" تلك الثورة المتجمعة الشاملة لبلاد النهرين و"ميتاني" وشمالي "فينيقيا"، لكن "أمنحتب الثاني" واجه ذلك الخطر ببسالة ونخوة ورثهما عن والده فاستقر رأيه على الزحف على آسيا وإخضاع أعدائه متحدين وكسر جيوشهم الجرارة. أما جنوبي فلسطين فلم يجرؤ على الثورة.[391]

وصف المعركة:

بدأ أمنحتب الثاني بزحفه في أبريل عام ١٤٤٧ ق.م في السنة الثانية لحكمه فبلغ شمالي فلسطين في أوائل مايو وهناك التحم بجيوش أعدائه وحاربهم بجهة "شمش إدوم" وكانوا وقتئذ بقيادة أمراء لبنان. واتبع الملك سياسة والده فقاد جيوشه بنفسه فلما اشتبك القتال اشترك فيه شخصيا فأسر ثمانية عشر أسيرا وستة عشر حصانا وانتهت المعركة بهزيمة أعدائه هزيمة تامة.

معركة صغيرة مع مقدمة قوات النهرين:

وفي اليوم الثاني عشر من شهر مايو عبر الملك لآخر مرة في حكمه نهر العاصي متجها شمالا نحو "زنزار" غالبا، ميمما شرقا وشمالا نحو الفرات ثم عبره إلى حيث اشتبك في معركة صغيرة مع مقدمة قوات النهرين، ثم توغل في البلاد وأسر سبعة أمراء من أرض "تخسي" وبلغ مدينة "ني" في السادس والعشرين من شهر مايو أي بعد عبور العاصي بأربعة عشر يوما فوجد المدينة مفتحة الأبواب ووقف رجالها ونساؤها على جدرانها يحيونه بالنصر. وبعد ذلك بعشرة أيام أي في اليوم الخامس من يونيو أنقذ قوة مصرية من الوقوع في خديعة أمير بلدة "إكاثي" وأوقع عليه وعلى أهل بلده عقابا صارما، وقد أتى إليه أمراء ميتاني حاملين جزيتهم على ظهورهم ليسمح لهم

---

390 برستد، المرجع السابق ، ص٢٥٧- ٢٥٨

391 برستد، المرجع نفسه، ص٢٦٤؛ إرمان، المرجع السابق ، ص٦٠٨.

بالبقاء أحياء. ولما بلغ أقصى تلك الجهات الشمالية نصب فيه حجرا أثريا كما فعل أبوه وجده من قبل، ثم عاد إلى منف فقابله المصريون باحتفال بهيج .[392]

تصوير المعركة:

صور الملك "أمنحتب الثاني"على لوح جرانيتي عثر عليه في الصرح الثالث وموجود حاليا بالمتحف المصري وهو يرفع سيفه المعقوف ليهوي به على رأس عدو لا يظهر في النقش.[393] كما عثر على نقش على أحد الأختام موجود الآن في متحف اللوفر يصور الملك في عجلته الحربية يسدد سهما نحو أعدائه الذين يسقطون تحت سنابك الخيل ونقش آخر كبير على لوحة حجرية توجد الآن في المتحف المصري JE 36360 ويقع هذا النقش في مستويين، الأول العلوي يصور في منظرين متجاورين الملك "أمنتحتب الثاني" يهوي بسيفه المعقوف على رأس أحد الأسرى وفي المنظر المجاور يقدم الملك للمعبود "آمون" صفين من الأسرى.

وفي المستوى الثاني السفلي يوجد منظران متجاوران أيضا، من اليسار الملك "أمنحتب الثاني" يقوم بتقييد أسيرين، وفي يمين المنظر يظهر الملك في عجلته الحربية وقد أجلس ثلاثا من الأسرى على ظهر جواده والأسرى الآخرون مقيدون بالحبال خلف العجلة الحربية وبجوارها وتظلل المعبودة "نخبت" بجناحيها رأس الملك في المناظر الأربع ويبلغ عدد الأسرى في المستوى العلوي خمسة عشر أسيرا وفي المستوى السفلي اثنا عشر أسيرا فقط.[394] (شكل ٥٩، ٦٠)

في عهد الملك "تحوتمس الرابع":

الغزوة الأولى:

في بداية حكم "تحوتمس الرابع" شبت في آسيا ثورة استدعت ذهابه ولا يزال كثير من أخبار هذه الغزوة مجهولا وقد لقبها بالغزوة الأولى جريا على عادة والده. وتدل نقوش جدران معبد آمون بطيبة أنه اضطر أن يذهب شمالا إلى بلاد النهرين وأنه أخذ جزية عظيمة من ملك تلك المستعمرات والظاهر أن مجرد شخوصه فيها كان كافيا لإخضاع الأمراء الثائرين وقتئذ. وقد رجع عن طريق لبنان وأمر حكام تلك الجهات أن يجمعوا كمية كبيرة من خشب الأرز ثم شحنها إلى طيبة ليبني منها سفينة مقدسة للمعبود آمون. في ذلك الوقت أخذ نفوذ "خيتا" يكبر تدريجيا وصارت معادية لمصر ولمملكة "ميتاني" ومن ثم اتحدت المملكتان الأخيرتان لمناوأة "خيتا".[395]

تصوير المعركة:

وجد سوار من العاج للملك "تحتمس الرابع"، موجود الآن بمتحف برلين، صور عليه الملك يهوي بسيفه المعقوف على رأس أحد الأعداء.[396] كما وجد منظرا مزدوجا للملك على جانبي عجلته الحربية المصنوعة من الخشب المغطى بالجص والتي عثر عليها بمقبرته بوادي الملوك وموجودة حاليا بالمتحف المصري CG. 46097 ، على الجانب الأيمن للعجلة الحربية صور الملك "تحتمس الرابع" في عجلته الحربية يسدد سهما نحو جيش من الآسيويين الذين أصابتهم جميعا سهام الملك في أجزاء مختلفة من أجسادهم، وكذلك خيول عجلاتهم الحربية أصابتها سهام الملك ومنهم من يمسك بقوسه ودرعه وكثير منهم قد ألقى درعه وكنانته وقوسه ويعلو الملك المعبودة "نخبت" وقد ظللت الملك بجناحيها لذلك فهو لا يحتاج لقائد عربة أو جندي يحمل درعا.

---

392 برستد، المرجع السابق، ص٢٦٤، ٢٦٥

393 مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق ، ص١٤٧.

394 المرجع نفسه، ص ١٤٨؛

Abdel- Hamid Zayed, Une representation inedited des campagne d'Amenophis II, ***IFAO***, 1985, p. 5-17

395 برستد، المرجع نفسه، ص٢٦٧، ٢٦٨

396 مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

ويتكرر المنظر على الجانب الأيسر للعجلة الحربية وهنا يسدد الملك سهامه من اليمين إلى اليسار وهو قد سدد سهامه بالفعل إذ نرى هذه السهام في أجساد أعدائه وهو يمسك بقوسه في يده اليمنى وفي نفس الوقت يقبض على شعر أسيرين أحدهما يمسك درعه المستطيل والثاني يمسك بخنجر ويرفع الملك يده اليسرى ممسكا بفأسه ويهوي به على رأس الأسيرين يظلله جناحا المعبودة "نخبت" وقد سقط أسفل عجلته وتحت سنابك الخيل كثير من الأسرى الذين أصابتهم سهامه.(شكل ٦١، ٦٢)

وعلى الجانب الأيسر للعجلة من الداخل هناك نقش يصور الملك في صورة أسد برأس آدمية وفوق رأسه تاج الآتف وكل حافر من حافريه الأماميين وكذلك الحافر الخلفي الأيسر قابض على رأس أسير من الآسيويين، اثنين من الثلاثة بغطاء رأس نصف مستدير. ويحمي الملك من الخلف المعبود "مونتو" وقد فرد جناحيه يحتوي بهما جسم الملك وفوق ظهر الملك من الخلف مروحة من الريش تعلوها نحلة قد بسطت جناحيها وأمسكت بقدميها الأماميتين قرص الشمس وبين قدميها الخلفيتين خرطوش ملكي خال من اسم الملك والأسرى الثلاث يرتدون غطاء رأس نصف دائري ولحاهم طويلة وينتمون جميعهم إلى بلد أجنبي واحد وهو "شتا" الشمالية.[٣٩٧] (شكل ٦٣)

السلام مع "ميتاني"، و"بابل":

كانت "ميتاني" تشعر بسلطة "خيتا" أكثر من مصر لقربها منها بالإضافة إلى أن "تحوتمس الرابع" رأى أن من مصلحته أن يحالف صديقا له في الجهات الشمالية فأرسل إلى ملك "ميتاني" ملتمسا منه إرسال كريمته ليقترن بها فتردد الأخير قليلا ثم رضي في آخر الأمر وأرسل كريمته إلى مصر حيث لقبت "موت إمويا" وقد صارت فيما بعد أم "أمنحتب الثالث" الذي خلف "تحوتمس الرابع" في الحكم.

بهذه الوسيلة تمكن "تحوتمس الرابع" من عقد معاهدة ثابتة مع "ميتاني" ويلاحظ أن هذه المعاهدة منعت مصر من غزو بلاد شرقي نهر الفرات بسبب موقع ميتاني الجغرافي. بعد ذلك عقد تحوتمس الرابع محالفة صداقة كالسابقة مع بابل، والمعروف أن أحوال آسيا وقتئذ لم تتطلب القيام بغزوات حربية ولكن تحوتمس الرابع مع ذلك لقب نفسه بفاتح سوريا، وكانت جزية سورية ترسل كل سنة إلى مصر وتسلم إلى رئيس المالية بمكتبه.

معركة في "ووات":

في عهد الملك "تحتمس الرابع" وفي ربيع السنة الثامنة لحكمه حدثت ثورة بالنوبة فسار إليها في جيشه مارا بالمعابد في طريقه محييا آلهتها حتى وصل إلى منطقة الشلال الأول ثم زحف بعد ذلك إلى بلاد "الواوات" فدهش عندما وجد جيوش العدو بجوار حدود النوبة الشمالية فالتحم بها وهزمها شر هزيمة ثم استولى على كميات عظيمة من الغنائم الحربية، وأرسل الأسرى إلى معبده ليخدموا فيه.[٣٩٨]

وهناك مخطوط طويل منقوش على صخور "كونوسو" يصف فيه "تحتمس الرابع" كيف أنه تلقى وحيا أمره بالقيام بحملة ضد ثوار النوبة المتمردين وكيف أنه نفذ هذه التعليمات حسب إرادة الآلهة، " ..... وبعد هذه الأشياء مضى جلالته للإطاحة بالزنوج في النوبة، قويا في موكبه المنتصر معه مثل "رع" حينما يظهر في موكبه السماوي، ..... وكان جيشه على كلا الشاطئين..... وكانت السفينة مزودة بالخدم عندما كان الملك يمضي في موكبه في النيل مثل "أوريون"(صياد أسطوري)، وأنار الجنوب بجماله، كان الرجال يسبحون بحنوه وعطفه، والنساء يرقصن ..... لقد ملأ الخوف والرعب قلب كل شخص ..... إن "رع" هو الذي ألقى الرعب منه في قلوب الناس في البلاد مثل "سخمت" في سنة الطل والندى..... لقد سار جلالته خلال المرتفعات الشرقية وكان يعبر الطرقات مثل الثعلب".[٣٩٩]

---

[397] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق ، ص١٤٨، ١٤٩؛
H. Carter & P.E. Newberry, The Tomb of Thoutmosis IV, London, 1904, p.27, 28.

[398] برستد، المرجع السابق ، ص٢٦٧، ٢٦٨

[399] جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٥، ص ٣٣- ٣٥.

في عهد الملك "أمنحتب الثالث":

عكست نصوص "أنشودة النصر" للملك :أمنحتب الثالث" على لسان "آمون رع" على لوحة له من الجرانيت بمعبده في "صولب" انتصاراته وسيطرته على أعداء مصر التقليديين في آسيا والنوبة وإشارة إلى التحنو وسيطرته عليهم.[٤٠٠]

حملة على "كوش":

ذكرت أخبار هذه الحملة في مخطوط نقش على صخور "كونوسو": "السنة الخامسة، عاد جلالته بعد أن انتصر في حملته الأولى المظفرة في بلاد "كوش" التعس" ، "وقد وسع الملك حدود بلاده إلى المدى الذي كان يبتغيه والذي وصل إلى الأعمدة الأربعة التي تحمل السماء، كما أقام لوحة الانتصارات حتى "بركة حورس" ..... وليس هناك ملك من ملوك مصر استطاع أن يفعل ما فعله إلى جانب جلالته القوي الشكيمة، الراضي بانتصاراته، وهو "نب ماعت رع"، أمنحتب الثالث.[٤٠١]

ويحمل مخطوط "أمنحتب الثالث" في أسوان قصة سحق الثورة في النوبة ويظهر الجزء العلوي للوحة الحجرية "أمنحتب" وهو يدوس على رجل آسيوي ويضرب اثنين من الزنوج ويقف "آمون" و"خنوم" أمامه، أما "بتاح" فإنه يقف وراءه. ويمضي المخطوط بعد إيراد اسم "أمنحتب الثالث": "جاء أحدهم ليقول لجلالته: إن العدو التعس، كوش، قد خطط في قلبه لثورة، ومضى جلالته حتى حقق النصر الذي تم له في حملته المظفرة. إن هذا العدو لم يعرف ذلك الأسد الذي كان أمامه، "نب ماعت" الذي له عينان نفاذتان كعيني الأسد، قد ألقى القبض على "كوش"، وقد أطيح بالزعماء القبليين في وديانهم مضرجين بالدماء، الواحد فوق الآخر.[٤٠٢]

وقد عثر على نقش على لوحة في "سمنة" على الجانب الشرقي للنيل عند الشلال الثاني، وهو يمثل الحدود الطبيعية لمصر في النوبة، النقش يسجل أخبار حملة حربية ضد شعب "ابهت" Ibhet وهي منطقة ربما كانت تقع شرق النيل. يسجل النقش إحصاء لعدد الأحياء والقتلى من الأعداء. كانت هذه الحملة بقيادة "مريموس" Merymose الذي كان يشغل منصب وزير في عهد الملك "أمنحتب الثالث"، وتعتبر هذه الحملة هي الثانية في عهده في العام الثامن والثلاثين من حكمه. (شكل ٦٤)[٤٠٣]

في عهد الملك "أمنحتب الرابع":

الحالة العسكرية من عهد "أمنحتب الرابع":

تولى "أمنحتب الرابع" عرش البلاد في الوقت الذي كانت فيه منطقة الشرق القديم تغلي بالصراع وكانت مصر أشد دول المنطقة مراسا، فبابل كان يغطيها غبار التراخي، أما "آشور" فلم تكن تطمع في كثير مما حولها، وكان الحيثيون يتحسسون قوتهم، وأما "ميتاني" فكانت تخشى الانهيار. وكان كل شيء يتوقف على نوعية ملك مصر، فإذا كان من طراز "تحوتمس الثالث" فقد ضمن السيطرة، ولكن مصر أنجبت رجلا من طراز آخر، ولم تكن عظمته من النوع الذي تقتضيه الظروف فبدلا من أن يكون محاربا كان داعية للسلام، يطمع في أن يعيش الناس على الحق وللحق. كان "أخناتون" يحترم الآلهة المصرية إلا أنه كان مؤمنا بعبادة الشمس وقد اختار أحد مظاهرها وهو "أتون" أي قرص الشمس إلها وأقام له معابد في منطقة الكرنك.

وفي الوقت الذي كان فيه الملك مشغولا بإلهه الجديد كانت الأمور تسير في غير صالح مصر في كافة أرجاء الإمبراطورية وخصوصا في آسيا. وكان الأمراء والحكام بين مخلص يريد الخير لمصر وناشز يتمنى أن تتاح الفرصة

---

[400] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص١٣

[401] جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٥، ص ٣٥.

[402] جيمس بيكي، المرجع نفسه، ج٤، ص ٢٠٨؛
Breasted, op, cit., II, 843, 844

[403] The Trustees of the British Museum,
http://www.bmimages.com/resultsframe.asp?cat=EA

للتخلص من الحكم المصري. أخذت مملكة "خيتا" تغير بين الحين والآخر على أطراف سوريا وتضمها ولاية بعد أخرى إلى ممتلكاتها، كما أخذت مدن كثيرة في فلسطين وفينيقيا تستقل بنفسها وتخرج عن طوع ملك مصر، بل إن بدو الصحراء أيضا أخذوا يثيرون القلاقل والمتاعب. وأخذ الحكام المخلصون لمصر يرسلون الكتب إلى أخناتون ولكنه لم يبد اهتماما أو يحرك ساكنا.[٤٠٤]

ولكن هناك بعض الآراء التي تختلف مع هذا الرأي وتستند إلى ما جاء في خطابات العمارنة التي أرخت بعهد كل من الملكين"أمنحتب الثالث" و"أمنحتب الرابع" لتثبت أنه كان هناك نشاط عسكري ملحوظ في عهد "أمنحتب الرابع" (أخناتون). تقرأ خطابات العمارنة كما لو أن هناك حملة عسكرية تسير قدما في طريقها للمعركة، فالاستعدادات الحربية والمراسلات من الموالين لملك مصر تشير إلى أنهم قد أعدوا المؤن والأغذية لإمداد الجيوش، وقد جهزوا العربات والجياد. ومن بين ما ذكر أيضا "أجساد الجنود"، الأطعمة مثل الذرة، المشروبات، الزيت، وكل ما شابه ذلك يمكن أن تجده مدرج في خطاب "عسقلان". في خطاب آخر يمكن أن تجد عبارة مثل "خيام الجنود (المشاة)"، وعبارة "الموانى الشرقية" لأن "صيدا" و"بيروت" قد تم ذكرهما أيضا.

وقد ثار كثير من الجدل حول إذا ما كان هناك إعدادات لحرب بدأت مبكرا في عصر "أمنحتب الثالث"، كذلك عما إذا كان الفرعون قد وصل بنفسه إلى آسيا أم لا، وكانت هناك لازمة متكررة في الخطابات تركز على كلمات "استعد لجنود الملك"، كما أن هناك كثير من الخطابات تؤكد على أن الأسرى قد أرسلوا إلى مصر، وتذكر أيضا الغارات التي كانت تشن على المدن هناك. كثير من الخطابات تذكر تقدم الاستعدادات للصراع الحربي المتوقع من جيوش الملك ويمكن أن يفترض أن هذه الاستعدادات الحربية كانت نتيجة للمناورات الناجحة في سورية مع مؤيدي الحيثيين.[٤٠٥] وهناك نقشان من عصر العمارنة يشيران إلى القتال أحدهما لملكة تقتل عدوا والآخر لأخناتون نفسه وهو يقتل الأعداء. (شكل ٦٥، ٦٦)

حملة إلى فلسطين :

أرسل "أخناتون" إلى فلسطين حملة بقيادة ضابط مصري ولكن هذه القوة انهزمت وفشلت في مهمتها تماما. وقد ورد في خطاب "عبدخيبا" والي بيت المقدس الذي أرسله إلى "أخناتون" أن بدو الصحارى المجاورة لفلسطين زحفوا واستولوا على مدن فلسطين ومما يعزز مضمون هذا الخطاب ما وجد من رسوم على الآثار المصرية الممثلة لهروب الفلسطينيين في ذعر من أعدائهم إلى مصر.[٤٠٦]

قام الملك "أخناتون" بإرسال حملة عسكرية واحدة إلى صحراوات النوبة سجلت اخبارها على بقايا لوحات من "بوهن". كانت بين العام العاشر والثاني عشر من حكمه وكانت متوجهة إلى مناجم الذهب في وادي العلاقي وهناك بقايا لنصوص موازية لها من "عمدا". كما أن هناك مناظر على قبور الضباط hwi3 و mri r٤ في "العمارنة" تبين عرض للجزية الأجنبية في "أخيتاتون".[٤٠٧]

في عهد الملك "توت عنخ آمون":

في عهد الملك "توت عنخ آمون" لم يكن هناك تغيير في الموقف بالنسبة لآسيا سوى الحملة التي بعث بها ملك مصر وكان على رأسها قائد الجيش "حور م حب".[٤٠٨] وهناك نقشان مصوران على جانبي صندوق خشبي عثر عليه في مقبرته وموجود الآن بالمتحف المصري JE 57438 (شكل ٣)، صور على الجانب الأيسر للصندوق منظر للملك في عجلته الحربية في حملة على بلاد النوبة يسدد سهاما نحو أعداد كبيرة من أعدائه فأصابتهم جميعا وخلف الملك حامل مروحته الملكية وخلفهم ثلاثة صفوف من عجلات حربية مصرية أخرى تشارك في المعركة ويقود عجلة الملك جوادان وتظلله بجناحيها المعبودة "نخبت" وقرص الشمس تنبعث منه الحياة.

---

[404] عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨

[405] Spalinger, A. J., War in Ancient Egypt, The New Kingdom, Malden, USA, 2005 p. 160, 162.

[406] بريستد، المرجع السابق، ص٣٣٥

[407] Morkot, op. cit., p.5

[408] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٢٢٧

وعلى الجانب الأيمن يتكرر المنظر ولكن الملك هنا في حملة على الشماليين الآسيويين. كما وجد له نقش على قطعة من الذهب يصور الملك وهو يقتل عدوه (شكل ٦٧) وهذا يدل على أن تصوير هذه الأحداث مجرد تصوير احتفالي بالنصر أكثر منه تصوير لمعركة حقيقية وما يؤكد ذلك هو أن الملك أرسل هذه الحملة بقيادة "حور ام حب" ولم يذهب بنفسه علاوة على أنه كان صغيرا جدا في السن ولم يكن سلفه "أخناتون" رجل حرب وقتال ليفترض أنه تدرب على القتال منذ الصغر.

في عهد الملك "إى":

هناك نقش على قطعة من الذهب في شكل ورقة نبات يصور الملك في عجلته الحربية يسدد سهما نحو أعدائه الذين يرفعون أيديهم وهم جاثون يستعطفون الملك، ويقف خلف عربته حامل مروحته وكلبه الأثير. وعجلة الملك لها ستة تروس ومثبت بها كنانة سهامه وقد جمع الفنان بين الآسيويين والنوبيين في هذا النقش دلالة على خضوعهما له. وقد عثر على هذا النقش في وادي الملوك. (شكل ٦٨)[٤٠٩]

في عهد الملك "حور ام حب":

قام "حور ام حب" في عام حكمه السادس عشر بحملة فيما بين "بيبلوس" و"قرقميش" التي كانت تحت سيطرة الحيثيين وقد اتخذ طريقه إليها من "بيبلوس" على الساحل الفينيقي إلى "سيميرا" ثم قادش ومجاوراتها. وقد جاءت أنباء هذه الحملة على قطعة أثرية مصدرها "منف"، وقد نشرها "ردفورد" عام ١٩٧٢م.[٤١٠]

حارب الملك "حور ام حب" النوبيين في معركة قوية انتصر فيها عليهم وقد سجلت أخبار هذه المعركة في نقش مصور على الجانب الجنوبي من الجدار الغربي للمقصورة الكبرى للملك في جبل السلسلة والمنظر مقسم إلى ثلاثة مستويات، في أقصى اليمين من المستوى الأوسط نجد بقايا للمعركة الحقيقية يظهر فيها اثنان من النوبيين يسقطون في الهواء على رؤوسهم وثالث يحتضر ورابع يحاول أن يسحب سهما من كنانته، ولكن المنظر غير مكتمل.

وفي أقصى اليسار من نفس المستوى نرى أسرى نوبيين مقيدين يقودهم ضباط مصريون إلى قائد الجيش "با حقا خع" الذي يقف في أقصى اليسار ممسكا بعصا في يده اليسرى. وفي المستوى العلوي نرى موكب النصر، الملك فوق عرشه يرتدي التاج الأزرق ويحمله بالعرش اثنا عشر جنديا ومعهم اثنان من حاملي المراوح، ويظهر في المنظر كاهن يحرق البخور، ويتصدر الموكب ست من الأسرى النوبيين وثلاثة صفوف من الجنود واثنان من الكهنة ونافخ بوق. (شكل ٦٩)[٤١١]

الأسرة التاسعة عشرة:

في عهد الملك "رمسيس الأول":

كان الملك "رمسيس الأول" كهلا حين توليه الملك ولذلك أشرك معه ابنه "سيتي الأول" في السنة الثانية من حكمه، ويظن أنه تمكن بمساعدة ابنه من شن غارة على النوبة لأن آثار هذه السنة تشير إلى العبيد الذين أسرهم وأهداهم إلى معبد وادي حلفا بالنوبة. وقد لوحظ ورود اسم "سيتي" بآخر هذه النقوش ولذلك يرجح أنه هو الذي قام بتلك الأعمال ونصب حجره الأثري بالنوبة قبل إبابه منها، وقد توفي "رمسيس الأول" قبل نصب هذا الأثر.[٤١٢]

---

[409] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق ، ص١٥٠، ١٥١.

[410] سليمان حامد سليمان الحويلي، "مصر وبلاد الساحل الفينيقي خلال عصر الدولة الحديثة"، دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٧١، ٧٢.

[411] مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه، ص١٥١.

[412] بريستد، المرجع السابق، ص٣٣٤.

لم يكن ملوك الأسرة التاسعة عشرة أقل كفاءة حربية من ملوك الأسرة الثامنة عشرة، بل كان عملهم أشق من عمل أسلافهم إذ لم يجابهوا في سورية حكومات ومدنا صغيرة منفردة بل جابهوا ممالك قوية.[413]

في عهد الملك "سيتي الأول":

كان على "سيتي" الأول في بداية عهده أن يقوم بمحاولة جادة لاسترداد الإمبراطورية المصرية المفقودة ووضع حد لنزوات البدو الذين كانوا يهددون الحدود الفلسطينية في الشرق.

استرجاع المستعمرات الآسيوية:

ويظهر أن "سيتي الأول" وضع تصميماته وقام باستعداداته الحربية لاسترجاع المستعمرات الآسيوية وقت اشتراكه مع والده في الحكم الذي يقرب من السنة والدليل على ذلك أنه أصلح طريق فلسطين الممتد من حصن "ثارو" ورمم القلاع المشيدة لحراسة صهاريج المياه على هذا الطريق، ولا يبعد أن كانت مصر وقتئذ محافظة على بعض نفوذها في فلسطين لكن المعروف أن الأحوال السيئة التي حلت بتلك البلاد أيام "اخناتون" لم تعد لها العدة المناسبة.[414]

الحملة الأولى لسيتي الأول على فلسطين:

قام الملك "سيتي الأول" بهذه الحملة في عام حكمه الأول حوالي عام ١٣١٨ ق.م. وقد صورت المعارك على الجدار الشمالي لصالة الأعمدة الكبرى بمعبد "آمون رع" بالكرنك.[415] (شكل ٧٠)

خط سير الحملة:

خرج "سيتي" على رأس جيشه من قلعة "ثارو" (تل أبو صيفة في مجاورات القنطرة شرق)، وفي الطريق إلى فلسطين قام بإعداد حصون صغيرة لحماية آبار المياه التي حفرت على هذا الطريق الحربي (طريق حور)، وكانت المسافة بين البئر والأخرى ما بين خمسة وستة أميال، ورغم أن هذه الحصون كانت تحمل اسم "من ماعت رع، سيتي الأول" فإن ذلك لا يعني أنها كانت جميعها من إنشائه، ذلك لأنها كانت موجودة منذ أقدم العصور، وأن "سيتي" الأول إنما قام بترميم بعضها أو إعادة تنظيفها، فضلا عن إنشاء بعضها الآخر.[416] سار سيتي بجيشه حتى بلغ جنوبي فلسطين المعروف باسم "النقب"[417]

معركة مع الشاسو:

تقدم "سيتي" الأول إلى مدينة كنعانية وهي "غزة" الفلسطينية على بعد يسير من الحدود المصرية وقبل أن يصل إلى هناك اضطر إلى القيام بمذبحة كبيرة بين الرجال الثائرين من "الشاسو" الذين اعترضوا طريقه.[418] صورت حملة الملك "سيتي الأول" على بدو الشاسو على الجدار الشمالي لصالة الأعمدة الكبرى بمعبد "آمون رع" بالكرنك: "في العام الأول من حكمه، الملك يخرب أرض الشاسو (البدو) من "جالو" على حدود مصر ثم إلى كنعان".

ويظهر الشاسو في ملابس مميزة عبارة عن سترات قصيرة بدون أكمام وأغطية للرأس ويحملون قوس قتال معدنية مثل التي كانت تستخدم في مصر في عهد الأسرة الثانية عشرة وتظهر في النقش بحيرة يبدو أنها تغذى من

---

413 إرمان، المرجع السابق، ص٦١٠.
414 بريستد، المرجع السابق ، ص٣٣٥
415 مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص ١٥٤.
416 مهران، المرجع السابق، ج٣، ص، ٣٤٩، ٣٥٠؛ عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٢٤٠.
417 بريستد، المرجع نفسه ، ص٣٣٥
418 مهران، المرجع نفسه، ج٣، ص، ٣٤٩، ٣٥٠؛ عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، نفس الصفحة.

نبع في حصن بكنعان ويشير إلى وادي "خليل" الموجود به سد لحفظ الماء وهذا المنظر هو مصدر المعلومات عن الغارة التي شنت على جنوب "يهودا" ووصلت حتى تلة البلد.[419]

المستوى السفلي من الخارج شرق المدخل يصور الملك "سيتي الأول" واقفا في عجلته الحربية ويرتدي باروكة ذات أهداب ويسدد سهاما نحو تجمع من البدو الشاسو في طريق حورس وفوق رأس الملك قرص الشمس الذي يخرج منه اثنتان من حيات الكوبرا تنتهي كل واحدة منهما بعلامة "شن" وعلامة الحياة "عنخ" و"الواس" (الصولجان)، ولمزيد من الحماية يحيط برأس الملك من اليمين المعبودة "نخبت" في هيئة النسر وهناك حزام حول جسد الملك يشده إلى الجوادين مما يمنح يدي الملك حرية في إطلاق السهام نحو أعدائه وهو ما يفعله الملك بالفعل في النصف الأيمن من النقش. وفي النصف الأيسر من أعلى يظهر تجمع البدو "الشاسو" وقد أصابت سهام الملك كثيرا منهم يفرون في اتجاه التلال والمرتفعات التي تميز صحراء شبه جزيرة سيناء. وفي أسفل المنظر نرى ثلاثة حصون وبجوار كل منها نبع الماء الذي يشرب منه سكان هذا الحصن. وبين هذه الحصون مزيد من البدو وقد أصابت كثير منهم سهام الملك. (شكل٧١)[420]

الوصول إلى "رفح":

بعد قتال الشاسو في الطريق يصل الملك إلى "رفح" على الحدود بين مصر وفلسطين وهي مدينة ظلت خاضعة لمصر طيلة تاريخها لأننا لا نرى قتالا بين الملك وسكان هذه المدينة بل على العكس فقد بادر سكانها إلى تقديم فروض الولاء والطاعة للملك "سيتي الأول" حاملين الجزية التي صورت بين الملك والمدينة وهي عبارة عن أواني وماندة وأكياس مغلفة ربما حوت ذهبا أو أي نوع من الأحجار الكريمة وقد صورت المدينة فوق أحد التلال ويرى في خلفية المنظر أعلى جوادي الملك وأسفلهما المزيد من الحصون وعيون الماء.[421] يظهر الملك بعد ذلك يعبر خزان وقلعة تحمل اسمه، ثم يعبر حصنا آخر، ثم بحيرة Absaqa ، حصنا ثالث وخزانا لسيتي، وطوال هذا الطريق تتم مطاردة السوريين. ويمثل ذلك حتما تقدمهم نحو وادي الأردن.[422]

الوصول إلى "كنعان":

ثم بلغ حدود كنعان (وهو اسم أطلقه المصريون على على غربي فلسطين وسوريا) فاستولى هناك على مدينة محصنة محاطة بسور في آخر الإقليم الذي حصلت فيه مشاحنته مع البدو،[423] وتبين المناظر على الجزء الشمالي من الجدار الشرقي لصالة الأعمدة الكبرى بمعبد "آمون رع" بالكرنك الملك يهجم على مدينة "كنعان" وهو واقف على عجلته الحربية في يمين المنظر يسدد سهامه نحو كتلة من بدو "الشاسو" خارج مدينة غزة وعلى تلالها ويمكن تمييزهم عن طريق النقبة القصيرة التي تنتهي فوق الركبة وبعضهم يرتدي قمصانا فوق البطن والصدر تقيهم بأس أعدائهم وهذه القمصان الواقية مزخرفة في شكل خطوط أفقية وأغلبهم يضع شريطا على الجبهة ينتهي بعقدة خلف الرأس وبعضهم يرتدي غطاء رأس يغطي الشعر وينسدل خلف الرقبة وقد حاول هؤلاء البدو الهروب من سهام الملك بتسلق التلال.

ومن الطريف أن يمد أحدهم يده لمساعدة زميل له على التسلق ولكن سهم الملك كان أقرب. وبدو الشاسو مسلحون بالرماح والفؤوس ذات النصل المزدوج نصف الدائري وقد سقط بعض الشاسو الذين أصابتهم سهام الملك أسفل عجلته الحربية ويحاول بعضهم في أقصى يسار المنظر الهرب بينما ترفع طفلة صغيرة يدها في ذعر وتحاول أمها تهدئتها. ونرى كذلك فوق التل أحد البدو يحاول كسر رمحه في يأس وخلف هؤلاء جميعا يقوم الحصن فوق أحد التلال تحيط به الأشجار وأسفل التل الذي تقوم عليه المدينة جلس اثنان من المحاربين وقد فقد كل منهما يده في القتال.[424]

---

419 Petrie, op. cit., Vol. III, p.12
420 مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص ١٥٤.
421 مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه، ص ١٥٤، ١٥٥.
422 Petrie, Ibid., Vol. III, p.12
423 بريستد، المرجع السابق، ص٣٣٦
424 مجدي عبد السلام محمد، المرجع نفسه، نفس الصفحات.

ويظهر في المنظر الخامس من نقوش صالة الأعمدة الكبرى بالكرنك العودة بالأسرى الشماليين، ويظهر فيه رؤساء الـ "خالو" (فلسطين) وهم يغادرون الحصن الذي فقد اسمه ويمرون بقلعة لها خزان مياه، وبحيرة، وقلعة أخرى سميت باسم "سيتي" وهناك بحيرة أخرى للمياه العذبة. كما يظهر في المنظر السادس "سيتي" وهو يتفقد الأسرى، يربط بعضهم ويذبح بعضهم، ويحتمل أن يكون هذا المشهد في فلسطين، وفيه يستعد لرحلة العودة إلى الوطن عبر الصحراء. وفي المنظر السابع نرى سيتي يمضي قدما في طريق عودته حاملا بعض الأسرى ويجر خلفه الزعيم الأكبر للرتنو (سكان تلال فلسطين). أما المنظر الثامن فيلتقط "سيتي" أسراه ويسوق أمامهم بدو "الشاسو" وزعماء "الخالو"، بينما آخرون يسحبون خلفهم وهو يمر بثلاثة خزانات آخرهم خزان قلعة الأسد.[425]

حصار "ينعم" والاستيلاء عليها:

وبعد ذلك زحف شمالا فاستولى على بلاد سهل "مجدو" المعروف بـ "يرزل" وعبر وادي نهر الأردن ونصب هناك حجرا أثريا ذكر فيه انتصاراته التي حازها بجهة "حوران" ثم زحف غربا حتى بلغ جنوبي بلاد لبنان فاستولى على مدينة "ينوعام" المحاطة بالغابات الكثيرة والتي وقفها "تحوتمس الثالث بعد غزوه لها على معبد آمون وذلك منذ مائة وخمسين سنة تقريبا.[426] وقد صورت هذه المعركة على الجدار الشمالي لصالة الأعمدة الكبرة بالكرنك من الخارج شرق المدخل في المستوى الأوسط. ومنظر القتال هو المنظر الأول من جهة الشرق ويصور الملك في عجلته الحربية يطارد الآسيويين من سكان مدينة "ينوعام" الذين يفرون نحو حصن المدينة الذي تحيط به غابة من أشجار الأرز وقد أمسك الملك باثنين من الأسرى في يده اليمنى بينما فقدت في النقش يده اليسرى وكذلك الرأس.

ويمكن تمييز سكان هذه المدينة بأرديتهم الطويلة وقد استخدموا في قتالهم عجلات حربية وجميعهم يفرون في اتجاه المدينة التي نرى على أبراجها بعضا من سكانها يرفعون أيديهم في استسلام أو يرفعون مواقد البخور، وبين الأشجار التي تحيط بالمدينة اختبأ بعض من سكانها وهم ينظرون في اتجاه الملك وقد ربطوا رؤوسهم بأشرطة على الجبهة ومعقودة خلف الرأس وأسفل الأشجار رؤوس بعض الآسيويين الذين سقطوا من أعلى الحصن فانفصلت رؤوسهم عن أجسادهم. (شكل ٧٢)[427] كما يظهر الملك متوقفا للعودة عند حصن يسمى Kaduru بجانب البحيرة التي تهشم اسمها ولا يظهر منه إلا آخر حرفين هما ma....، وربما كانت هذه هي بحيرة "ميروم" أو "مارما" التي جاءت في قائمة "تحوتمس". كما يظهر الملك وهو يتسلم الخاضعين من لبنان والذين قطع من أجلهم أشجارا ضخمة ليبني لهم سفنا تنقلهم إلى مصر بحرا ليرسلهم لمعبد "آمون".[428]

ويصعب تقرير مدى سير الحملة الأولى لأن السجل العلوي على النصف الشرقي من الجدار الخارجي الشمالي للصالة الكبرى بالكرنك مفقود، ولكن الأرجح أنه وصل إلى لبنان حيث يظهر الأمراء هناك يقطعون أشجار الأرز التي رأى نفسه في حاجة إليها لصنع القارب المقدس وساريات الأعلام لآمون، وطبقا للوحة من "بيسان" و"حماه" و"ينوعام"، ورد فيها نص يقول: "السنة الأولى، الشهر الثاني من الصيف، اليوم الثاني، في هذا اليوم نما إلى علم جلالته أن العدو الخسيس في مدينة حماة قد ضم إليه كثيرين واستولى على مدينة "بيت شانيل"، ثم اتصل بسكان "بحل" ولم يسمح لأمير "رحوب" أن يخرج، وعندئذ أرسل جلالته الجيش الأول لآمون (قوي الأقواس)، إلى مدينة حماة، والجيش الأول لرع (العظيم في الشجاعة) إلى مدينة بيت شانيل، والجيش الأول لـ "ست" (المنتصر في الأقواس) إلى مدينة "ينوعام"، ثم كانت فترة يوم، ولم يلبثوا أن سقطوا تحت سلطان جلالة ملك مصر العليا والسفلى، من ماعت رع، ابن رع، سيتي مرنبتاح، ليعط الحياة".[429]

ويظن أن "سيتي الأول" قد وصل في حملته هذه إلى شمالي "صميره" (أولازا) وقد قدم له ملك قبرص هدايا جزيلة جريا على عادة حكام تلك الجزيرة نحو ملوك مصر، والثابت أن مدينتي "صور" و"أوثو" قد خضعتا لسيتي وقتئذ وأن ساحل فلسطين أصبح آمنا وأن الطريق البحري بين مصر وفلسطين أعد للقيام بحملات حربية في

---

[425] Petrie, op. cit., Vol. III, p.12

[426] بريستد، المرجع السابق، ص٣٣٦

[427] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص ١٥٥، ١٥٦.

[428] Petrie, Ibid, Vol. III, p.12

[429] مهران، المرجع السابق، ج٣، ص، ٣٤٩، ٣٥٠؛ عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٢٤٠.

المستقبل. عاد سيتي الأول ظافرا يتقدم جيشه راكبا عجلته الحربية وسائقا أمامه أسراه من أمراء فلسطين وسورية وأقيمت له الاحتفالات عظيمة عرضت فيها الأسرى والغنائم الحربية أمام آمون.[430]

نتائج الحملة:

نجح الفرعون في حملته الأولى هذه في إخضاع كل بلاد فلسطين وجانب من سورية الجنوبية. وهناك تمثال له على هيئة أبو الهول في معبده الجنائزي بالقرنة سجل عليه أسماء ستة عشر بلدا فلسطينيا تمكن من إخضاعها في الحملة الأولى، فضلا عن بلاد قادش وآمور.[431] وفي ذلك الوقت أقبل عليه وفد من حكام تلك البلاد أظهر له الخضوع والولاء لمصر وقدم له ما يطلب من الخدم. ويلاحظ أن هؤلاء الحكام مضى عليهم حوالي خمسين سنة بعد ترك "أمنحتب الثالث" لمدينة "صيدا" لم يشاهدوا في أثنائها فرعونا مصريا قائدا لجيشه كما اعتادوا سابقا، ولذلك أراد "سيتي الأول" أن يختبر ولاءهم فكلفهم بإحضار كتل خشبية من الأرز ليتم بها بناء سفينة "آمون" المقدسة في طيبة وليصنع منها أيضا سوار طويلة لتصبها أمام صروح معبد ذلك المعبود، عندئذ أسرع هؤلاء الحكام في حضرة سيتي بجمع تلك الكتل.[432]

المواجهات بين سيتي الأول ومملكة "خيتا":

أسباب معارك "سيتي" مع الحيثيين:

انطلق سيتي الأول يعد العدة لمواجهة عدو مصر التقليدي، "مملكة خيتا" في آسيا الصغرى التي كانت تسعى دائما لتأليب الولايات الخاضعة لمصر عليها بل وكانت أيضا تدعمها للانسلاخ من الإمبراطورية المصرية، ونجح "سيتي" الأول في أن يكسر شوكة مملكة "خيتا".[433] وقد كان على سيتي إذا أراد أن يهجم على الحيثيين أن يخضع أولا مملكة "آمور" وهذا هو ما قام به، فقد استولى على تلك المملكة بما فيها "قادش" على الأرجح، بعد ذلك زحف شمالا إلى الحيثيين فاتضح له أن ملكهم المدعو "سبلل" الذي تحالف مع مصر في أواخر الأسرة الثامنة عشرة توفي منذ مدة طويلة وأن ابنه المدعو "ميراسار" كان قائما بالحكم. في ذلك الوقت التحمت جيوش مصر بجيوش "خيتا" لأول مرة في التاريخ القديم وكان ذلك في مكان مجهول على نهر العاصي.[434]

معركة في شمال "قادش":

جرت المعركة بين مصر و"خيتا" في شمال قادش ورغم أن أحد الطرفين لم يحرز نصرا حاسما في هذه المعركة التي سجلت أخبارها على معبد الكرنك إلا إنها كانت كافية لكي تستشعر "خيتا" قوة الملك المصري والجيش المصري.[435] في هذه المعركة وصل الملك "سيتي الأول" إلى نهر العاصي، وربما حدثت مواجهة بينه وبين الحيثيين، وعلى أي حال فلقد استمر في تقدمه شمالا حتى حدثت المواجهة المباشرة بين الجيشين المصري والحيثي، أما عن تاريخ ومكان هذه الحملة فغير معروفين وإن كان "فوكنر" Faulkner يرى أنها كانت في مكان ما إلى الشمال من قادش، حيث عثر على لوحات صغيرة في تل شهاب وقادش سجل عليها اسم الفرعون، فضلا عن لوحة من "بيسان"تسجل وصول جيش الفرعون إلى مدينة "حماة".[436]

---

[430] بريستد، المرجع السابق، ص٣٣٦، ٣٣٧.

[431] مهران، المرجع السابق، ج٣، ص، ٣٤٩، ٣٥٠؛ عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٢٤٠.

[432] بريستد، المرجع نفسه، ص٣٣٦

[433] عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص٤٠٦

[434] بريستد، المرجع نفسه، ص٣٣٧

[435] عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص٢٤١.

[436] مهران، المرجع نفسه، ج٣، ص٣٥١، ٣٥٠؛ Faulkner, *JEA*, 323, 1947, p. 37, 38

وصف المعركة :

دارت رحى القتال بين الفريقين بشدة ركب في أثنائها "سيتي الأول" عجلته الحربية وحارب أعداءه مع جيوشه حتى انتصر عليهم تماما. ولم يشترك جيش الحيثيين الرئيس في هذه المعركة لأن "سيتي" لم يزعزع مركز أعدائه بسوريا فقد بقيت "قادش" التي على نهر العاصي بأيديهم، وعليه فالغالب أن كل ما أحدثه "سيتي" حينئذ هو إرجاع حدود الحيثيين قليلا إلى الشمال ووقف زحفهم وتدخلهم في شئون فلسطين. ويتضح من ذلك أن حدود مستعمرات مصر الآسيوية وصلت وقتئذ بوجه التقريب إلى حدود فلسطين الشمالية بما في ذلك مدينة "صور" وساحل فينيقيا جنوب نهر "الليطاني".[٤٣٧]

تصور مجموعة المناظر الموجودة على الجدار الشمالي لصالة الأعمدة الكبرى لمعبد "الكرنك" من الخارج والتي تقع غرب المدخل وتحديدا في المستوى العلوي من الجدار الاستيلاء على مدينة "قادش" والمنظر الأول من جهة الغرب يصور هجوم الملك على مدينة قادش ولا يظهر الآن أي جزء من جسم الملك ولكننا نرى العجلة الحربية الملكية ويبدو أن الملك قد أطلق سهاما كثيرة أصابت كتلة من الجنود الآسيويين التي تفر من أمامه صوب المدينة في أقصى يمين المنظر وهم مسلحون بالأقواس والسهام والدروع المستطيلة وخوذات مخروطية الشكل.

والشيء المميز لهذا النقش فيما يتعلق بتصوير الأعداء أننا نرى في منتصف المنظر عجلة حربية آمورية على متنها قائدها وقد ربط هذا القائد جسمه بجوادي العجلة عن طريق حبل يحيط به بشدة إلى العجلة لتنعم يديه بحرية الحركة وهو تقليد لما كان يفعله الملك "سيتي الأول" ومن بعده ابنه الملك "رمسيس الثاني"، وهنا اخترق سهم الملك رأس الرجل وهو لا يزال يمسك بقوسه في يده اليسرى وأصيب أيضا رفيقه على ظهر العجلة وهو يحمل الدرع المستطيل وهو في طريقه للسقوط، وقد أصاب الملك جواد العربة بحربة كما أصاب أيضا بعضا من سكان المدينة المتحصنين في الأبراج. ولكن المنظر الأجمل في هذا الهجوم هو منظر راعي الماشية الذي يقودها مسرعا نحو الغابة وهو يلتفت في اتجاه الملك المصري بينما سقط الأعداء الآخرون بين قتيل وجريح. (شكل ٧٣)

في المستوى السفلي للجدار الشمالي لصالة الأعمدة الكبرى من الخارج غرب المدخل مناظر أخرى تصور حملة "سيتي" ضد الحيثيين، حيث نرى الملك "سيتي الأول" في أقصى يسار المنظر وهو واقف في عجلته الحربية وقد شد قوسه ليطلق سهما نحو أعدائه الحيثيين الفارين من أمامه في شكل أشبه بشكل الهرم المدرج على عجلاته الحربية وهذا المنظر هو المنظر الأول في هذا المستوى من جهة الغرب وتحيط برأس الملك المعبودات الثلاث، "نخبت" من اليسار "حورس" من اليمين، وفوق الرأس مباشرة "خبري" المصور في صورة قرص الشمس تحيط به حيتا الكوبرا، وبين الحيتين علامة "عنخ" والملك مسلح- بالإضافة إلى قوسه- بجعبة سهام مثبتة في حزام وسطه.

وهناك جزء مستطيل من النقوش بين رأسي جوادي الملك وكتف الملك مفقود. ويظهر خلف الملك وفي حجم صغير حامل مروحته وأمام الملك وفي حجم أكبر من حجم كافة الأعداء زعيم الحيثيين وقد أصابته سهام الملك في رأسه وكتفه وأوقعت به الحوافر الأمامية للجوادين كما أسقطت حامل درعه المستطيل ويرتدي زعيم الحيثيين وحامل درعه غطاء رأس نصف دائري وقد طرحا شعر الرأس خلف الرقبة. وسقط باقي أفراد الجيش الحيثي بين قتيل وجريح ويرتدي الجميع أردية طويلة بأحزمة في الوسط وهم مسلحون بالأقواس وجعاب السهام ومن الملاحظ أن عدد العجلات الحربية الحيثية هو الأكبر بين كافة نقوش هذا الجدار ربما كان دليلا على شدة وطيس هذه المعركة وأخيرا فإن هذا النقش يمثل أول ظهور للحيثيين في النقوش الحربية المصرية. (شكل ٧٤)[٤٣٨]

نتائج المعركة:

نجح "سيتي" في الحصول على كثير من الأسرى والغنائم وأن يجبر الحيثيين على العودة إلى بلادهم، وأن "بتسينا" ملك "آمور" قد اعترف بسلطان فرعون مصر ومع ذلك فيبدو أن النصر لم يكن مؤزرا وأن تأثيره المادي لم يكن قويا على الحيثيين، فهناك ما يشير إلى أن المصريين رغم أنهم قد اكتسبوا سلطة مؤقتة على سهل سورية الشمالي، إلا أنه سرعان ما عاد النفوذ الحيثي إليها من جديد. ويبدو أن حدود إمبراطورية "سيتي الأول" في نهاية

[437] بريستد، المرجع السابق، ص٣٣٨
[438] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق، ص ١٥٦، ١٥٧.

حروبه كانت تمتد شرقا من مصب نهر "الليطاني"، وأن مدن "صور" و"مجدو" وربما "بيسان" أيضا، قد استمرت كقواعد عسكرية مصرية.[439] (شكل ٧٥)

ويلاحظ أن هذه الفتوحات لم ترجع لمصر إلا ما يقرب من ثلث مستعمراتها السابقة ولذلك كان طبيعيا أن يستمر سيتي في فتوحاته السورية لكنه مع ذلك لم يظهر هناك بعد ذلك لسبب ما ويظن أنه اقتنع وقتئذ بعدم فائدة نضال الحيثيين لشدة رسوخ قدمهم بسورية، زد على ذلك أن مركز مصر بسوريا أضحى محالفا لمركز الحيثيين الذين احتلوا تلك البلاد احتلالا ملكيا وحربيا أما الفراعنة فلم يعبأوا كثيرا بالاستثمار في تلك الجهات بل كل ما عنوا به هو أخذ الجزية السنوية منها ولذلك كان منتظرا أن الاستعمار المصري الضعيف لا يقوى على قلب استعمار الحيثيين القوي.

ثم إن مملكة الحيثيين أصبحت مائجة بالسكان بأكثر مما تسع فكان هؤلاء يهجرون وطنهم نازحين إلى سورية ومنه يتضح أنه لو فرض ونجح المصريون في طرد الحيثيين من جنوب سورية فإن شمالي سورية سوف يبقى دائما في حالة حرب مع المصريين والظاهر أن "سيتي" اقتنع بأن أحوال البلاد تغيرت كثيرا عما كانت عليه أيام "تحتمس الأول" وصمم أن يبرم معاهدة ودية مع ملك الحيثيين المدعو "متاللا" الذي تولى الملك بعد أبيه "ميراسار".[٤٤٠]

العودة إلى الوطن والاحتفال بالانتصارات:

صورت رحلة العودة والاحتفالات على جدران بهو الأعمدة الكبير بالكرنك كالتالي:

المنظر التاسع:

في نهاية الطريق الساحلي تظهر قناة طويلة ملينة بالتماسيح t3 dn3t أي "القاطعة" وهي تفصل مصر عن الصحراء وربما كانت تربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط على خط قناة السويس الحالية. هذا الموقع يعرف بـ "جالو" يحتمل أن يكون في مكان "تل أبو صيفا" الحالية الذي يقع إلى الشرق من القناة في مسيرة "سيتي". عبر سيتي القناة من خلال جسر حصين حيث يوجد خزان مياه آخر، على الضفة الأخرى من القناة يوجد عدد هائل من المصريين ينتظرون الملك بباقات الزهور، هناك الكهنة والنبلاء وكبار الموظفين من شمال مصر وجنوبها، ينشدون في عشق جلالته ويمجدون بسالته، وتظهر السيوف المعقوفة على رؤوس البلاد التي يسقط زعماؤها بالسيوف.[441]

المنظر العاشر:

يصور فيه الملك "سيتي الأول" وهو يتقدم أمام ثالوث طيبة المقدس (آمون- موت- خنسو)، وهناك صفوف من أسرى "الرتنو"، كما تظهر في نفس المنظر التقديمات الرائعة من الغنائم من زهريات الذهب والفضة.

المنظر الحادي عشر:

يظهر في هذا المنظر الأسرى من "الشاسو"، أو السوريون الجنوبيون والمزهريات المقدمة مثل التي في المنظر السابق ولكن يبين أنها من "الرتنو" وهم لا يشبهون الشعوب الجنوبية، فهم يعيشون في أرض فقيرة لكن لديهم غنائم رائعة.

المنظر الثاني عشر:

في المنظر الثاني عشر من مناظر بهو الأعمدة الكبير بالكرنك يصور الملك "سيتي الأول" وهو يمسك مجموعة من الأسرى من شعرهم ويستعد لضربهم بالصولجان.

[439] مهران، المرجع السابق ، ج٣، ص، ٣٥١
[440] بريستد، المرجع السابق ، ص٣٣٨
[441] Petrie, op. cit., Vol. III, p.13

المنظر الثالث عشر:

في هذا المنظر يصور المعبود "آمون" وهو يقف قابضا على بلاد الأسرى التي نقشت في ثلاثة صفوف ويقيدهم بالحبال وتحته إلهة تقبض على ثلاثة صفوف أخرى من الأسرى.

المنظر السابع عشر:

يظهر الملك "سيتي الأول" وهو يقود صفين من الأسرى إلى ثالوث طيبة ويقدم غنيمة عظيمة من مزهريات الذهب والفضة التي يبدو من شكلها أنها من الرتنو.

المنظر العشرون:

يصور هذا المنظر عودة الملك "سيتي الأول" متنقلا في عربته مستوعبا فيها مجموعة من الأسرى الحيثيين وتتبعه عربات أخرى تحتوي على أسرى آخرين من الحيثيين.

المنظر الحادي والعشرون:

"سيتي" يقود صفين من كبار زعماء "الرتنو" حيث كانت كل الأرض في شمال فلسطين تسمى أرض الحيثيين، ومن الأشياء المميزة في النقش أن ملابس الرتنو والحيثيين في حالة جيدة من الحفظ، وتظهر القرابين من المزهريات الثمينة المقدمة لثالوث طيبة وكلها من الطراز السوري.

المنظر الثاني والعشرون:

هذا المنظر عبارة عن قائمة بالمدن التي تم فتحها، هذه المدن صارت قرباتا مقدما لآمون الذي ذبح الملك أمامه مجموعة من الأعداء. وقد وردت أسماء المدن كالتالي: الصفان العلويان، المدن الجنوبية؛ الصف الثالث، المدن الغربية؛ الصف الرابع، أسماء عامة لأشخاص وبلدان؛ الصفان الخامس والسفلي، أسماء لمدن ومناطق.[442]

في عهد الملك "سيتي الأول" حدث اضطراب كالذي حدث في مبدأ الأسرة الثانية عشرة اضطر إلى أن يخضعه فقد تحين الليبيون القاطنون غربي مصبات النيل فرصة ضعف مصر فهاجروا إلى الوجه البحري وأخذوا يضعون أيديهم على كل ما يمكن تملكه فهددوا حدود الدلتا الغربية. وتدل قائمة إيرادات "سيتي الأول" على أنه أمضى سنته الثانية كلها في الدلتا لقمع الليبيين. وقد انتصر عليهم انتصارا باهرا وأقيم له احتفال كبير بطيبة أمام المعبود آمون حيث قدم له الغنائم الجزيلة والأسرى العديدين.[443]

الإشارات إلى الليبيين في آثار "سيتي الأول":

حفظت مناظر "سيتي" الأول المصورة على الحائط الخارجي لصالة الأعمدة الكبرى بمعبد الكرنك ضمن نشاطه الحربي المتعدد قيامه بحملة تأديبية ضد "أولئك الذين في أرض التحنو" imyw (t) tḥnw ربما من عامه الثاني. وأشارت نصوصه إلى أنه "ركعت بلاد التحنو على ركبتيها أمام الفرعون، ولم يعودوا قادرين على استخدام أقواسهم" وأنهم "أمضوا اليوم في الكهوف مثل الذئاب خوفا من جلالته"، ومن حصوله على الأسلاب من الأسرى وأشياء أخرى. ويبدو عدو ليبي بملامحه النمطية، الريشة في الشعر والخصلة المتدلية على جانب الوجه، واللحية وكيس العورة رافعا يده اليسرى وقوسه منكس في حين تمتد يده اليمنى في رجاء واستعطاف باتجاه الفرعون الذي يقود عربته الحربية وتطأ خيوله القتلى المطروحين أرضا من أجل الإبقاء على حياته. (شكل ٧٦)

وفي منظر آخر ضمن مناظر حملة "سيتي الأول" الليبية يبدو فيه الملك وهو يطأ ليبيا مطروحا أرضا بقدميه وممسكا بيده اليسرى ذراع ليبي آخر ومصوبا رمحه تجاهه بيده اليمنى. وتضمن النص المصاحب للمنظر عبارة

---

[442] Petrie, op. cit., Vol. III, p.15, 16

[443] بريستد، المرجع السابق، ص٣٣٧

"قمع رؤساء التمحو" وللأسف لم يعط النص أسماء أماكن محددة لمسرح القتال (شكل ٧٧)، وكان النصر حليف المصريين وقدمت من خلاله مجموعات الأسرى من زعماء الليبيين إلى ثالوث طيبة، وقد ذهب "وينرايت" إلى المناداة باعتبار هؤلاء الليبيين في مناظر سيتي الأول من المشوش. وقد تميزوا باستخدامهم لسيوف طويلة من البرونز، ورجح موضعا لهم إلى الغرب من التمحو في منطقة خليج "سرت" الليبي.

ولعل ما عكسته مناظر أسلاب الحرب الليبية لسيتي الأول وما صاحبها من نقوش تضمنت الإشارة إلى تقديم الجزية (من الأراضي الأجنبية) بواسطة جلالته إلى أبيه "آمون رع" وهي مكونة من الفضة والذهب واللازورد والملاخيت وكل حجر نفيس وخاصة تلك المجموعة من الأواني الفضية مثلها في ذلك مثل ما حدث بعد ذلك في عهد رمسيس الثالث مما جعل "نينا ديفيز" تشك في حقيقة المنظر من الناحية التاريخية في ضوء عدم قدرة المكان وأهله الليبيين على الوفاء بمثل تلك المنتجات. وتضمنت مناظر مقبرة "سيتي الأول" الملكية شكلا لليبي من التحنو ضمن منظر "أجناس العالم الأربع" باعتبار الجنس الليبي ممثلا لجهة الغرب.[444]

يظهر في المستوى الأوسط من الجدار الشمالي لصالة الأعمدة من الخارج غرب المدخل والمنظر الأول من جهة الغرب يصور الملك في عجلته الحربية وعلى رأسه التاج الأزرق وهو يمسك في يده اليسرى قوسه ويده اليمنى تمسك بسيفه المعقوف وتهوي به على رئيس الأعداء الذي لا يزال يمسك بقوسه في يده اليسرى وأمام جوادي الملك حشود من الليبيين الذين أصابتهم جميعا سهام الملك وهم يرتدون عباءات مفتوحة من الأمام وزينت رقابهم بعقود وريش في شعر الرأس وهم مسلحون بالأقواس والسهام وبعضهم مسلح بالسيوف المعقوفة.

المنظر الثاني من جهة الغرب في المستوى الأوسط للجدار الشمالي من الخارج يصور قتالا فرديا يجمع بين الملك "سيتي الأول" وزعيم "التحنو" وهي إحدى القبائل الليبية التي طالما هاجمت حدود مصر الغربية واستقرت هناك وقد أمسك الملك بيد هذا الزعيم في يده اليسرى ورفع يده اليمنى بحربة سيهوي بها على جسده رغم أن هذا الزعيم كان قد أصيب بسهم من قبل في صدره وأراد الملك المصري أن يجهز عليه. ويظهر الملك وهو يطأ بقدميه المزيد من القتلى الليبيين، ويشترك في القتال مع الملك اثنان من أبنائه، من خلفه الأمير "رمسيس" الذي أصبح فيما بعد الملك "رمسيس الثاني"، وأمير آخر خلف الزعيم الليبي، وخلف الملك علامة "عنخ" في صورة آدمية تحمل مروحة.

المنظر الثالث من جهة الغرب يصور عودة الملك "سيتي الأول" من حملته على ليبيا وقد صعد إلى عجلته الحربية وأمامها طابوران من الأسرى الليبيين بالريش الذي يعلو رؤوسهم والعباءات المفتوحة من الأمام وقد قيدت أيديهم ورقابهم. وآخر مناظر هذه الحملة يصور تقديم هؤلاء الأسرى ومعهم غنائم الحرب إلى ثالوث طيبة، "آمون وموت وخونسو". (شكل ٧٨)[445]

معركة ضد الشعوب الهندواوروبية:

تصدى سيتي الأول للشعوب الهندو- أوروبية التي أخذت تجتاح بلدان الشرق الأدنى القديم ووصلت إلى شاطئ شمال أفريقيا، فهزمها عند حدود مصر الغربية.[446]

في عهد الملك "رمسيس الثاني":

كان الملك "تحتمس الثالث" قد ضم "قادش" مع مملكة "أمورو" إلى مصر لكنهما فقدتا بسبب إهمال "أخناتون" وأتباعه وقد أعاد "سيتي الأول" فتح قادش لكنه ردها إلى الحيثيين على إثر معاهدة لم يرض عنها "رمسيس" وظل أمرها يراوده، لذا فقد آلى على نفسه أن يسترد لمصر كل فتوحاتها السابقة خطوة خطوة فوضع لذلك مخططا يبدأ بامتلاك الساحل أولا، ثم استعادة مستعمرة "أمورو" وبعدها "قادش" ومنها إلى قلب سورية الشمالي حتى "حلب".[447]

---

[444] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق ، ص١٤، ١٥.

[445] مجدي عبد السلام، المرجع السابق ، ص ١٥٨.

[446] عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص٢٤٠.

[447] كيتشن، "رمسيس الثاني فرعون المجد والانتصار"، ١٩٩٧، ص٨٢.

الحرب السورية:

لم تبدأ المعارك الحربية إلا في العام الرابع من حكم "رمسيس الثاني" فقام بحملته على سوريا، فقد توجه في السنة الرابعة – صيف ١٢٧٨ق.م غالبا – إلى سوريا. وسارت هذه الحملة بالمصريين من "ثارو" إلى أرض "كنعان"، وفي ذلك الوقت كانت "كنعان" خاضعة له، لذلك سرعان ما وصل إلى الأراضي الساحلية بفينيقيا الجنوبية وأحكم قبضة مصر على "صور" و"جبيل". ويبدو أنه تجاوز واستولى على "عرقاتا" بعد حصار. وبذلك سقطت أهم مدن "فينيقيا" في قبضته. ومن محور ارتكازه المأمون هذا توغل في العمق وجهة الشرق بين الجبال لمهاجمة دولة "أمورو".

ورغم جهلنا بتفاصيل الأحداث إلا أن نتيجتها كانت استيلاء الفرعون على "أمورو" في خلال شهرين، وأصبح يهدد "قادش" نفسها. وفي هذا أخذ "بنتو شينا" ملك "أمورو" على غرة وأسقط في يده حيث فاجأه الغزو بعد عشر سنوات من الهدوء فلم يتمكن حتى من الاستنجاد بسيده إمبراطور"خيتا" (بلاد الحيثيين) القابع في آسيا الصغرى البعيدة. لذلك لم يستطع سوى الخضوع لمصر مقابل دفع جزية سنوية. ولما كان يخشى أن يعزله الحيثيون ويتهموه بالتمرد، لذلك أرسل للإمبراطور الحيثي – مولاه السابق- برسالة بها يقطع علاقته به. بعد ذلك عاد الجيش المصري إلى مصر عبر فينيقيا.[٤٤٨]

وبهذا النجاح في أول "حملة ظافرة" لرمسيس الثاني في عهده الجديد، بدت له الأمور وردية. فارتد جنوبا على مهل ميمما شطر "فينيقيا" وأقام أنصابا شتى في أماكن عديدة إشادة بهذا النصر؛ نصب تذكاري في "جبيل"، وآخر على ضفاف نهر"الكلب"، وربما ثالث في "صور" المهم أن "أمورو" قد عادت إلى الحظيرة المصرية وعندما عاد بموكبه الظافر إلى عاصمته "بررعمسيس" كانت عينه على "قادش" ليفتحها في الصيف المقبل. وظن الفرعون المتفائل أن استعادة الإمبراطورية المفقودة بالكامل قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى.[٤٤٩]

ويرى "بتري" أن الحرب في سورية كانت في العام الثاني وقد امتدت هذه الحرب حتى نهر "الكلب" الذي يقع في منتصف المسافة إلى ساحل سورية حيث توجد لوحة صخرية تبين الملك وهو يضرب السوريين أمام "آمون"، وتحتوي اللوحة على اثني عشر سطرا من النقوش تصور الشعوب المهزومة بجانب علامات قليلة من بينها بقايا تاريخ العام الثاني.

معظم أخبار هذه الحملة مأخوذة من لوحة في أسوان ورد فيها ذكر: "خيتا"، "ساتي"، "تحنو"، وشعوب البحر العظيم، وقد تجددت هذه الحرب في العام الرابع كما تبين لوحة عند نهر "الكلب" يظهر فيها الملك وهو يقدم أحد السوريين كعبد في معبد "رع" وهذا يشير إلى أنها ربما لم تكن حربا بقدر ما كانت حملة لجمع الجزية، وهذه اللوحة مؤرخة بالعام الرابع، اليوم الثاني من كيهك، الموافق نصف سبتمبر، ويحتمل أن يكون الملك قد أمضى الصيف في تلال سورية.[450]

معركة "قادش":

التعريف بموقع المدينة:

تقع قادش فوق ربوة على لسان أرضي بين نهر العاصي الذي يجري شمالا ويخترق الجزء الشرقي من المدينة وبين رافد آخر يجري من الغرب ويصب في نهر العاصي نفسه شمال غربي المدينة مما يوفر بعض الحماية للمدينة وقد شق أهل المدينة قناة صناعية عرضية من الرافد تصب في النهر جنوبي المدينة، وبذلك تحولت قادش عمليا إلى جزيرة محمية يصعب اقتحامها.[٤٥١]

---

[448] كيتشن، المرجع السابق، ١٩٩٧، ص٨٢، ٨٣؛ جريمال، المرجع السابق، ص٣٢٥

[449] كيتشن، المرجع نفسه، ص٨٣.

[450] Petrie, op. cit., Vol. III, p.46, 47.

[451] كيتشن، المرجع نفسه، ص٨٧.

ويقول بعض المؤرخين إنها في مكان "تل النبي مندو" وآخرون يعينونها على أنها جزيرة في البحيرة، وتدل النقوش على أنها محاطة بالماء. الحقيقة أن "رمسيس" في تقدمه كان غرب "الأورانتوس" (العاصي) ولا يزال شمال "قادش" يبين ذلك أن المدينة كانت في انحناءة النهر في موقع يشبه الجزيرة وربما ذهب إلى "تل النبي مندو" ليحاصرها. وتبين عبارة أنه دار حول البحيرة أنه تقدم إلى ممر مرتفع في شمال المدينة التي غادرتها جيوش "خيتا" في ذهابها إلى موقعها شمال غرب المدينة.[452]

أسباب المعركة:

بعد استيلاء "رمسيس الثاني" على "أمورو" لم يسكت الطرف الآخر، ففي أقصى الشمال حيث البلاط الحيثي على سهل "الأناضول" المرتفع كان الأمور مختلفة تماما فقد وصلت إلى الامبراطور"مواتاليس" رسالة "بنتوشينا" الرسمية سريعا تخطره باضطراره للانسلاخ عنه والانضمام إلى مصر وعلى أحسن الفروض يمكن اعتبار الرسالة حيادية. كيف يمكن للإمبراطور القبول بذلك؟ وبسرعة ومض في ذهن "مواتاليس" حل ثلاثي: استعادة "أمورو"، حماية قادش وما حولها، توجيه ضربة قاسية للفرعون الشاب تردعه فلا يمكنه بجيوشه أن يهدد ممتلكات الحيثيين في سوريا بعد ذلك أبدا.

الإعداد للمعركة:

من الجانب الحيثي:

حسب تقاليد العصر توجه "مواتاليس" إلى الآلهة في "خيتا" يطلب عونهم وأقسم أمامهم أنه سوف يغدق عليهم العطايا الثمينة إذا يسروا له إستعادة "أمورو": "في أي حملة يقودها جلالتنا، آه يا آلهتي لو أيدتموني فغزوت مملكة "أمورو" سواء بقوة السلاح أو بإيثارها لمسالمتي، وأفلحت في أسر ملك "أمورو"، فسوف ..... أغدق عليكم بسخاء، آه يا آلهتي!" بعد هذا القسم شرع "مواتاليس" في تنفيذ ما استقر عليه عزمه. ومن الشتاء إلى أوائل الربيع أحكم استعداداته (سنة ١٢٧٤ ق.م.)، واتصل بالملوك من حلفائه وأتباعه ليعد جيشا كثيفا مدربا، ربما كان أكبر جيش حشدته الامبراطورية الحيثية في تاريخها كله. وقد ورد في تقارير مصرية بعد ذلك أن هذه القوات حشدت من ست عشرة مقاطعة ومملكة حليفة سوى القوات الحيثية نفسها؛ وأن عدة هذه القوات ٢٥٠٠عربة قتالية وفرقتان من ١٨٠٠٠، و١٩٠٠٠ مقاتل على التوالي. وسواء أكان العدد صحيحا أم مبالغا فيه، فانه يدل على أن "مواتاليس" أفلح في جمع قوة ضاربة كبيرة ليضرب بها ضربته القاضية.[٤٥٣]

وقد كان الملك الحيثي "موتلي" قد استمال إلى جانبه أيضا بعض حكام الولايات المناوئة لمصر والطامحة في الخروج على سلطان الملك المصري، لذا أعد جيشا قويا جمعه من كل هذه الولايات ومن الجنود المرتزقة من جزر بحر "إيجه".[454] "ولم يترك بلدا أجنبيا واحدا دون أن يحضر جنودا من ذلك البلد البعيد ومعهم رؤساؤهم، وكل رجل مع مشاته، وكانت عجلاتهم كثيرة جدا وبدون حصر، وقد غطوا الجبال والوديان بسبب كثرتهم وكأنهم جراد" وهكذا ضمن الحيثيون لهم سندا من الأقوام المختلفة التي استقرت في آسيا الصغرى وسورية، ولكن التقرير المصري لا يرى فيهم حلفاء ولا حتى تابعين، وإنما يراهم مرتزقة، إذ ينسب جميع الحلفاء إلى الدافع المادي الذي قدمه الملك الحيثي، "فهو لم يترك فضة في بلده فقد سلبها كل ممتلكاتها وأعطاها لكل البلاد الأجنبية ليأتي بهم إلى القتال معه".[455] وتقدم الملك الحيثي إلى "قادش" التي تعتبر بمثابة بوابة سورية الشمالية.

من الجانب المصري:

في نهاية إبريل سنة ١٢٧٤ق.م ساد الهرج والمرج مدينة "برعمسيس" بشرق الدلتا فأخذت كتائب المشاة تحتشد وقوافل عربات القتال تلف وتدور ليروض سائقوها خيولهم الجامحة، وفتحت خزائن السلاح على مصراعيها لتتدفق منها السهام والسيوف والحراب والأقواس ليحصيها الكتبة المترسون ويسلموها للقوات كل حسب حصته. وعلى بعد

---

[452] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق ، ص٢٤٤.

[453] كيتشن، المرجع السابق ، ص٨٤، ٨٥.

[454] عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص٢٤٤.

[455] مهران، المرجع السابق ، ج٣، ص٣٥٢.

من الثكنات العسكرية كان الملك يشاور أركان حربه ويضع اللمسات الأخيرة لخطة سير الحملة الجديدة. واستقر الرأي على ان يقود الملك بنفسه الجزء الأساسي من الجيش عن طريق البر إلى "كنعان" ثم جنوب سوريا حتى يصل إلى "قادش" بينما تسلك القوات المعاونة (المدد) طريق الساحل الفينيقي، ثم تنحرف للداخل شرقا لتلتحم بالقوات الرئيسة بقيادة الفرعون في قادش، على أن يكون وصولها في نفس اليوم الذي تصل فيه القوات الأساسية.

خط سير المعركة:

أعلن "رمسيس الثاني" ملخص خط السير: "بعد أن أعد جلالته فيالقه وعرباته القتالية والشرادنا الذين جندهم جلالته بعد أن انتصر عليهم والجميع في السلاح والعدة، شرح لهم خطط الحملة ثم يمم جلالته شطر الشمال بقواته. وقد بدأت المسيرة بشكل جيد في السنة الخامسة في شهر الصيف الثاني، اليوم التاسع واجتاز جلالته القلعة الحدودية عند "سيلا"، جبارا مثل "منتو" عند ظهوره. وارتعدت فرائص البلاد الأجنبية كلها أمامه فسارع حكامها بحمل الجزية وبادر الثائرون بالاستسلام خوفا ورهبة من جبروت جلالته"[456]

خرج "رمسيس" الثاني على رأس جيشه الذي قسمه إلى أربع فرق :آمون، رع، بتاح، وست. وكان في معيته أحد الوزراء و بعض أولاده الصغار في حشد من أفراد العائلة الملكية، بالإضافة إلى عدد من حريمه وحرسه الخاص، راكبا عربته الذهبية المتلألئة ليقود معركته الشهيرة مع الحيثيين في قادش. فانطلق من "بررعمسيس" عاصمة البلاد الجديدة الواقعة شرقي الدلتا[457] في التاسع من بؤونة، الموافق التاسع عشر من أبريل، غادر الملك قلعة "جالو" (ثارو) التي تقع بجانب موقع قناة السويس الحالية وبدأ في قطع ما يزيد على مئات الأميال في الصحراء في طريق ألفه المصريون، كما أن "سيتي" كان قد أصلح خزانات المياه والآبار على جانب الطريق كي يتمكن مثل هذا الجيش الجرار من عبور الصحراء.[458]

وفي خط سيره مر بغزة ثم عبر كنعان بسرعة ثم صعد في طريق الجليل، ثم واصل هو وجيشه سيرهم حتى حتى منابع نهر الأردن فيما وراء بحيرة "الحولة"، وتجاوزوا بحيرة "الحولة"، صعودا إلى الممرات التي تخترق وادي البقاع العريض المرتفع بين سلسلة الجبال التي تفصل بين لبنان والأراضي غير اللبانية، وفي وادي البقاع العريض وصلوا إلى مدينة "رمسيس" التي تقع في وادي الأرز، وربما يقصد بها "كوميدي" وهي قريبة من عاصمة "أوبي" الإدارية. وتقدمت القوات بثبات: "اخترقت قواته الشعاب الضيقة، كما لوكانت تمشي في شوارع مصر"، وفي مدى شهر واحد فقط من مبارحة الأراضي المصرية أواخر مايو سنة ١٢٧٨ق.م. كان رمسيس في حملته الثانية الناجحة قد عسكر في خيمته على تل "كيموات هيرميل" جنوب قادش. "وبدا بهيا كأنه الشمس المشرقة، ولقد لبس درع مونتو وكان كل شئ يبدو مطمئنا صباح هذا اليوم على بعد أميال قليلة من قادش". لقد سار الملك "رمسيس الثاني" على الطريق الحربي التقليدي واتجه شمالا نحو الشاطئ السوري وظل يتوغل إلى أن وصل إلى وادي نهر العاصي، ثم وصلوا إلى قادش التي قدر لها من جديد أن تصبح الأرض التي احتدمت فوقها المواجهة بين الإمبراطوريتين حيث دارت رحى أشهر معارك تاريخ الشرق الأدنى القديم.

وتعجل الملك الشاب في الوصول إلى قادش، فسار في حاشيته وأركان حربه وحرسه الخاص ميمما نحو الشمال، تتبعه أولى فرق الجيش، فرقة آمون، أما الفرق الثلاثة الأخرى فكانت منتشرة على بعد عدة أميال من المقدمة، لذلك شرعت في التجمع تدريجيا قبل الزحف. وفي أثناء اختراق غابات "لابوي" للوصول إلى المخاضة عبر نهر العاصي بالقرب من "شبتونة"، وقع في أسر قوات الملك رجلان من قبيلة "الشاسو" من المنطقة الحدودية شبه الصحراوية، (شكل ٧٩) كان "موتلي" ملك الحيثيين قد كلفهما بالتجسس على الجيش المصري، وتعهد الرجلان أن يضمنا تأييد شيوخ قبيلتهما وولاءهم لمصر والانسلاخ عن الحيثيين.

وقد أدليا بمعلومات مضللة عن حقيقة موقع وتحصينات وعدد جيش الحيثيين فعندما أمر "رمسيس" باستجوابهما: أين كان هؤلاء الشيوخ؟ فأجاب الرجلان على الفور: "إنهم موجودون حيث يوجد إمبراطور الحيثيين، وأن الحيثيين الأعداء في "حلب" شمال "تونب"، وأن الإمبراطور يخشى التقدم نحو الجنوب منذ سمع أن الفرعون يزحف نحو الشمال". والظاهر أن "رمسيس الثاني" قد صدق ما أدلى به الجاسوسان من معلومات واتجه إلى موقع

---

[456] كيتشن، المرجع السابق ، ص٨٦،٨٥.

[457] جريمال، المرجع السابق، ص٣٢٨

[458] Petrie, op. cit., Vol. III, p.51

الحيثيين الذي حدداه، ذهب "رمسيس" في اتجاه الشمال إلى قمة التلال في قادش للوصول إلى نهر الكلب، ثم اتجه إلى وادي "عرونة".[459]

وقد سر الفرعون سرورا بالغا بهذه الأنباء، فالإمبراطور الحيثي قابع في الشمال وبينه وبين سوريا ١٢٠ميلا، ومتقاعس عن القتال لا يريد صداما وصدق الفرعون الخبر لأنه أراد تصديقه واعتبر أن ما قاله هو الحقيقة ولم يحاول الملك ولا مخابراته الاستمرار في استجواب الشاهدين أكثر من ذلك. واجتاز الملك المخاضة وهو فرحان ثم عبر السهل المؤدي إلى قادش، تتبعه عن قرب فرقة آمون وقد كان النصر سهلا في الحملة السابقة والآن تبدو الأمور حسنة واطمأن الملك ومرافقوه إلى ذلك ومضوا متفائلين وقد تركوا الحذر متجهين شمالا في السهل ليختاروا مواقعهم ويعسكروا شمال غرب قادش.

ما أن عبر "رمسيس" وحاشيته وفرقة آمون المصاحبة له الرافد الغربي عصر ذلك اليوم، حتى شرع الجميع في نصب معسكراتهم في مواجهة المدينة مباشرة، وقد جمح بهم الخيال فتصوروا أن بإمكانهم وضع الحصار عليها في اليوم التالي، واستقر الفرعون على عرشه الذهبي انتظارا لوصول الفرق الثلاث الأخرى.ولكن سرعان ما وقع شئ لم يخطر لهم على بال، فقد أرسل جهاز الاستخبارات العسكرية المصرية بعض الكشافين للاستكشاف والتجسس، وتمكنت إحدى الدوريات من أسر جاسوسين من جواسيس الحيثيين، فأحضروا بسرعة للمثول أمام الفرعون الذي عقدت الدهشة لسانه، فسألهم الفرعون: "من أنتم؟، فردوا: "نحن من جنود امبراطور الحيثيين! أرسلنا لنستكشف موقع جلالتكم"، فقال لهم: "وأين هو..أين إمبراطور الحيثيين؟ احترسا فقد سمعنا أنه في حلب شمال تونب"، فأجابا: "رويدا أيها الملك، إن امبراطور الحيثيين قد أتى فعلا بجيشه يوازره حلفاؤه من بلاد كثيرة... ولعلمك فهم معسكرون خلف قادش القديمة على تعبئة ومتهيئون للحرب والقتال".

واندهش الملك، فقد صدق أن الحيثيين في حلب على بعد مائتي ميل، وإذا بهم لا يفصله عنهم سوى ميلين اثنين، وغضب الملك غضبا شديدا وجمع هيئة القيادة العليا وقص عليهم هذا الخبر الرهيب: "انظروا يا حضرات حكام المناطق ويا كبار ضباطي لما يجري، لقد ظلوا (المخابرات) يرددون: "ها، إن امبراطور الحيثيين في حلب، بعيدا في الشمال؛ شمال تونب !.. والآن، في هذه الساعة، سمعت من هذين الجاسوسين الحيثيين، أن إمبراطور الحيثيين وحلفاءه في جيش جرار، وهم متوارون الآن خلف قادش القديمة، ومع ذلك لم يستطع قوادى وضباطي أن يكتشفوا أنهم أتوا!" وصب الملك جام غضبه على جهاز مخابراته. وحسب المعلومات الجديدة شرع رمسيس في اتخاذ إجراءات مضادة، فعالة وسريعة تحسبا لأي هجوم مفاجئ.[460]

وصف المعركة:

كان "رمسيس الثاني" قد جمع جيشا مكونا من عشرين ألف مقاتل، وكان عماد هذا الجيش- كما سبق- أربع فرق تحمل أسماء المعبودات المصرية "آمون، بتاح، رع، ست"، وكانت كل فرقة تتكون من خمسة آلاف مقاتل من المشاة والمركبات وقد جمع جيش آمون من أهل طيبة، وجيش "بتاح" من أهالي منف ومصر الوسطى، وجيش "رع" من هليوبوليس والدلتا، وجيش "ست" من تانيس والحلفاء الشرقيين. إلى جانب هذه الفرق الأربعة كان هناك الشردانا من البحر المتوسط، ويحتمل أيضا بعض الليبيين والزنوج المجندين، وكان عليهم الإسراع في السير لأن المعركة الحاسمة في قادش كانت سوف تبدأ في خلال شهر، لذا فمن المفروض أن يقطعوا خمسة عشر ميلا في اليوم حتى يتمكنوا من الوصول قبل أن يتجمع حلفاء الحيثي. وكان جيش الحيثيين يتكون من فرقتين كبيرتين يبلغ عدد جنود الفرقة الأولى ثمانية عشر ألف رجل والأخرى تسعة عشر ألف من الجنود بخلاف ألفين وخمسمائة مركبة.

نزل "رمسيس" إلى "الأورانتوس" وأتى إلى جنوب شبتونة وهي في وادي جنوب غرب قادش، ويفترض أن الحيثيين كانوا بعيدا وتقدموا حول النهاية الغربية من البحيرة ثم إلى الممر المرتفع إلى قادش للاستيلاء عليها. حتما كانت هذه هي الخطة للتقدم غربا إلى الأورانتوس كما أن الطريق العادي المنتظم إلى حلب يقع إلى شرق جيوش "خيتا" التي كانت بالفعل قد خرجت من المدينة إلى الشمال الغربي وهي ترى التقدم النهم للمصريين.[461]

---

[459] جريمال، المرجع السابق ، ص ٣٢٨ ؛ عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق ، ص٤٠٦، ٤٠٧؛ كيتشن، المرجع السابق ، ص٨٦، ٨٧؛ Petrie, op. cit., Vol. III, p. 52

[460] كيتشن، رمسيس الثاني المرجع السابق ، ص٨٧، ٨٨.

[461] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق ، ص٤٠٦؛

بدأت الجيوش في الاتجاه شمالا حتى إذا ما كانت إلي الجنوب من "شبتونة" كان مع "رمسيس" فرقة "آمون" ويفصله عن فرقة "رع" بضعة أميال، بينما كانت فرقة "بتاح" ما تزال متأخرة، أما فرقة "ست" فقد كانت بعيدة جدا بحيث لا تستطيع أن تقوم بدور في المعركة، ومن ثم لم يسمع عنها شيء بعد ذلك، ويرى "جدكه" أن تقدمه قد خطط أصلا على أن يسير في طريق مختلف تماما عن طريق بقية الجيش فبينما تقدم الجزء الرئيس من الجنوب خلال البقاع، اتخذت فرقة "ست" طريقها في "آمور"، في المنطقة شمال "بيبلوس"، وأن الطريق الأكثر احتمالا كان التوغل شمالا عن طريق نهر "الكلب" ووادي "اليوثيروس" (الليطاني) الذي يقود مباشرة إلى قادش والتي كانت قد اتخذت كمكان تجمع في إستراتيجية المعركة.[462]

عقد "رمسيس" مجلس حرب مع قواد جيشه على شاطئ في أرض "أمور" وكان وحده بينما كانت فرقة "أمون" تسير في الخلف وكانت فرقة "رع" تعبر الوادي متجهة ناحية "أرناما" وكانت فرقة بتاح في الوسط أما فرقة "سوتخ" فكانت على الطريق تراقب الاتصالات. أرسل "رمسيس" أحد الضباط ليتعجل القوات أو فرقة "بتاح" من "شبتونة" وكان الحيثيون يختبئون خلف "قادش" ثم تقدموا إلى قادش وتسللوا إلى الشمال من البحيرة عبر "حمص" وهاجموا الطريق ليشقوا الجيش المصري إلى جزأين واقتحموا فرقة "رع" في جنوب "شبتونة" أثناء السير وهم غير مستعدين فهزموهم وطاردوهم إلى اتجاه المكان الذي كان فيه رمسيس قريبا من قادش، فأرسل رسول من فرقة "رع" إلى "رمسيس" في هذا الوقت كان رمسيس في شمال غرب البحيرة مرابطا أمام قادش ينتظر الجيش ليخرج فأسرع عائدا إلى مكان الكارثة ليجمع الهاربين من فرقة رع على الطريق مندفعا إلى الجيش الحيثي الذين كانوا مضطربين من مطاردتهم وبمجرد اندفاعه أطاحت بهم للخلف حيث كان رمسيس مدعما بقواته الأخرى.[463]

وقد وصف الهجوم على الفرق السائرة في عديد من الروايات على جدران المعابد، يقول النص:" ثم أتوا صاعدا من الجانب الجنوبي لقادش وهاجموا جيش رع من الوسط كما كانوا يمشون غافلين وغير مستعدين للقتال، ثم ضعفت فرق المشاة والعربات لجلالته أمامهم فيعتقد مواتاليس أنه الهدف كان إرسال عرباته لاختراق فرقة رع فيقتل حوالي خمسة آلاف من الجيش بسحقة واحدة لكن لم يكن يهدف لتصفيتهم وقد عادت عربات الحيثيين بعد ذلك إلى معسكر الملك الذي كان قد بني ولم يحصن بعد".[464]

لقد تعرض المصريون لكمين أحكم تدبيره عندما وجه الحيثيون إلى فرقة "رع" ضربة أصابتها في الصميم بل وكادت أن تنشر الرعب في قلوب المصريين وأن تشيع روح الهزيمة بينهم وأن تجعل الفرعون محصورا بين الجنود الحيثيين، وهنا يتجه الفرعون إلى ربه يطلب نصرته، ويرجو عونه، وطبقا للنص المصري فإن الرب سرعان ما يستجيب إلى دعواته فيسمع الفرعون صوت أمون وهو يهتف ملبيا "أقدم فإني معك، وإني لأبوك، وإن يدي معك، وإني لأكثر نفعا لك من مئات الألوف من الرجال، إنني رب النصر الذي يحب الشجاعة".

ويتشجع الفرعون فينحط على جماعات كثيرة من الأعداء ويبدي شجاعة نادرة في تلك اللحظات العصيبة ويستطيع أن ينقذ نفسه من هذا المأزق الخطير، وفجأة يأتيه العون ممثلا في فرقة "نعرين" التي أتت من أرض "آمور" والتي عملت على تغيير ريح الحرب وتحويل الهزيمة إلى نصر[465] وهي من نخبة حرسه الخاص فوجد الحيثيون أنفسهم بين شقي الرحى[466] ونجح "رمسيس" في جمع شتات جنوده وإعادة تنظيم خططه في ضوء الواقع وطلب مددا من الفرق الأخرى ونجح في أن يلتحم مع العدو وكانت المعركة سجالا بين جيشين قويين.

وقد ذكر رمسيس في سجلات هذه المعركة أن ملك الحيثيين طلب منه العفو حتى لا يفنى ما تبقى من رعاياه وأنه قد قبل نصيحة مستشاريه بأن يتوقف عن القتال وأن يلتزم كل طرف بحدود ما قبل المعركة.[467] وبينما كان جيشه

Wilkinson, R.H., The Complete Temples of Ancient Egypt, p.229.,
Petrie, op. cit., Vol. III, p.51- 54.

[462] مهران، المرجع السابق ، ج٣، ص، ٣٥٣.

[463] Petrie, Ibid, Vol. III, p. 52- 54.

[464] Bootright, op. cit., p. 3.

[465] مهران، المرجع نفسه ، ج٣، ص، ٣٥٤

[466] Wilkinson, Ibid., p.229.

[467] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق ، ص٤٠٧

يتقدم إلى الضفة الغربية للأورانتوس قادهم مرة أخرى إلى الضفة الشرقية فهرب بعضهم سباحة وعاود معظمهم الالتحاق بالمشاة وكانوا مطاردين من الملك إلى ملتقى الطرق، ومن المحتمل أن يكون مكان اللقاء الكبير هو "حمص" حيث فر الحلفاء إلى مواطنهم ولم تكن هناك أية قوة لتتم مطاردتها. وقد فر قائد "خيتا" عائدا بطول الجانب الشمالي لمدخل قادش ولكنه استسلم لبقية الحامية.[468]

وانسحب "رمسيس الثاني" وأنقذ جيشه، وبمجرد أن أعرض عن الحيثيين قام "مواتلي" بعزل "بنتشينا" أمير "أمورو" ونصب مكانه "شابيلي" ليقضي بذلك على وجود إقليم "أبا" فأقام في سوريا سدا منيعا حقيقيا للتصدي لمصر. وفي غضون ذلك تطورت الأوضاع بين الحيثيين و"آشور" وقام "أدادنيراري" الأول بإخضاع "هانيكالبات" الواقعة بين دجلة والفرات وهي بمثابة قلب دولة ميتاني وكانت قد انحازت إلى جانب "مواتلي".[469]

أسباب انتصار "رمسيس":

- أولا: تباطؤ جيش الحيثيين وانهماكهم في جمع الأسلاب والغنائم من فرقة "رع" .
- ثانيا: وصول فرقة "نعرين" في الوقت المناسب.
- ثالثا: شخصية كل من الملكين المصري والحيثي كقائدين، فشجاعة "رمسيس" الثاني كانت العامل الأول في إحراز النصر؛ وأما الملك الحيثي فلم تكن لديه الكفاءة لإدارة للمعركة فيظهر عاجزا عن أن يرسل مشاته بعد أن قضت عجلاته على فرقة "رع". وقد ناقش الميجور "برن" ذلك وخلص إلى أنه ربما كانت مخاضة "شبتونة" أعمق مما يجب على المشاة وأنه لم يستطع أن يقنع مشاته بعبورها وربما كان الرجل يفتقد تلك الهبة العالية في القائد، فضلا عن الحزم وحسن التصرف في اللحظات الحاسمة ومن ثم فإن فرقة خيالته التي كثر عددها قد اختفت في غبار المعركة.

نتائج المعركة:

لم تكن النتائج السياسية في مستوى النصر العسكري حتى أن الحدود بين الدولتين بقيت في موقعها عند نهر الكلب في فينيقيا تماما كما كانت قبل المعركة.[470] وقد عادت الجيوش المصرية إلى طيبة واستقبلت استقبال المنتصرين وعمت الاحتفالات كل أرجاء مصر وتغنى الشعراء بهذا الانتصار وتذكر النصوص عودة الملك إلى وطنه ومعه أسلاب كثيرة لم ير مثلها منذ الزمن الأول وكذلك الأسرى الأحياء الذين أبقى عليهم وتصف حفل استقبال الجيش المصري المنتصر. وقد شارك الشعب في هذا الاستقبال فشبان المدينة المنتصرة يرتدون ملابس الأعياد ويتحلون بالزينة ويحملون باقات الزهور.

أما الحيثيون فقد تيقنوا أن جيش مصر ليس بالجيش الذي يقهر وفضلوا أن ينشدوا ود مصر وأن يعقدوا معها معاهدة سلام تلك التي عقدت بين الملك "رمسيس الثاني" في العام الحادي والعشرين من حكمه وبين الملك "خاتوسيلي" وأراد الملكان تأكيد حسن النية فقام الملك الحيثي بتزويج إحدى بناته للملك "رمسيس الثاني" وهو الحدث الذي سجل على جدران معبد "أبو سمبل" الكبير. لقد دام حكم الملك "رمسيس الثاني" سبعة وستين عاما كانت من أكثر فترات الحكم قوة وازدهارا حيث حققت لمصر انتصارات عسكرية هامة وثبتت حدود إمبراطوريتها.[471]

---

[468] Petrie, op. cit., Vol. III, p. 53, 54.

[469] جريمال، المرجع السابق ، ص٣٣٣

[470] مهران، المرجع السابق ، ج٣، ص، ٣٥٥؛
A. Burn, ***JEA***, 7, 1921, The Art of War on Land, , p. 194, 195, pp. 36,47

[471] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٤٠٧، ٤٠٨.

تخليد ذكرى المعركة:

معركة قادش في نظر رمسيس الثاني هي من أعظم المآثر الحربية التي وقعت في عهده وسجلت وقائع المعركة مرارا وتكرارا على جدران معابده المختلفة فدونت على الجدار الخارجي من معبده في "أبيدوس"، وفي ثلاثة مواضع مختلفة من معبد "آمون رع" بالكرنك؛ في الركن الشمالي الغربي من فناء الخبينة، والواجهة الغربية من الجدار الغربي من فناء الصرح التاسع، والنسخة المعاد نقشها على السطح الخارجي من الجدار الجنوبي من بهو الأساطين. كما سجلت مرتين في معبد الأقصر، الأولى على سطح البرج الشمالي من صرح المعبد، والأخرى على جدران الفناء الأمامي. وقد دونت أيضا على برجي صرح "الرمسيوم". وأخيرا في معبد "أبو سمبل" على الجدار الشمالي من القاعة الكبرى. (الأشكال ٨٠- ٨٩)

هذا بالإضافة إلى النسخ المدونة على لفافات البردي، وهي بردية "ريفه" Raifé ، وبردية "ساليه الثانية Sallier II، وظهر بردية "شيستر بيتي" الثالثة Chester Beaty III . ويمكن القول بأن عدد ما وصلنا من روايات عن معركة قادش يبلغ حوالي ثلاث عشرة رواية، وقد تضافرت ثلاثة فنون أدبية في عرض هذه الروايات، هي فن الشعر والفن الوثائقي وفن التمثيل.[٤٧٢]

سجلت على صرح الرمسيوم أسماء القتلى من عائلة زعيم "خيتا" وقواده وحلفاؤه وهي كالتالي:

- "سيباجار": أخو زعيم خيتا .
- "ماجاريما": أخو زعيم خيتا
- "ثيدور": قائد حرس زعيم خيتا.
- "جرباتوزا": حامل تروس زعيم خيتا.
- "تارجا نوناسا": قائد العجلة الحربية لزعيم خيتا.
- "بايسا": قائد العجلة الحربية لزعيم خيتا.
- "خيرباسار": قائد سجلات زعيم خيتا.
- "زاواز اسا": زعيم أرض "تانوسا".
- "تارجا- بازاسو": قائد الرماة في "ناقسو".
- "أجما": قائد رماة "ناسا".
- "راباسونا": قائد رماة ناسا.
- "قامايزا": قائد رماة "توهايرو".
- "تادار": قائد رماة توهايرو.
- "ساماريتس": قائد رماة توهايرو.[473]

حملة العام السابع:

في العام السابع من حكم الملك "رمسيس الثاني"، اتجه مرة أخرى إلى سوريا وكان عليه أن يحسب حساب مملكتي "مؤاب" و"أدوم صير" الحديثتين الدائرتين في فلك الحيثيين بالإضافة إلى جماعة "الخاسو" التي أخذت تغير على أرض "كنعان".

وصف المعركة:

قسم الملك "رمسيس الثاني" قواته إلى جيشين في حركة كماشة بارعة. وقاد الجيش الأول "آمون حر خبش إف" فطارد الخاسو في "النقب" وحتى البحر الميت واستولى على "أدوم صير" واخترق أراضي "مؤاب" حتى وصل "ربة بترو". وفي غضون ذلك زحف رمسيس الثاني على "أورشليم" و"أريحا" واجتاح "مؤاب" من ناحية

[472] جريمال، المرجع السابق ، ص٣٢٨

[473] Petrie, op. cit., Vol. III, p. 54

الشمال واستولى على "ديبون" ثم التقى بقوات "آمون حر خبش اف"، وزحف الجيشان معا على "حاصبيا" ودمشق عبر أراضي "عمون" واستوليا على "كوميدو". وهكذا سيطر المصريون على إقليم "أبا" من جديد.[٤٧٤]

حملة إلى بلاد الشام:

في العامين الثامن والتاسع من حكم الملك "رمسيس الثاني" اندلعت الثورة في فلسطين، وقد كان ذلك بتحريض من الحيثيين الذين سعوا لإثارة الفتن والاضطرابات هناك بدلا من الصدام المباشر مع المصريين.[475] جرد "رمسيس الثاني" حملة جديدة إلى بلاد الشام عبرت جبال الجليل واحتلت عكا ثم زحفت في اتجاه الشمال بمحاذاة الساحل. واستولى المصريون في أثناء تقدمهم على "صور" و"صيدا" و"بيبلوس" و"أرقت" و"سيميرا" إلى الشمال من نهر الكلب وواصلوا السير حتى "دابور" حيث أقيم تمثال لرمسيس الثاني.[٤٧٦]

ويوثق أخبار هذه المعركة نقش في معبد الرمسيوم على الجانب الغربي من النصف الجنوبي للحائط الشرقي من الصالة، هذا النقش يمثل مهاجمة مدينة "دابور" في الجليل حيث يرى "رمسيس" مرسوما بحجم ضخم وهو يهاجم الأعداء من اليسار بعربته الحربية وخيوله المندفعة وقد أوقع بإحدى عربات العدو وداس عليه. وعلى اليمين منظر مهاجمة القلعة بواسطة السلالم الصاعدة وبالحصار، بينما نشاهد الجنود السردينيين الذين يتميزون بقلنسواتهم ذات القرون يساعدون جيش فرعون في المعركة، كذلك نرى في هذا النقش أولاد الملك "رمسيس الثاني" وهم يقومون بذبح الأعداء في الميدان المكشوف ويقومون في نفس الوقت بالهجوم على المدينة.[٤٧٧] (شكل ٩٠، ٩١، ٩٢)

وصف الحملة:

وصل الجيش أخيرا إلى "تونيبو" التي لم تشاهد مصريا منذ أكثر من مائة وعشرين سنة. واستطاع رمسيس الثاني أن يعزل قادش وأمورو عن الشمال مستغلا المشكلات المتزايدة التي أحدقت بالحيثيين ودفعتهم إلى التقهقر في سوريا حيث استعاد "بنتشينا" سلطاته بفضل التقدم الذي أحرزته القوات المصرية، كما سجلوا تراجعا أيضا في "نهارين".[٤٧٨] وقد سجلت على صرح الرمسيوم قائمة بأسماء الأماكن التي استعيدت في هذه الحملة وهي تتكون من ستة صفوف، يحتوي كل صف على ثلاثة حصون كالتالي:

- الصف العلوي: شالما (خربة سلامة)، وهو الاسم الوحيد المقروء.
- الصف الثاني: "بايكا" (بكا) وهي منطقة واقعة جنوب غرب "مجدو".
- الصف الثالث: "...رثا" و"ماروما" (بحيرة ميروم).
- الصف الرابع: "في أرض أمور، دابور" (تابور) التي يفترض أن تكون شمال سورية.

هذه القلاع كانت كلها في نطاق خمسين ميلا إلى منطقة الجليل، ويبدو أنه توقف على بعد أكثر من خمسة أميال ولم يحاول الوصول إلى وادي "الأورانتوس" (العاصي) عبر لبنان. وفي العام التاسع تم حصار "عسقلان" الذي صور على لوحة بالكرنك ولم يؤرخ ولكن "ماسبيرو" يشير إلى أنه كان في العام التاسع.[479] وقد سجل الملك "رمسيس الثاني" أخبار تلك الحملات على الجدران الداخلية لمعبد الأقصر، فعلى الحائط الغربي من المعبد وراء الصرح سجل أخبار حملته على "تونيب" فيظهر وهو يهاجم المدينة ويرمي العدو بسهامه، ويتلقى الأسرى ثم يعود منتصرا. ثم يظهر بعد ذلك وهو يسوق الأعداء إلى مدينتهم. ثم يظهر وهو يهاجم مدينة "ساترنا"، كما يرى منظر مكان مخرب، ويتقدم الجيش الملكي بعدئذ إلى لبنان بينما يحضر أولاد الملك الأسرى الآسيويين.[٤٨٠]

[474] جريمال، المرجع السابق، ص٣٣٣، ٣٣٤
[475] مهران، المرجع السابق، ج٣، ص، ٣٥٦
[476] جريمال، المرجع نفسه، ص٣٣٦
[477] جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٣، ص١١٨.
[478] جريمال، المرجع نفسه، ص٣٣٦

[479] Petrie, op. cit., Vol. III, p.61

[480] جيمس بيكي، المرجع نفسه، ص٣٠

حملة "رمسيس الثاني" على "أدوم" و"مؤاب":

استطاع "شالمناصر" الأول بعد أن تبوأ عرش آشور أن يخضع "هانيكالبات" إخضاعا تاما ونهائيا، وحاصرت التهديدات الخارجية إمبراطورية الحيثيين، أما التهديدات الداخلية فلا تقل عنها خطورة حيث تفجرت أزمة داخل الأسرة المالكة عقب وفاة "موتلي" فاغتصب ابنه غير الشرعي "أورهي تشوب" عرش البلاد من عمه "خاتوشالي" وقام بنفيه إلى "هابكيس". جلس "أورهي تشوب" على عرش البلاد واختار لنفسه لقب "مورشالي الثالث"، وترك لملك "قرقميش" مهمة مواجهة المصريين والتصدي لهم وحاول استرداد "هابكيس" من عمه ولكنه هزم وهكذا استعاد "خاتوشالي" الثالث عرشه ونفى ابن أخيه إلى شمال سوريا حيث حاول أن يوطد علاقاته مع بابل فسعى إلى عقد اتفاقية مع "شالمناصر".

لجأ "أورهي تشوب" إلى مصر في العام الثامن عشر من حكم الملك "رمسيس الثاني"، وطالب "خاتوشالي" الثالث بتسليمه فاستنفر "رمسيس" قواته وشن حملة على "أدوم" و"مؤاب" لسحق تمرد الأمراء المحليين ثم عاد إلى مصر عبر أرض كنعان. وبعد مرور ثلاث سنوات وقع مع "خاتوشالي" الثالث أول معاهدة في التاريخ بين دولتين واحتفظت كل من عاصمتي الإمبراطوريتين بنسخة من المعاهدة المدونة بلغتها الخاصة. والنسخة المصرية صورة من النص الأصلي الذي كان محفورا على لوح من الفضة وقد نقلت على لوحين من الحجر، الأول في الكرنك والثاني في معبد الرمسيوم. وتضم المعاهدة بنودا خاصة بتسليم المنشقين السياسيين كما وضعت الأسس الراسخة لسلام دائم والدليل على ذلك أنه لم تحدث مواجهات عسكرية بين البلدين طوال ما تبقى من حكم رمسيس الثاني.[٤٨١]

حملة رمسيس الثاني على "بيسان":

هناك ما يشير إلى حملة حربية قام بها "رمسيس" الثاني في عام حكمه الحادي والعشرين في منطقة "بيسان".وكان من نتائج الحملات الآسيوية وانتصار رمسيس فيها أن تحطمت الأحلاف التي أقيمت ضد مصر عام ١٢٨٨ ق.م. ونتج عنها أيضا أن جيء بعدد كبير من أسرى الحروب، وقد خلد رمسيس أعماله على ما يقرب من خمسين جدارا في المعابد المنتشرة في أنحاء مصر.[٤٨٢] (الأشكال ٩٣- ١٠٢)

وقع على "رمسيس الثاني" عبء مواجهة تحركات "التحنو" و"التمحو" وما يليها غربا من مجموعات بشرية يظهر اسمها لأول مرة في النصوص المصرية في ارتباط مع ليبيا، "الليبو" و"المشوش" الذين تحت الحاجة والقحط تحركوا شرقا لغزو الدلتا بهدف الاستيطان بها. وقد ظهر اسم الليبو (الريبو) ضمن نصوص "أنشودة النصر" (بردية أنستاسي الثانية) وعلى لوحة له من الجرانيت عثر عليها في برج العرب بالقرب من العلمين كتسمية للأرض الواقعة إلى الغرب من النيل والتي اشتق منها الاسم الحالي "ليبيا". وقد وجدت هذه اللوحة بقلعة في العلمين من عهد "رمسيس الثاني"، وهي تشير إلى حروب ليبية، ربما كانت تقع هذه القلعة في المسافة بين التحصينات التي على طول الساحل من راقودة حتى "زاوية أم الرخم"، مثل هذه التحصينات كانت تعتبر جزء من الخطوط الدفاعية ضد الليبيين، ويحتمل أن تكون قد استخدمت في وقت مبكر من عصر الأسرة التاسعة عشرة.[٤٨٣] (شكل ١٠٣)

وتعددت الإشارات العامة من فترة حكم "رمسيس الثاني" عن حروبه ضد الليبيين خاصة ما ورد ضمن نصوص لوحة أسوان من عامه الثاني التي ورد فيها ما يفيد هروب التحنو خوفا منه، وبالمثل ضمن نقوش معابده بالنوبة وضمن نصوص لوحة له من "تانيس" عن انتصاراته على "التحنو" وحلفائهم من "الشردن". كما وردت إشارة من عامه الرابع والأربعين عن استخدامه الأسرى الليبيين من التحنو في أعمال التشييد لمعبده في وادي السبوع بالنوبة السفلى.

ويظهر "رمسيس الثاني" ضمن مناظر معبده في "أبو سمبل" واقفا على جسد ليبي مطروح أرضا بينما يطعن ليبيا آخر- ممسكا بقوس صغير الحجم- بحربته دلالة رمزية على الانتصار على الليبيين (شكل١٠٤) ومصحوبا بنقش

---

[481] جريمال، المرجع السابق ، ص٣٣٤- ٣٣٦؛ *KRI*-II, 225-232

[482] مهران، المرجع السابق ، ج٣، ص، ٣٥٦؛ محمد فتحي عوض الله، أبو سمبل بين الصخر والإنسان، القاهرة،١٩٧١، ص ١١٠.

[483] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق ، ص١٥؛ G. Morkot, op. cit., p. 6, 7.

يعكس تطبيق سياسة الترحيل بهدف التغيير الديموجرافي قصد بها هنا التحكم في توزيع العناصر الأجنبية الأصل داخل الوطن. ويظهر نقش على الجدار الأيمن من فناء معبد بيت الوالي "رمسيس الثاني" ممسكا بيده اليمنى بسيف الحرب وباليسرى يقبض على أسير من التحنو من شعر رأسه الذي يبدو رافعا يده باتجاه الملك في استعطاف ومصحوبا بكلبه المشارك هنا في المنظر في القبض على العدو. (شكل ١٠٥) ويتضمن النص المصاحب للمنظر إشارة إلى الملك باعتباره "عظيم الرعب والأسد المنتصر" وأن سيفه أطاح بأرض التحنو المتمردة وبالمثل بالأقواس التسع.

وفي منظر آخر بنفس المعبد في بيت الوالي يبدو "رمسيس الثاني" واقفا على موطئ قدم مستقر على أجساد الأعداء من الآسيويين والليبيين وقابضا بيده اليسرى على شعر رأس أسيرين قيدت أذرعهما بحبل يمتد إلى اثنين من الأسرى الآخرين مواجهين لهم تبدو عليهما الملامح النوبية والليبية. كما حفظت المناظر على جدران صالة الأعمدة لمعبد الملكة نفرتاري في أبو سمبل شكلا ملكيا لرمسيس الثاني مصحوبا بزوجته أثناء تضحيته بنوبي أمام "آمون" وبليبي أمام "رع".[٤٨٤]

معركة في "كوش":

هناك منظر في معبد "أبو سمبل" يشاهد فيه الفرعون وبيده القوس، يقود صفين من الأسرى السود يقدمهم إلى ثالوث طيبة (آمون وموت وخنسو) وقد كتب فوق المنظر: "أحضر الإله الطيب الجزية لوالده أمون رع، رب طيبة، بعد وصوله من بلاد "كوش"، هازما الأقاليم الثائرة، ومحطما الآسيويين في أماكنهم، وتشمل فضة وذهبا ولازورد وملاخيت، وكل حجر ثمين، بمقدار ما كتبه له آمون من قوة ونصر على البلاد كلها، وعلى رؤساء "كوش" الخاسئة، الذين أحضرهم جلالته من انتصاراته في بلاد كوش، ليملأوا مخازن والده الفاخر، أمون رع، سيد طيبة، هم بقدر ما أعطاه من قوة على الجنوب، ونصر على الشمال، إلى أبد الآبدين".[485]

أما في معبد بيت الوالي فقد زخرفت الجدران بنقوش بارزة تمثل غزوات "رمسيس الثاني" في حروبه ضد النوبيين، فهناك منظر يمثل هجوما على قرية نوبية في أقصى الجنوب، ويعلو صور العدو فيه نص يقول: "الذين يعتدون على حدوده" مما يشير إلى أنها حملة تأديبية على الحدود، وتظهر النقوش والمناظر على الجدار الجنوبي انتصاراته على الإثيوبيين، فيشاهد "رمسيس" وهو في عربته الحربية وهو ينقض بقوة على جيش الإثيوبين الهارب ويطلق عليهم وابلا من السهام من قوسه ويرى خلفه اثنان من أبنائه الكثيرين الذين لا يقعون تحت حصر وهما "أمون حر لو" و "خع ام واست" في عربتيهما مع رجالهما وهم يهجمون على مجموعة من الزنوج المسلحين بالأقواس والسهام وهم يفرون إلى معسكرهم وسط النخيل، ويحمل محاربان زنجيان زميلهما الجريح، ويشاهد حاملو الأقواس والنبال من الزنوج مبعثرين ومشتتين أمام هجماته وراحوا يلتمسون معسكرهم بينما الأطفال والنساء يجرون على غير هدى والرعب يتملكهم. (شكل ١٠٦)

وبعد ذلك نرى نتائج النصر بعد نشوب المعركة حيث يشاهد "رمسيس" وهو جالس تحت مظلة بينما يتقدم نبلاؤه وحكامه ويقدمون له جزية الإثيوبيين المقهورين الماثلين أمامه، فضلا عن منضدة بديعة تتدلى منها جلود مزينة بالزهور يحملها الحاكم المصري بنفسه ونرى حاكم كوش المدعو "أمون ام أوبت"، في موضع متميز كالعادة، وقد أدرجت الجزية في سجلين حيث يدون في السجل الأعلى وحيث تظهر الرسوم الخواتم الذهبية وجلود الفهود والدروع والمقاعد والمراوح وريش النعام وأنياب الفيلة والثيران وأسد وغزال مع مجموعة من الجنود الزنوج المسلحين بالحراب كدليل على استخدامهم في الحملات التأديبية ضد بلادهم، وأيضا كشاهد على اطمئنان الحكم المصري في الجنوب وقتذاك.

ويشاهد في الصف الأسفل الأسرى والثيران حيث يرى أحدهم بقرنين على شكل يدين مرفوعتين بينهما رأس زنجي، وقرود وفهد وزرافة ونعامة وبعض الأسرى النساء تحمل إحداهن طفلها في سلة على ظهرها وتسندها بواسطة حزام ملتف حول جبهتها كما تحمل زوجة صياد السمك سلتها.[٤٨٦]

---

[484] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص١٥، ١٦.

[485] مهران، المرجع السابق، ج٣، ص٣٧٠- ٣٧٢.

[486] جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٥، ص٨٩، ٩٠؛ مهران، المرجع نفسه، ج٣، ص ٣٧١، ٣٧٢.

وقد نقشت جدران معبد "الدر" برسوم لحملات "رمسيس" الثاني المهمة في النوبة تشبه كثيرا تلك التي في بيت الوالي. ولعل مما يجدر ملاحظته أن النوبة السفلى (واوات) لم تذكر مطلقا في سجلات هذه الحملة كعدوة للفرعون فلقد أصبحت النوبة السفلى تعتبر وكأنها جزء من مصر، وقد تمصر أهلها إلى حد كبير وكان لزعمائهم أسماء مصرية، هذا فضلا عن أنها كانت تزود مصر بالجنود والذهب، ومن ثم أصبحت وظيفة حاكم "كوش" من أهم وظائف الدولة.[487]

كما يذكر أحداث هذه الحملة أيضا المخطوط رقم ٤٧٧ في أسوان وهو مؤرخ بالسنة الثانية لحكم "رمسيس الثاني"، "لقد جاء الأجانب إليه يحملون أطفالهم ملتمسين الحياة. إن صيحة الحرب التي أطلقها في بلاد النوبة كانت مدوية وقوته كانت تجبر الأعداء على الركوع أمامه".[488] كما ظهر له نقش في حملة على النوبة بمعبد العمارة غرب (شكل ١٠٧)[489]

معركة بحرية ضد "الشردانا":

بحلول العام الثاني من حكم الملك "رمسيس الثاني" وقبل أن يواجه الحيثيين اضطر إلى التصدي لغارة القراصنة "الشردانا" فهزمهم في معركة بحرية وضمهم إلى جيشه. وكانت هذه أول إشارة حقيقية للتهديد المطروح بتفكيك التحالف للمهاجرين من الشعوب الهندوأوروبية الذي يضم "الأقاوشة" و"الشكلش" و"الثكرت" و"الوشوش" و"التورشا" و"الشردن" و"اللوكا" و"الدينين"، الذين وصفهم المصريون بشعوب البحر أو الشماليين. وقد قام "رمسيس الثاني" ببناء سلسلة من القلاع على طول الساحل الشمالي الغربي في محاولة لمنع تسلل الشماليين.[490]

في عهد الملك "مرنبتاح":

حملته ضد تمرد بعض قبائل فلسطين:

تتوالى الانتصارات ويتولى بعد "رمسيس الثاني" ابنه الملك "مرنبتاح" عرش البلاد وهو الذي واجه تمرد بعض قبائل فلسطين ومن بينهم قبيلة "إسرائيل" ويبعث مرنبتاح بجيش قوي يقضي على هذه القبائل، وتذكر اللوحة التي تسجل انتصارات الملك (شكل ١٠٨) أن الجيش المصري قد قضى على بذرة مجموعة من القبائل من بينها "إسرائيل" وحقق الجيش المصري انتصارا باهرا في فلسطين وانتصارات أخرى على بعض الشعوب الهندوأوروبية القادمة من ناحية الحدود الغربية ويقضي عليها هي الأخرى.[491]

إخماد ثورة في غرب آسيا:

في العام الثالث من حكم الملك "مرنبتاح" شبت ثورة في آسيا الغربية مما اضطره للخروج إليها وإخمادها، وإن كان هناك من يفسر أنها كانت بسبب شعوب البحر ويرى أن النصوص المصرية تذهب إلى أن هؤلاء المغيرين قد وصلوا إلى الحدود الشرقية في العام الثالث من حكم "مرنبتاح" وأنه قد خرج إليهم وقاتلهم قتالا مريرا، ثم زحف إلى فلسطين وسورية لينزل بهما العقاب بسبب سماحهم للمغيرين بالتقدم في أراضيهم حتى وصلوا إلى مصر، خاصة أن سورية وفلسطين كانتا تابعتين للإمبراطورية المصرية.

سجل "مرنبتاح" نشاطه في السنة الخامسة من الحكم في لوح إسرائيل، حيث جاء فيه: "لا يرفع واحد رأسه من بين الأقواس التسعة، الخراب للتحنو، وبلاد خاتي قد أسكتت، ونهبت كنعان وأصابها كل شر، وأخذت عسقلان، وقبض على جازر، وصارت ينوعام كأن لم يكن لها وجود، وخربت إسرائيل وزالت بذرتها، وأصبحت "خارو" أرملة لمصر".

---

[487] مهران، المرجع السابق، ج٣، ص ٣٧١، ٣٧٢.
[488] جيمس بيكي، المرجع السابق ، ج٤، ص٢٠٩.
[489] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق ، شكل ٢٣١.
[490] Shaw, Ian, Egyptian Warfare and Weapons, Princes Risborough, 1961, p. 60
[491] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق، ص٤٠٨

وقد حاول المؤرخون إلقاء ظلال الشك حول ذهاب "مرنبتاح" لسورية قبل محاربته لليبيين في السنة الخامسة من حكمه بدليل عدم وجود ما يثبت ذلك هناك فضلا عن علاقته الطيبة بالحيثيين، غير أن جمهرة المؤرخين يكادون يجمعون على خلاف ذلك، وأما أن "مرنبتاح" قد مارس نشاطا حربيا في فلسطين فيؤكده نعت "قاهر جازر" هذا فضلا عن أنه من العسير أن يوافق أحد على أن يكون نص لوح إسرائيل مختلقا.[492]

هذا بالإضافة إلى النقش الموجود بمعبد عمدا الذي ذكر فيه: "...أرض السهول والمرتفعات في سورية في أبعد ظلمات، لقد جرفهم مرنبتاح بنفخة واحدة من فمه.... هو يحرس مصر ويحمي أرض النيل، يتجاهل الآسيويين ويجعل الحيثيين يأتون جريا على أقدامهم كعدو الكلاب، هؤلاء الذين عرفوا أن مصر ليست هي التي تأتي وفقا لهواهم عبر اسمه. من يجعل الأرض في سلام يجعل مصر في بهجة عارفا بما يلائمها".[493] وقد سجل الملك "مرنبتاح" أخبار حملاته في النقوش فضلا عن لوح إسرائيل. (أشكال ١٠٩- ١١٢)

بدأت البلاد تتعرض للخطر الليبي عندما انضمت إلى الليبيين شعوب بحرية قادمة من البحر المتوسط أخذت تتدفق على الدلتا من "سردينيا" في الغرب إلى آسيا الصغرى في الشرق، ويبدو أن أخريات أيام "رمسيس الثاني" الهادئة قد أعطت قبائل الليبو فرصة إخضاع "الماشوش" والحصول على تأييد بعض قراصنة البحر المتوسط، وتدمير القلاع والحصون ثم الاندفاع بقواتهم صوب الواحات الشمالية، وسرعان ما تحركت هذه الشعوب إلى الشاطئ الإفريقي تجري في ركابها النساء والأطفال على عربات تجرها الثيران (شكل ١١٣)، ثم اختلطوا بالسكان الأصليين وأجبروهم على الخضوع لهم.

وأخيرا تحركت هذه الجموع طامعة في أن تعبر البراري إلى الدلتا، وأن تستقر في أرضها الخصبة، وعلى أية حال فإن الليبيين وهم العنصر الرئيس في هذه الحرب، لم يكونوا من الليبيين الذين يقطنون الصحراء والذين كانت تربطهم بمصر صلة وإنما كانوا في أغلب الأمر من منطقة "برقة" المشرفة على البحر، وقد هاجموا "التحنو" في طريقهم إلى مصر وأن شعوب البحر الذين حرضوا الليبيين على هذه المغامرة وكانوا حلفاء لهم فيها يتكونون من "الشردان" و"الشكلش" و"لوكا" و"تورشا" و"الأقاوشا" وآخرين.

وتتجه النصوص المصرية إلى أن الهجوم إنما كان في منطقة الفيوم وجنوبها، وربما كان في واحة الفرافرة أكثر منه على حدود الدلتا الغربية، ذلك أن الليبيين حين هاجموا الحدود الغربية كانت خطواتهم الأولى احتلال واحتي البحرية والفرافرة حتى يجعلوا منهما مركزا لاعتداءاتهم المقبلة وقد سجل "مرنبتاح" هذه الحقيقة في نقوش الكرنك حيث يقول: "لقد وصلوا إلى تلال الواحة واستولوا على إقليم الفرافرة (تا احت)" والواحات في الصحراء كالجزر في المحيطات تعتبر كملجأ، بل هي أرفع منزلة في أهميتها الحربية، ففيها الماء الذي يجعل الصحراء تحت إدارته التامة كما يجعل القوافل تحت رحمته. غير أن هناك عقبات تحول دون وجهة النظر هذه، منها دليل الأسماء الجغرافية، ومنها أن القوات العسكرية الكبيرة تصل عادة إلى مصر على طول ساحل البحر، ولكن بالكاد خلال الصحراء، ومنها وجود شعوب البحر ضمن الغزاة واهتمامهم الواضح بمواني مصر البحرية يوجههم نحو الدلتا وبخاصة المنطقة حول الإسكندرية.[494]

الغزو الليبي الأول في عهد "مرنبتاح":

كانت أول محاولة للغزو الليبي في فترة حكم "مرنبتاح" في العام الرابع من حكمه استنادا إلى نصوص لوحته في "عمدا" بالنوبة وإضفاء صفة "قامع الليبو" hf˓ Rbw عليه. وأوضحت نصوص تلك اللوحة أن "الملك أحيط علما باعتداء العدو (الليبي) على wpt t3 "حدود الأرض" في مدينته الجنوبية في العام الرابع، الشهر الثاني، من موسم الحصاد، اليوم الأول.

وعندئذ قام جيش جلالته القوي بهزيمة قادة الليبيين التعساء ولم ينج منهم أحد ولا في أرضهم، وأنه تم صلبهم على قمم الأشجار إلى الجنوب من مدينة "منف" وأنه تمكن من إخضاع "الأقواس التسع" وعاد الأمن إلى "تا

---

[492] مهران، المرجع السابق ، ج٣، ص، ٣٦١

[493] ***KRI***, Vol. IV, p.1, 2.

[494] محمد بيومي مهران، المرجع نفسه ، ج٣، ص، ٣٦٥- ٣٦٧.

مري". وبالرغم من الخسارة التي لحقت بالليبيين خلال محاولتهم الأولى لغزو مصر في عهد الملك "مرنبتاح" إلا إن ذلك لم يمنعهم من تكرار المحاولة ثانية في العام التالي مباشرة فيما يعرف بحملة العام الخامس أو الغزو الليبي الثاني.

الغزو الليبي الثاني في عهد "مرنبتاح":

في العام الخامس من حكم مرنبتاح كان عليه هذه المرة مواجهة تحالف "التحنو" (الليبيين) و"المشوش" مع شعوب البحر، وشعوب البحر هم عبارة عن تحالف واسع من الشعوب المهاجرة التي ربما تعود أصولها إلى الإيجيين، وسكان آسيا الصغرى وبعض المناطق الأخرى في شرق البحر المتوسط. وكان هذا التحالف مثلما حفظته لنا نقوش معبد الكرنك مكونا من "الليبو" و"المشوش" و"الكهك" كأول إشارة لها في النصوص المصرية- باعتبار ما ورد من قبل في عهد أمنحتب الأول كان موقعا نوبيا- من الجانب الليبي، مجموعات بشرية من شعوب البحر على الجانب الآخر مكونة من الشردن šrdn (السردينيون)، ولوكا lk (اللوشيون)، والشكلش škrš (الشخلالي)، والترشا trš (التيرانيون)، والأقاوشا ikwš (الآخيون). وتزعم هذا التحالف زعيم قبيلة الليبو "مريي" M-r3-y3-yw-y بن دد.

وقد حاولت هذه الشعوب غزو مصر مرة أخرى من الشمال الغربي، هذه الشعوب أحضرت معها أسرها وممتلكاتها فضلا عن الماشية وثروة من الأسلحة والأدوات التي تم الاستيلاء عليها فيما بعد، ويبدو أن نيتهم كانت أبعد من السلب، ومع ذلك فإن الحاجة هي التي دفعت بهم إلى هذه المغامرة، وقد وصفت المصادر المصرية خاصة تلك النقوش من معبد الكرنك، وأنشودة النصر (لوحة إسرائيل) الموجودة حاليا في المتحف المصري رقم ٣٤٠٢٥، ولوحة "أتريب"، وعمود القاهرة تحركات تلك الجموع الغازية لمصر بأنهم "ظلوا يهيمون خلال الحدود يقاتلون في سبيل ملء بطونهم يوما بيوم، ثم وصلوا مصر (الزراعية) يتلمسون فيها طعاما لأفواههم"، وتصورهم نقوش الكرنك بأنهم "كالديدان لا يهتمون بأجسامهم، بل كانوا يحبون الموت ويحتقرون الحياة... لقد قضوا أوقاتهم يجوبون الأرض ليملأوا بطونهم وقد أتوا إلى أرض مصر سعيا وراء الطعام الذي يسدون به أفواههم".

يستنبط من ذلك احتمالية وجود مجاعة في الوطن الأم لتلك المجموعات البشرية الليبية في برقة كانت دافعا لارتحالهم إلى مصر ويبدو أنهم أخضعوا في طريقهم إلى مصر أرض التحنو وشق بعضهم طريقه إلى الواحات خاصة واحة الفرافرة، "ووصلوا (الليبيون) جبال الواحات dww n(w) Wḥ3t وقطعوا أرض البقرة iḫ t3 (واحة الفرافرة)، ووصل المهاجرون حتى الفرع الكانوبي لنهر النيل حيث كان مسرح العمليات في موقع يدعى "بي ير" Py- yr ، وآخر يدعى "وبت تا" Wp(t) t3 على وشك البدء. وقد رجح بعض الباحثين أن يكون موقع "بي ير" إلى الجنوب من الفيوم أو في جوار كفر الزيات الحالية في محافظة الغربية أو على حافة وادي النطرون، وإن ظل تعريف مكان المعركة مفتوحا للنقاش. وكانت الجموع الغازية كبيرة العدد مما استدعى "مرنبتاح" أن يعد لهم ما استطاعه من قوة ومستعينا بإلهيه "بتاح" و"آمون" طلبا للنصر.

ويذهب "جاردنر" إلى أن هجومهم قد جاء من مكان بعيد في الغرب من برقة وربما من ورائها مادام التحرك الأول لقائدهم "ماراي" كان يستهدف احتلال أرض "تحنو" ولم يمض وقت طويل حتى غزوا القلاع الأمامية، بل إن بعضهم شق طريقه إلى واحة الفرافرة ومع ذلك فإن النهر الكبير أو الفرع الكانوبي للنيل جعل حدا لتقدمهم. وتنتشر أخبار الغزو في البلاد ويشعر المصريون بالخطر خاصة وأن هذه الأفواج كانت مفاجأة للمصريين لم يستعدوا لها وأخذ القلق بفرعون مأخذه فأخذ يحصن الحدود ويهتم بقلاع عين شمس ومنف، ويحشد جيوشه ويجهزها للقتال في ظرف أربعة عشر يوما.

ويخرج "مرنبتاح" على رأس قواته- وإن ذهب جاردنر إلى أنه لم يظهر بشخصه للقتال- لمنازلة العدو الذي عسكر على الجانب الغربي للفرع الكانوبي، ومن المرجح أن "مرنبتاح" في هذه المعركة قد اختار موقعا يستطيع أن يكسب النصر منه وإن اختلف الباحثون بين أن يكون داخل الدلتا وبين أن يكون على حافة وادي النطرون وبين أن يكون في مكان ما بين الضهرية وبين النجيلية، وأيا ما كان فلا شك أنه لم يكن من السهل على القوات المهاجمة

اجتيازه. وقد استطاع "مرنبتاح" صد هذه الموجة الأولى من شعوب البحر في معركة سجلت أخبارها على جدران معبد الكرنك، تروي النقوش أن ستة آلاف من شعوب البحر قد قتلوا وتسعة آلاف أخذوا كأسرى.[٤٩٥]

وصف المعركة:

زحف الليبيون بكامل قوتهم في شهر "بشنس" (مارس) أو في "بؤونة"، جاءت الأخبار بأن الزحف قد بدأ، فحدد "مرنبتاح" تاريخ الرابع عشر من بؤونة (الثامن من أبريل) لجمع جحافل المصريين تحت لوائه. كان الغزاة قد حددوا هذا الموعد للغزو للاستيلاء على الحصاد حيث أن القمح يجنى في الجزء الأخير من أبريل، بداية من الثاني من أبريل في الجنوب، والثاني من مايو في الدلتا وينتهي في الثاني عشر من مايو، وقد ترقب المصريون الغزو في مكان يسمى p3- 3ri- šps وقد حدده "بروجش" بأنه في إقليم "بروسوبيس" الذي كان عاصمته "نيقيوس"، يحتمل أن يكون في منطقة الضهرية قرب كفر الزيات.

كان الغزاة يتقدمون على ما يبدو بطول الساحل الغربي للدلتا وكان ذلك في الأول من "أبيب"، الخامس عشر من أبريل. اشتبك الغزاة مع المصريين في الفجر واستمر الاشتباك لمدة يومين توافد فيهما عدد كبير من حلفاء الليبيين، ويبدو أن "مرنبتاح" تعمد أن يتركهم يلتحقون بهم ليقضي عليهم مرة واحدة، وكان ذلك في الثالث من أبيب. كان المصريون هم صناع المعركة وكانت الخطة أن يظل الرماة يضربون بلا توقف لمدة ست ساعات بحيث يقضوا على كل الأقواس التي بحوزة الليبيين وبعد ذلك يبدأ القتال الفردي بالسيوف، وبالفعل بدأ المصريون بمهاجمة الأعداء بالسهام من على بعد وظلوا في مذبحة متواصلة وبدأ الأعداء يتساقطون في اضطراب حتى هزموا وأخذوا يفرون في ذعر، ويبدو أن الليبيين قد اعتمدوا اعتمادا كاملا على القتال الفردي والعجلات الحربية.

أظهرت هذه المعركة أن "مرنبتاح" قائد حقيقي يستطيع أن يكيف ظروفه ليحرز النصر فقد قام بوضع خطة محكمة جعلت جيشا مدنيا صغيرا ينتصر على حشد كبير ويطارده بالنيران ولا يتركه ينفذ إلى الأحياء السكنية، هذا فضلا عن اختياره لمنطقة "كفر الزيات"، فقد كان القتال الفعلي بين الضهرية والنجيلة مما جعل العدو يتقيد بعبور النيل هناك للحصول على المدد الذي يعينهم على السير كما أن الصحراء قاحلة وغير مزروعة في غرب النيل.

نتائج المعركة:

لا شك أن هذا النصر المؤزر إنما يرجع إلى اختيار "مرنبتاح" الموفق لمكان المعركة وما تميز هذا الفرعون المسن من بسالة وشجاعة فضلا عن فاعلية الرماة المصريين الذين تمكنوا من صد المهاجمين، ويبدو أنها كانت مجزرة بشرية بلغ فيها القتال غاية الشدة والعنف مع أن المعركة لم تستمر أكثر من ست ساعات، بحسب ما ورد عنها في النصوص المصرية، وقد بلغ عدد القتلى من الليبيين ٦٢٠٠، ومن رجال جزائر البحر ٢٣٧٠، كما بلغ عدد الأسرى من الفريقين ٩٣٧٦، بين رجل وامرأة، من بينهم نساء الملك الليبي وأولاده وأخوته. وهكذا انتهى التهديد الليبي لمصر وأنقذت الحدود الغربية.[496]

على إثر هزيمة الجيوش الليبية فر ملكهم تاركا وراءه أسلحته وثروته من الذهب والفضة والبرونز ومجوهرات زوجته، وعرشه وكل أدوات معسكره.[497] و"تشتتت الأسر الليبية كالفئران على السدود، وخلفوا وراءهم كتائبهم الأمامية، ولم تعرف أقدامهم الوقوف بل العدو هربا وألقى رماتهم بأقواسهم كما أجهد الفارون بعد المشقة فأفرغ الواحد منهم سقاءه وألقى به على الأرض كما تخلصوا من الأدوات التي كانوا يحملون فيها طعامهم"، وظلت القوات المصرية تطاردهم حتى "جبل بداية الأرض" p3 dw n Wp t3 أي الحافة الجبلية المطلة على الدلتا من الغرب، والمرجح أنه نفس المكان الذي شيد فيه من بعد الملك "رمسيس الثالث" قلعة بالمكان لتأمين الطريق ما بين النيل والصحراء الليبية.

---

[495] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق ، ص١٧، ١٨؛ محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ج٣، ص،٣٦٧-٣٦٩؛

Shaw, op. cit., p. 61; Wilkinson, The Complete Temples of Ancient Egypt, p.199.

[496] محمد بيومي مهران، المرجع السابق ، ج٣، ص، ٣٦٨، ٣٦٩.

[497] Petrie, op. cit. Vol.III, p. 108, 109

وقد تضمنت نصوص لوحة إسرائيل وصفا شعريا لهروب الزعيم الليبي تحت جنح الظلام وحيدا وقد سقطت ريشته وأضاع نعليه، وعز عليه الزاد والماء، وسبيت نساؤه، وانفض عنه أنصاره، وأحرق معسكره وأصبح كل ما يملك طعاما للجند، وفي أثناء هروبه مر بنقطة مراقبة مصرية على الحدود تدعى "قلعة الغرب"، رجح "ديفيد أوكنز" احتمالية تطابقها مع حصن زاوية أم الرخم باعتبارها أقصى نقطة للتحكم والمراقبة المصرية باتجاه حدودها الغربية مع ليبيا. وقد أفلت "مريي" منها مما جعل الضابط المسؤل عنها يبعث بتقرير عاجل إلى البلاط الملكي يعلمه بالأمر.

كما صورت اللوحة ونقوش معبد الكرنك الردود السلبية الناجمة عن هزيمة الليبيين من خلال ما ردده بعضهم: "لم يحدث لنا ذلك إطلاقا منذ عهد رع". "وا نكبتاه على ليبيا حرم أهلها المعيشة الطيبة (في مصر)، وما عادوا يجرؤون على السعي في المزارع، وتوقف سعيهم في يوم واحد" ثم تشير النصوص صراحة إلى أن "الزعماء الأجانب كانوا خاضعين منبطحين أرضا راجين السلام، ولم يرفع أحد من الأقواس التسع رأسه. أبيدت التحنو hf^ thnw ".[498]

وقد كانت حصيلة هذه المعركة من القتلى والأسرى كالتالي:

أولا: القتلى:
- أبناء وأخوة الملك.....٦.
- الليبو.....٦٣٥٩.
- الشكالشا.....٢٤٢.
- التورشا.....٧٥٠.
- الشردانا والأقايوشا.....١١٢٤.
- الإجمالي.....٨٤٨١.

ثانيا: الأسرى:
- بدون أسماء.....٩١٤٦.
- الليبو.....٢١٨.
- حريم القائد.....١٢.
- الإجمالي.....٩٣٧٦.

ثالثا: الغنائم:
- سيوف برونزية للماشواش.....٩١١١.
- أسلحة.....١٢٠٢١٤.
- خيول الليبو.....١١٣.
- ماشية.....١٣٠٨.
- ماعز.....x
- أواني معدنية.....٥٤.
- أواني شرب فضية، مزهريات، سيوف.....١٠٤.
- أوسمة، برونز، أمواس حلاقة، مزهريات
- إجمالي: ٣١٧٤.[499]

سجلت أخبار هذه الحملة على الواجهة الغربية من الحائط الشرقي المتصل بصرح "تحوتمس الثالث" بالكرنك.[500] ويوجد نقش على معبد "عمدا" يذكر انتصار "مرنبتاح" على الليبيين، يقول: "بمجرد أن جاء جيش جلالته الشجاع رمى زعيم الليبيين الحقير، لن نترك أي ليبي يعيش بعد ذلك ولن ينشأوا في أرضهم، لقد ألقوا أرضا بالمئات والآلاف وعشرات الآلاف، والباقون تخوزقوا في جنوب منف، وقد سلبت كل ممتلكاتهم وأحضرت إلى مصر، وقد أبدى كل الحكام الاحترام والإكبار (لملك مصر)، الأراضي دمرت بقوة جلالته، صيحته في الحرب في قلوبهم، لقد أرعبهم، (يقولون) أين يمكننا أن نذهب؟ الأسد العنيف يحيط بهم".[501]

---

[498] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق ، ص ١٨، ١٩.

[499] Petrie, op. cit.., Vol. III, p.110, 111 .

[500] Petrie, Ibid., Vol. III, p. 116 ؛ *KRI*. IV, p. 2.

[501] ***KRI***. IV, p. 1.

كان عهد الملك "مرنبتاح" عهدا خاليا من المتاعب الكبيرة في النوبة، ولذلك فإن كل ما وجد له بخصوص هذه الجهة، نقش على معبد "عمدا" يشير إلى حملة قام بها في النوبة وإن ذهب بعض المؤرخين إلى أنه قد أصبح من الضروري بعد هذه الحملة إغراق ثورة شاملة لبلاد "واوات" في بحر من الدماء وإن كانت ليست هناك من الدلائل ما يشير إلى ذلك.[502]

يقول النص: "العام السادس، الشهر الأول للأفق، اليوم الأول، طويل العمر، العظيم في القوة، القوي في النصر، الذي يجعل كل بلد أجنبي متباه على أرضه يتراجع، حورس الذهبي، زعيم الرهبة، العظيم في الشهرة، ملك مصر العليا والسفلى، ملك الأرضين، حاصد جازر، با- ان رع مري أمون، ابن رع، ملك التيجان، محطم ليبيا، قاهرهم، مرنبتاح، فليعط الحياة، طويل العمر، الإله الطيب،أسد ضد الخارو (سورية وفلسطين)، الثور القوي ضد كوش، فليذبح الميدجاي. جاء أحدهم ليعلم جلالته أن الذين سقطوا من واوات تجاوزوا الجنوب الآن.

حدث في العام الخامس، الشهر الثالث من الصيف، اليوم الأول.....الأسد العنيف يحيط بهم، الانفجار الحار خرج من فمه ضد أرض واوات، لقد تم تدميرهم بضربة واحدة، ممن في مصر جميعهم معا، لقد أشعلت النار في زعمائهم في حضور ذويهم ومن بقي منهم، قطعت أيديهم بسبب جريمتهم مثل الآخرين، واقتلعت آذانهم وعيونهم وأخذوا إلى كوش ووضعوا في أكوام.

لن تعاود كوش التمرد. الشر يصيب من يهاجمك يا "با- ان رع مري أمون" المولود الأول لسوتخ....إن مجينك ....مثل الأسد الضخم الذي يضع نفسه على اليمين. الذي يدخل غمار المعركة في الشمال، حدود الأرض، يسعى إلى الأعداء في الأرض بكاملها ليمنعهم من الثورة مرة أخرى، لقد وصلت جلالتك أقصى جنوب الأرض يا مرنبتاح، الصورة الحية لرع، لقد طويت الأقواس التسعة (في العذاب)"[503]

في عهد الملك "سبتاح":

هناك ما يشير إلى أن الفرعون "سبتاح" قد قام هو الآخر بحملة حربية إلى النوبة لتثبيت حاكمها المدعو "سيتي" وأن الأمور هناك قد سارت طبيعية بعد ذلك.[504]

الأسرة العشرون:

في عهد الملك "ست نخت":

في عهد الملك "ست نخت" من الأسرة العشرين تدفقت قبائل الليبيين من ا"لليبو" و"المشوش" باتجاه مصر مستفيدة من أحداث الصراع الداخلي بها في أواخر الأسرة التاسعة عشرة واحتلت التحصينات الغربية لحدود مصر والجزء الغربي من الدلتا ووصلت غاراتها إلى سيوة.[505]

---

[502] مهران، المرجع السابق ، ج٣، ص ٣٧١، ٣٧٢.

[503] Kitchen, op. cit., Vol. IV, p. 1, 2.

[504] مهران،المرجع نفسه، ج٣، ص ٣٧١، ٣٧٢.

[505] علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ص ١٩

في عهد الملك "رمسيس" الثالث:

معركته مع شعوب البحر:

في العام الثامن من حكم الملك "رمسيس الثالث" تعرضت البلاد لهزة قوية فقد وصلت موجة ثانية من شعوب البحر إلى حدود الدلتا، في هذه المرة تحالفوا مع "البلست" (الفلسطينيين) وبدأوا هجومهم من الشمال الشرقي عن طريق كل من البر والبحر. وكانت هذه العصبة من القبائل تدمر كل شيء أمامها، وهذه القبائل هي، "خيتا"، "قدي"، "أروثو"، "أروزا" (سكان شمال سورية)، كل هؤلاء نزلوا في مكان واحد في منتصف أرض "أمور" وزحفوا ناحية السكان وكان معهم الـ "بولزاثو" ، "الزكارو"، "الشكالوشا"، وكان معهم أيضا "الشردانا" و"الواشاشاو" أهل البحر.

وفيما يلي وصف النصوص المعاصرة لتقدم شعوب البحر: "تحركت هذه الشعوب فجأة بطريقة عشوائية، ولم يستطع أي بلد أن يصمد أمام أسلحتهم، "الحيثيون"، "سيلسيا"،" قرقميش"،" قبرص"، وبلاد أخرى قد تم اختراقها، إن الهجوم البري لشعوب البحر يبدو أنه قد تم صده في معركة فريدة في منطقة تقع على الحدود المصرية كانت توجد بها حاميات عسكرية مصرية على طول الحافة الشمالية لجزيرة سيناء".

وعندما حول شعوب البحر طاقاتهم إلى هجوم بالبحر هزمهم "رمسيس الثالث" مرة ثانية في معركة بحرية ضخمة صورت بعد ذلك في نقش مركب منحوت على الحائط الشمالي الخارجي لمعبده الجنائزي في مدينة هابو، النقوش تصور خطوة بخطوة القتال بين خمس من شعوب البحر، القوارب ذات المقدمات والمؤخرات المنقوشة على هيئة رؤوس طيور، وهناك أربعة من السفن المصرية الضخمة منقوش على حافة كل منها رأس أسد.

القوارب المصرية كان يوجد على متنها من عشرين إلى اثني وعشرين صفا من المجدفين البارعين بالإضافة إلى الرماة والمشاة في حين كان عدد الرجال الذين كانوا على متن قوارب شعوب البحر أقل. (الأشكال ١١٤-١١٦) وقد انقلب أحد قوارب الغزاة وقضي على من فيه في الماء وكانت نتيجة هذا الصدام الذي يعتبر أول معركة بحرية موثقة بدقة، النصر لرمسيس الثالث. في معبد هابو جزء يتكلم عن غزو شمالي يبدأ مع البروتوكول الملكي في السطر الحادي والخمسين.

من أسماء هذه الشعوب يتضح أن الغزو ليس من الغرب فقط ولكن "الشكالوشا" اتصلوا بالشرقيين قبل ذلك، كما أن "البولزاثو" يعرفون على أنهم الفلسطينيون ولكن هل كانوا في فلسطين أو في "كريت" في هذا التاريخ فهذا غير مؤكد، ولكن كما يقال عنهم "في منتصف البحر" تكون كريت هي الأنسب والأقرب. وقد حدث اتصال بين "الزاكارو" و"الثكرت" الذين يقال عنهم أنهم جاءوا من كريت وربما يظهر اسم "زاكرو" في النهاية الشرقية للجزيرة. "الداناو" و"الواشاشا" ينتمون للبحر، وربما كانت جزيرة "رودس" هي موطن "الداناو". كل هؤلاء تحالفوا مع سكان شمال سورية وجاءوا إلى مصر عن طريق البحر من جزيرتي "كريت" و"رودس".[506]

وصف المعركة:

اتجهت شعوب البحر إلى مصر بأسطول بحري وبجيش بري وواجههم الجيش المصري عند حدود مصر الشرقية، ودحر الجيش البري كما تصدى الأسطول المصري لأسطول شعوب البحر وهزمهم شر هزيمة. أخذت مصر حذرها من هذه الحشود ووضعت دفاعاتها وحصن "رمسيس الثالث" منافذ النهر بسفن الحرب ووسائل النقل والقوارب المسلحة بكاملها بالمقاتلين[507] ولم يتضح إذا كان الاشتباك قد حدث في البحر أو النهر.

ظهرت سفن الأعداء لها شراع واحد وسار واحد، وقد اندفعوا بصف واحد من القوارب ذات المجاديف المحمية بتحصينات من جانب سطح السفينة، في أعلى الساري يوجد نوع من السلال يرابط بداخلها القواس أو المراقب ليعطي الإشارات، وكانت السفن في مقدمتها تحمل رأس أحد أنواع الطيور المائية. أما السفن المصرية فقد حملت رأس أسد

---

[506] Petrie, op. cit., Vol. III, p.148.b, 150, 151.
[507] Petrie, Ibid., Vol. III, p. 152

في المقدمة، وكانت السفن من كلا الجانبين مملوءة بالجنود، وكان المصريون مسلحين بالأقواس والسهام، أما الأعداء فقد كانوا مسلحين بالتروس المستديرة والسيوف. نشر رمسيس قواته ليواجه الهجوم الآتي من البر والبحر معا.

كانت السفن تقاد في المواجهة بطول الجانب من الطرفين بالمجاديف، وكان الجنود يقاتلون بشراسة من فوق أسطح المراكب. وقد استطاع المصريون الاستيلاء على الشاطئ واتخذ الملك والرماة منه قاعدة لإطلاق سهامهم، وبذلك أصبح الأعداء بين نارين.[508] وقد نجح المصريون في طرد الغزاة ورميهم بأمتعتهم في الماء وقبضوا على كثير منهم وعادوا بهم كأسرى.[509] وللمرة الثانية تفوقت القوات المصرية وهزمت القوات البحرية سفن الأعداء على طول ساحل الدلتا بينما هزمت القوات البرية العدو على الجانب الآخر.

تخليد ذكرى المعركة:

أورد "رمسيس" وصف هؤلاء الأعداء في معبده الجنائزي وقد تضمنت القوائم، "الداناو" و"البلست" و"الشكلش" و"الشردن" و"الوشوش" و"التورشا". وبالإضافة إلى المناظر التي نقشت على جدران معبد "رمسيس الثالث" في مدينة هابو، فقد سجل رمسيس انتصاراته على شعوب البحر أيضا في بردية "هاريس" الكبرى والموجودة حاليا في المتحف البريطاني والتي كانت في وقت ما جزء من السجلات الرسمية للمعبد.[510]

وقد سجلت أخبار هذه المعركة البحرية على جدران معبد هابو بغرب الأقصر.[511] (شكل ١١٧) هذا المنظر هو أول نقش لمعركة بحرية يصل إلينا ومن المؤسف أن المنظر غير واضح بحيث لا يمكن رؤيته إلا عندما تقع عليه الأشعة الجانبية، ثم إن المنظر المعقد للسفن وهي ترتطم ببعضها وتنقلب ملقية ببحارتها في الماء وما شابه ذلك كان فوق ما يستطيعه الفنان المكلف بهذا العمل، على أن هذا المنظر بعيوبه ومضايقاته يعتبر وثيقة تاريخية هامة رغم مميزاتها الفنية القليلة. بعد ذلك يشاهد الملك وهو يتسلم أسراه ليقدمهم إلى ثالوث طيبة وكذلك وهو يتناول سيف الانتصار من آمون الذي يقدم إليه ثلاثة صفوف من الأسرى.[512](شكل ١١٨، ١١٩، ١٢٠) وبانتصار مصر على هذه الشعوب تمكنت من تخليص نفسها وبلدان الشرق الأدنى القديم من ذلك الخطر الداهم واختفت هذه الشعوب من مسرح الأحداث ولم تعد تفكر في الخروج لملاقاة جيش مصر[513] لعدة سنوات.

حملة في سورية:

يظهر على الجدران الخارجية لمعبد الملك "رمسيس الثالث" بمدينة هابو خلف الصرح الذي يبرز عن حائط المعبد في الصف الأعلى منظر للملك في عربته الحربية يهاجم مدينتين من المدن الحيثية، والصحيح أنهما مدينتان سوريتان لأنه لم يحارب الحيثيين. (شكل ١٢١)

حملة ضد العموريين:

يظهر على الحائط الشمالي لمعبد "هابو" مناظر للملك "رمسيس الثالث" في حربه ضد العموريين وفي هذه المناظر تظهر مهاجمة المدن وأخذ الأسرى ليقدموا إلى آمون. وابتداء من نهاية الحائط الشمالي يشاهد الملك في شرفة قصره وهو يستعرض المجندين ويوزع الأسلحة ثم وهو ينطلق في عربته للحرب مصحوبا بحراسه من أهل سردينيا والمشاة من المصريين، ثم وهو يهاجم العدو الذي يتكون في هذا المنظر من الفلسطينيين فقط بخوذاتهم المزينة بالريش بينما تنتظر العربات ذات العجلتين التي تجرها الثيران والخاصة بنقل معدات العدو قريبا من موقع

---

[508] Kenrick, J., Ancint Egypt under the Pharaohs, Vol. I, p. 195
[509] Petrie, op. cit., Vol. III, p. 152
[510] Wilkinson, op. cit., p.199.
[511] عبد الحليم نور الدين، المرجع السابق ، ص٤٠٩
[512] جيمس بيكي، المرجع السابق ، ج٣، ص١٤١.
[513] عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص٢٥٤.

المعركة.[٥١٤] سجل الملك "رمسيس الثالث" أخبار حملاته الآسيوية على جدران معابد الكرنك ومدينة هابو. (أشكال ١٢٢- ١٢٣)

كانت مصر قد شهدت في نهاية الأسرة التاسعة عشرة حالة من عدم الاستقرار، كما شهدت تغلغلا من قبل الأجانب حتى في بلاط الملك الحاكم. ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك السوري "ارسو" الذي كان قد تمكن من الوصول إلى العرش وربما كان من الجنود المرتزقة الذين استقدمتهم مصر في هذه الفترة لموازرة الجيش المصري. وكانت منطقة الشرق الأدنى في هذه الفترة تموج بالهجرات الهندوأوروبية والتي استقر بعضها في آسيا وبعضها الآخر في ليبيا، وكانت تتجه بناظريها إلى مصر لولا يقظة "مرنبتاح".[٥١٥]

حاول "رمسيس الثالث" مواجهة الأخطار المتزايدة على حدود مصر الغربية ووقف عملية التسلل إلى داخل مصرحتى صار الليبيون والمشوش يعيشون في مصر بعد أن نهبوا مدن الشاطئ الغربي من منف حتى "كربن" الغير معلوم مكانها (ربما قرب أبوقير الحالية) وبلغوا ضفتي النهر العظيم (فرع دمياط الحالي) مما يرجح معه معرفة منطقة محددة للنفوذ الليبي آنذاك بمصر وربما اشتمل ذلك كما رجح "ديفيد أوكنز" المنطقة الحالية بين كوم الحصن وأوسيم بعيدا عن خط التحصينات على حواف شمال غرب الدلتا.

وقد شهدت تلك الفترة أو إرتبط بها محاولة الملك "رمسيس الثالث" الإحكام والسيطرة على الليبيين من خلال تعيين أمير شاب ربما كان ابنا لأحد الزعماء الليبيين أخذ رهينة إلى مصر، وتمت تربيته هناك هديا على تلك السنة التي استنها "تحوتمس الثالث" من قبل لضمان ولاء أهل تلك المناطق الخاضعة للنفوذ المصري في آسيا والنوبة وفي هذه الحالة في ليبيا، "وكان جلالته قد ربى ولدا صغيرا من أرض "التمحو"، وقد عضده بقوة ساعديه، ونصبه رئيسا عليهم لينظم الأرض، وهذا ما لم يسمع به من قبل منذ الأزل".

والجدير بالذكر أن الليبيين كانوا قد عزلوا زعيمهم المدعو "مريي" بعد هزيمته أمام "مرنبتاح" واستبدلوه بآخر يدعى "ورمر" والذي تولى بعده "ثيمر" الذي قاد الليبيين في عهد "رمسيس الثالث" فكان على رمسيس عبء مواجهة ذلك التحالف الذي كان بقيادة "ثيمر" ومجموعات جديدة من شعوب البحر تقدمت معه أو سبقته إلى مصر نتيجة لما لحق بحوض البحر المتوسط من تغيرات سياسية، ولم يعرف بالضبط موقع المعركة الذي أشارت النصوص إليه على أنه في مدينة (حصن) "وسر ماعت رع مري آمون قامعة التمحو"، وإن ظلت احتمالية تطابقها مع المنطقة المجاورة لوادي النطرون قائمة، أو كما ذهب الدكتور عبد الحليم نور الدين، مع موقع قرية "كوم أبو بلو" في مركز الخطاطبة بمحافظة المنوفية.[٥١٦]

في العام الخامس من حكم الملك "رمسيس الثالث"، هاجم جيش الليبيين وحلفائهم من الشعوب الهندوأوروبية حدود مصر الغربية بحجة أن "رمسيس الثالث" تدخل في الشؤون الداخلية للجالية الليبية في مصر.[517] وقد أعدت هذه الحشود قواتها بالتدريج وتسللت إلى الدلتا وبعد عدة سنوات من التنظيم شرع المصريون في طرد الليبيين والماشوش الذين أقاموا في "كيمي" وأخذوا المدن الغربية من ممفيس وحتى "كاربانا" ووصلوا إلى النهر العظيم على واستولوا على مدينة "جاوتوت"، ومدينة "كاربانا" تلك هي "هيراكليوم" اليونانية التي تقع قريبا من "أبوقير" على الفرع الكانوبي للنيل حيث يختفي هذا الفرع بين البحيرات عند كفر الدوار الحالية، أي أن الليبيين احتلوا المنطقة الساحلية شرق الإسكندرية.

وقد سجلت أخبار المعركة في معبد مدينة "هابو" من خلال خمسين سطرا من النقوش ليس فيها تفاصيل تاريخية أخرى لكن ورد في البرديات أخبار عن أخذ عشرات الآلاف من الأسرى من النساء والأطفال ومئات الآلاف من الماشية، أما الرجال فقد أخذوا ليخدموا على السفن، وأخذت الماشية كقرابين لآمون.[518] ويرى الملك في النقوش

---

514 جيمس بيكي، المرجع السابق، ج٣، ص١٤٠، ١٤١.

515 عبد الحليم نور الدين، عظماء من مصر (٢)، الموسم الثقافي الأثري الخامس بمكتبة الإسكندرية، ص ١٧.

516 علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق، ١٩؛ عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص٢٥٣، ٤٠٩؛ أحمد محمد سعيد، "نهاية الأسرة التاسعة عشرة في مصر" من١٢١٤إلى ١٢٠٠ ق.م تقريبا، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٩، ص ٣٣٣.

517 عبد الحليم نور الدين، المرجع نفسه، ص٢٥٣.

518 Petrie, op. cit., Vol.III, p. 147, 148.

ومعه حملة المراوح يستعرض ثلاثة صفوف من الأسرى وهو يقول لأحد الضباط: "قل لزعيم الليبيين المهزوم كيف أن اسمه قد محي إلى الأبد" بعد ذلك يرى "رمسيس الثالث" وهو يسوق صفوف الأسرى أمام "آمون" و"موت". وفي منظر آخر يهاجم "رمسيس" العدو ومعه رماة السهام المصريون الذين يسددون سهامهم من أسوار قلعتين. ومنظر ثالث ينزل من عربته ليقيد اثنين من الأسرى الليبيين بينما يهاجم جنوده العدو.[٥١٩] (شكل ١٢٤)

الغزوة الثانية لشعوب البحر:

بعد انتصار الملك "رمسيس الثالث" على شعوب البحر المتحالفة مع الليبيين عند حدود مصر الشرقية اختفت شعوب البحر لعدة سنوات ثم عادت من ناحية أخرى متحالفة مع الليبيين مرة أخرى ضد مصر. وقد تجددت الضغوط الليبية على حدود مصر الغربية من العام الحادي عشر، الشهر الرابع من الفصل الثالث، اليوم العاشر لرمسيس الثالث، حيث قدم الليبيون والمشوش بعد مهاجمتهم في طريقهم أرض التحنو المسالمة آنذاك والمستوطنة للواحات الشمالية في تحالف ضم خمس مجموعات بشرية وردت الإشارة إليها في النصوص المصرية باسم "الكيكش"، و"الإسبت"، و"الهس"، و"الشاي"، و"البكن" بمحاولة التداخل إلى مصر وتحقيقهم لنجاح أولي في ذلك.

وصف المعركة:

واجه "رمسيس الثالث" بعضا من شعوب البحر التي تحالفت مع أعداء مصر من الليبيين، وكان ذلك تحت قيادة الزعيم الليبي "مششر"، وكان ذلك في الربيع في العاشر من ميسوري الثالث والعشرين من مايو والتقى الجيشان في غرب الدلتا على الحدود الغربية ما بين مدينة (حصن) "وسر ماعت رع مري أمون" الموجودة عند جبل بداية الأرض، وموقع آخر يبعد حوالي عشرة أميال يدعى "مدينة (حصن) الرمل" dmi ḫwt- šʿy ليس بعيدا عن حافة شمال غرب الدلتا وفقا لما رجحه "جاردنر"، وإن ظل تعريف الموضعين غير معلوم بدقة للآن رغم كونهم بدون شك على حدود غرب الدلتا استنادا إلى نصوص تالية من عصر الأسرة الثلاثين، والاحتمال في تطابق مدينة "حصن الرمل" مع واحة سيوة أو في مكان ليس بعيدا عن بحيرة مريوط.

نتائج المعركة:

انتصر الجيش المصري وظل يطاردهم إلى خارج حدود مصر ويبدو أن الحرب امتدت إلى أرض الأعداء حيث أطيح بهم وخربت مدنهم وعاش زعيم الماشواش وقواده سجناء مع أمتعتهم وأطفالهم وماشيتهم وخيولهم وطوردت حشود الماشواش والتحنو وقدموا كغنائم مثل الحيوانات التي تم صيدها في الشباك، أما الليبو والسبدو فقد ذبحوا وقد سجل الملك أخبار هذه المعركة بكل فخر على الجانب الداخلي للصرح الكبير بمدينة هابو.[520]

وعكست مناظر معبد هابو (شكل ١٢٥) استماتة جيش "رمسيس الثالث" في الدفاع عن نفسه بالقتال من داخل تلك القلعتين المصريتين بالمكان. وقد واجه الليبيون موقفا صعبا للصمود أمام المصريين، وتم أسر زعماء التحالف الخمس وقائدهم "مششر" وعدد من أفراد أسرهم، كما نجم عن المعركة قتل ما يزيد عن ألفين من الأفراد وتم أسر أربعين ألف أسير وأعداد غفيرة من الماشية، وخيل وحمير المشوش، وأقواس وجعب وسهام ورماح وسيوف و٩٢ عربة حربية ذات عوارض (شوكات) خشبية وليست كتلك المعروفة من نمط العجلات الحربية المصرية آنذاك.

وعكست بردية "هاريس" (بالمتحف البريطاني) نتائج تلك الحملة وما عاد على مصر منها، "لقد زرعت مصر كلها بالأشجار، واستراح الناس في ظلها، وأصبحت المرأة تسافر في سلام حيث شاءت لأنه لم يعد هناك أجنبي يضايقها، واستراح الخيالة وكذلك الشردن والكهك من الجنود، ولم يعد هناك خوف". واحتفاء بهذا النصر أقام رمسيس الثالث احتفالا سنويا أطلق عليه اسم "ذبح المشوش".[٥٢١]

---

519 جيمس بيكي، المرجع السابق ، ج٣، ص١٤١.

520 عبد الحليم نور الدين، تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص٢٥٤؛ Petrie, op. cit., Vol. III, p.153- 155

521 علاء الدين عبد المحسن، المرجع السابق ، ص ٢٠

تدل النقوش الخاصة بالملك "رمسيس الثالث" والتي تزين جدران معبده بمدينة "هابو" أنه قام بحملة على النوبة، يظهر الملك في النقوش وهو يهاجم الأعداء ممتطيا عجلته الحربية وينقض بقوة على جيش النوبيين الهارب ويطلق عليهم وابلا من السهام من قوسه. (شكل ١٢٦)[٥٢٢]

في عهد الملك "رمسيس الرابع":

أرسل الملك "رمسيس الرابع" حملة ضخمة توجهت إلى محاجر الصحراء الشرقية وقد شارك الجيش في هذه الحملة بغرض تأمينها.

في عهد الملك "رمسيس السادس":

في عهد الملك "رمسيس السادس" احترقت المواقع العسكرية في "بيت شان" و"غزة" مسجلة بذلك نهاية الإمبراطورية المصرية في غرب آسيا.

في عهد الملك "رمسيس التاسع":

قام الملك "رمسيس التاسع" بإرسال حملة شاركت فيها الجيوش النوبية ودارت معركة بينهم وبين بدو "الشاسو" انتهت بهزيمة الشاسو.[٥٢٣]

في عهد الملك "رمسيس الحادي عشر":

في عهد الملك "رمسيس الحادي عشر حدثت فوضى في "طيبة"، فقد قام نائب الملك "باتحسي" بإحضار الجيش الكوشي إلى مصر العليا، مما أدى إلى حملة وصلت إلى ما بعد مصر الوسطى أوالدلتا، ثم معركة. وفي العام السابع عشر من حكمه، عاد "باتحسي" والجيش إلى النوبة، تاركين القائد والكاهن الأكبر لآمون "حريحور" تحت السيطرة في طيبة. كما قامت عدة معارك بقيادة الكاهن الأكبر لآمون "بيعنخي" ضد نائب الملك "باتحسي" في النوبة السفلى وبذلك انتهت الإمبراطورية المصرية في النوبة.[٥٢٤]

[522] مجدي عبد السلام محمد، المرجع السابق ، شكل ٢٧٩.

[523] Morkot, op. cit., xix.

[524] Morkot, Ibid., xix.

الفصل السابع

المعارك في العصور المتأخرة